المنهج المبين في سيرة الرسول الأمين

صلى الله عليه وسلم

إعداد

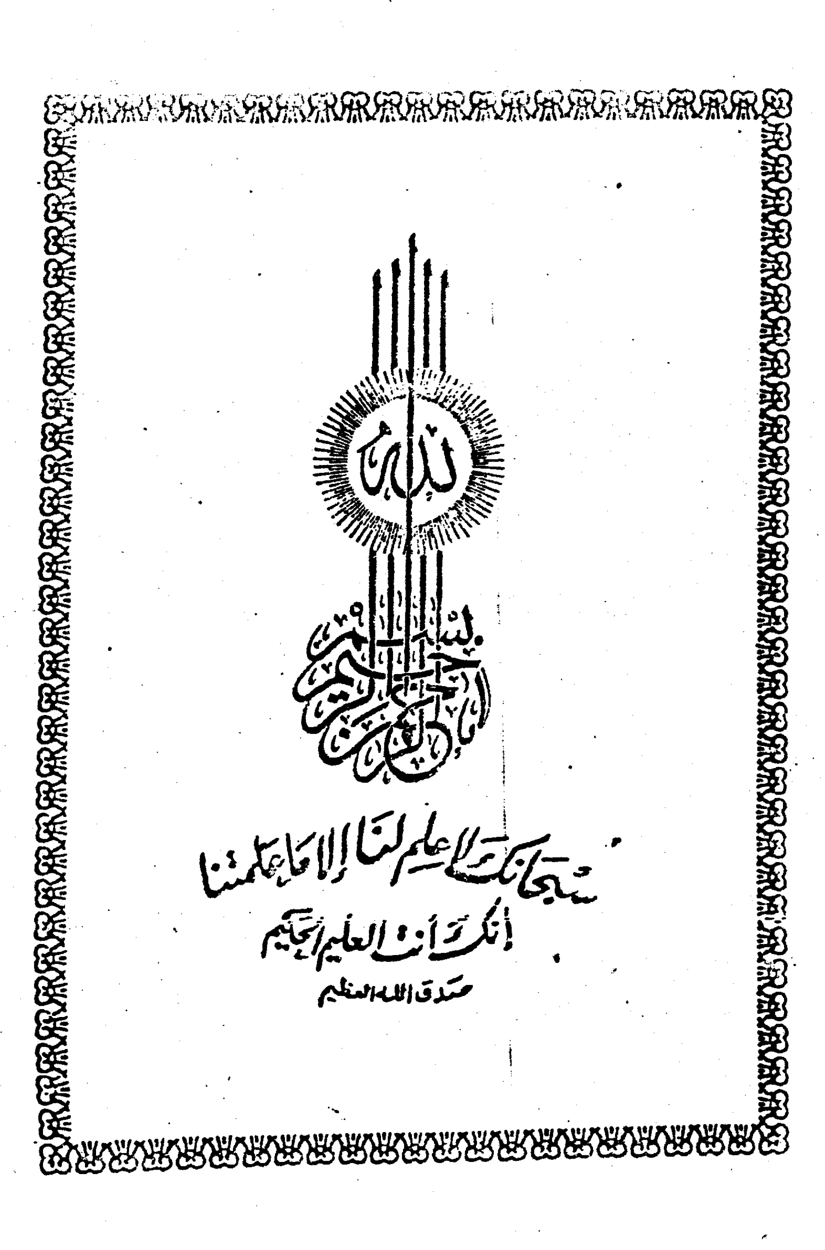
أستاذ دكتور

محمود عمر هاشم

عميد كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات

٢٠٠١ - ٢٠٠٢



بسم الله الرحمن الرحيم
سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا
إنك أنت العليم الحكيم
صدق الله العظيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه أجمعين

وبعد،

فإن السيرة النبوية، هي أعظم وأشرف سيرة عرفتها البشرية، تتجلي فيها الاسوة الحسنة من خلال حياة الرسول ﷺ ومن أجل ذلك يجب علي كل مسلم ان يأخذ منها الصبرة والعظة في كل مراحل حياته، وأن يتعلم منها حتي يكون علي بينة من أمر دينه، ويطبقها عملياً.

ومن خلال السيرة النبوية يقف المسلم علي نماذج البطولة في الجهاد، وفي البذل والعطاء للصحابة الأخيار رضي الله عنهم أجمعين، ونحن من خلال هذه الدراسة في السيرة النبوية نقدم دروسا نافعة إن شاء الله تعالي، هذا،

وصلي الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

أ.د/ محمود عمر هاشم

البِعْثَةُ النَّبويَّةُ

طبيعة الرِّسالة الخاتمة : عامَّة للعالمين ، وتخاطب العقل ، وتجمع النَّاس حول شرع الله ، ومعجزتها خالدة باقية ، وحقائقها ثابتة ، لأنَّها تنزيل مهيمن عليم .

أرضُ النُّبوَّة :

يرى بعض المستشرقين أن بيت المقدس (أُورسالم) أرض النُّبوَّة فقط ، لظهور داود وسليمان وعيسى فيها ، وهذا رأي باطل ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، يختار سبحانه الزَّمان والمكان المناسبَيْن ، ولقد أرسل هوداً في الأحقاف[1] ، وصالحاً في الحِجْر[2] ، وإسماعيلَ في الحجاز ، والأحقاف ، والحِجْر والحجاز أليست في أرض شبه جزيرة العرب ؟!

ومع ذلك : الحجاز قلب القارات القديمة ، لذلك قيل : « الكعبة سُرَّة الأرض » ، أي تقع في مكان متوسِّط بينها ، وفي الحجاز مكَّة ، وفي مكَّة الكعبة الَّتي بناها أبو الأنبياء ، إبراهيم عليه السَّلام ، والحجاز لم تكن بمعزل عن قلب العالم القديم مطلقاً ، فمكَّة ـ أهمُّ مدن الحجاز قبل الهجرة ـ كانت عقدة مواصلات تجاريَّة .

وُلد محمد بن عبد الله ﷺ بمكَّة فجر يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوَّل ٥٣ ق.هـ ، الموافق للثلاثين من شهر آب (أُغسطس) سنة ٥٧٠ م ، من أوسط قريش ، من أُسرة فيها سموٌّ وعُلُو ، ولم يكن سموُّه ﷺ وشرفه بأنَّه من خيرهم مالاً

---

(١) الأحقاف : وادٍ بين عُمان وأرض مَهْرَة في حضرموت ، [معجم البلدان : ١١٥/١] .

(٢) الحِجْر : ديار ثمود بوادي القرى (شمالي المدينة منوَّرة) ، [معجم البلدان : ٢٢٠/٢] .

وسطوة ، بل كان يشرفه بأنّه من خيرهم نفساً وبيتاً ، فلجده قُصي سدانة البيت ، وإمرة مكّة ، والحجابة والرّفادة والسّقاية ، ورئاسة دار النّدوة (دار الشُورى لقريش) ثمّ لكل العرب ، التي كانت تعقد في دار قصيّ ، والّذي كان له اللّواء أيضاً .

ولعبد المطّلب - حفيد قصيّ - رئاسة قريش ، استحقّها بقوّة نفسه ، ورفيع خلقه وسماحته ، في طَلعته يُمْنٌ وعزيمة وقوّة ، مع هدوء وطيب من غير هوان ، وهو الّذي حفر زمزم بعد أن ردمتها جُرْهُم برؤيا صادقة مكرّرة ، لمس ﷺ في حضانته عزّة الرّجال ، وحكمة الشّيوخ ، وعطف الأُبُوّة[1] .

وأُمُّه آمنة بنت وهب الزُهريّة ، تشبه البتول في سموّها وصبرها ، حملت سرّ هذا الوجود ، وكأنّها أُودعت أمانة النُبوّة لتحتفظ بها ، ولا هادي يهديها إلاّ ما انبعث في نفسها من نور الفطرة والإحساس بعبء الأمانة ، فأحداث هذا الوجود تسير على مقتضى ناموس كوني ثابت عند ربّ العالمين .

كافح ﷺ من أجل لقمة العيش ، ثبت أنّه ﷺ رعى الغنم في مكّة ، ثمّ عمل مع عمّه أبي طالب بالتّجارة ، وسار معه إلى بُصْرى ، وهو ابن تسع أو ابن اثنتي عشرة سنة ، حيث لاقاه بَحِيرَى الرّاهب[2] ، حيث نزل ركب التّجارة قرب صومعته ، فرأى غمامة تظلّه ، وشجرة تتهصّر[3] فروعها عليه .

وهنا يرى عدد من المستشرقين والمبشّرين أن القرآن وكلّ ما فيه من تأليف الرّاهب بَحِيرى ، أعطاه محمداً أثناء وجوده في بُصرى ، عندما سافر مع عمّه إلى بلاد الشّام .

(١) خاتم النّبيّين ، محمد أبو زهرة ، ص : ١١٥

(٢) بَحيرى : كلمة آراميّة ومعناها (المنتخب) ، واسمه (سرجيوس) ، [دائرة المعارف الإسلاميّة : ٣/٢٩٦] .

(٣) جاء في [اللّسان : هصر] : وفي الحديث : أنّه ﷺ كان مع أبي طالب ، فنزل تحت شجرة فتهصّرت أغصانُ الشّجرة ، أي تهدّلت عليه .

وردُ هذه الشُبهة يمكن أن نجمله بما يلي[١] :

لماذا لم يجمع بحيرى قومه من حوله ، فيغلب بهم من سواهم ، بعد أن يـدّعي القرآن نفسـه ؟

وهل كان بحيرى رئيسَ (أكاديميّة) تخرّج الأنبياء ، والكتب المعجزة ؟

وزمن الزّيـارة قصير جداً ، وحجم القرآن كبير ، والطّفـل ـ محمد بن عبـد الله ـ سيّ ، فلِمَ لم يختر بحيرى شـابـاً نـاضجـاً ، وقـارئـاً متعلّماً ، يعود إلى مـا أعطـاه ـ قراءة مراجعة ـ متى شاء ؟!

وما العلاقة بين محمد وبحيرى ؟ وما تاريخها ؟ وما نوعها ؟ ولماذا اختـار طفلاً من ـنة بالذّات ؟!

وقريش ـ قبيلـة محمد ـ حـاضرة بعـدد من رجـالاتهـا ، فلو أعطـاه شيئـاً لقـالت . عندما قال لهـا : هـذا كتـاب الله الوحى إليّ ـ : لا .. بل أعطـاكـه بحيرى في بُصرى بوجودنا !!

وأين بحيرى من أحداثَ مابعدَ البَعثة ، وأحداث مابعد الهجرة[٢] ؟

والإعجـاز الغيبي ، والعلمي فـوق طـاقـة القـدرات البشـريّـة ، ومن أين لبحيرى (الأعجميّ) هذا الإعجاز اللّغوي ؟

إن بحيرى هو المستفيد الأوّل والأخير من لقـائـه بمحمـد بن عبـد الله ﷺ ، فلولا هذا اللّقاء لاندثر اسم بحيرى كما اندثرت أسماء أُلوف الرُّهبان من قبله ومن بعده .

---

(١) انظر الجلسة الثّانية في كتاب (الإسلام في قفص الاتّهام) ، والّتي تحت عنوان : (القرآن والكهّان) .

(٢) لم يـدرك بحيرى القرن السّابع الميلادي ، ففي (المنجـد في الأعـلام) ـ وهـو قـامـوس مسيحي ، جـاء ص : ١١٩ أنّه عاش في النّصف الثّاني من القرن السّادس .

ثمّ تاجر ﷺ في مكّة ، مع شركاء منهم : السّائب بن أبي السّائب[1] ، وسُمّي في هذه الفترة (الأمين) فإن أُطلقت لا تنصرف إلاّ إليه .

ولم ينقطع ﷺ عن قومه في أعمالهم الجماعيّة ، وكان يحضر (دار النّدوة) ، ولما جاء وفد من اليمن ورأى فيه كبارهم نظرات قويّة أحياناً ، وهادئة مستبشرة أحياناً أخرى ، قال أحدهم : مالي أرى هذا الغلام تارة ينظر إليكم بعيني لبؤة ، وأخرى بعيني عذراء خفرة[2] ، والله لو أن نظرته الأولى كانت سهاماً لانتظمت أفئدتكم فؤاداً فؤاداً ، ولو أن نظرته الثّانية كانت نسيماً لأنشرت أمواتكم[3] .

وشارك ﷺ وهو ابن عشر سنين في حرب الفجّار ، وشهد حلف الفضول ، ولفتت بواهبه نظر خديجة بنت خويلد ، الّتي كانت تُدعى في الجاهليّة (الطّاهرة) ، فكان زواج (الأمين) بـ (الطّاهرة) ، و (الأمين) أروع صفة تطلق على رجل ، و (الطّاهرة) أجمل صفة تطلق على امرأة .

☆ ☆ ☆

طبيعةُ الرّسالةِ الخاتِمة :

كان ﷺ يتعبّد في غار حرّاء[4] ، على دين إبراهيم (الحنيفيّة) ، حتّى نزل عليه جبريل بـ ﴿ اقْرَأْ ﴾ وهو في الأربعين من عمره ، لتبدأ مسيرة شريعة الإسلام ، شريعة خاتمة ، وبذلك يكون محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين أيضاً ، ولهذا جاءت شريعة الإسلام تتميّز بما يلي :

---

(١) السّائب بن أبي السّائب : واسم أبي السّائب صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، اختلف في إسلامه ، قال عنه ﷺ : « نعم الشّريك ، كان لا يُشاري ولا يُماري » ، [أسد الغابة : ٢١٥/٢] ، والمشاراة : اللّجاج والمجادلة بالباطل .

(٢) الخَفَرُ : شدّة الحياء ، [اللّسان : خفر] .

(٣) خاتم النّبيّين ، ص : ١٨١ ، عن (زهرة الآداب) .

(٤) حرّاء : جبل من جبال مكّة على ثلاثة أميال ، معجم البلدان : ٢٣٣/٢] .

١ ـ عامة للعالمين :

﴿ إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ لِلعَالمين ، وَلتَعْلَمُنَّ نبأهُ بعْدَ حِينٍ ﴾ ، [ص : ٨٧/٣٨ و ٨٨] .

﴿ وَمَا أرسَلْنَاكَ إلاَّ رَحمةً لِلعَالَمينَ ﴾ ، [الأنبياء : ١٠٧/٢١] .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعالَمِينَ نَذِيراً ﴾ ، [الفرقان : ١/٢٥] .

بينما : ﴿ لَقَدْ أرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ .. ﴾ ، [الأعراف : ٥٩/٧] ، ﴿ وَإلَى مَدْيَنَ أخَاهُمْ شُعَيْباً .. ﴾ ، [الأعراف : ٨٥/٧] ، ﴿ وَإلى ثَمُودَ أخَاهُمْ صَالِحاً ﴾ ، [الأعراف : ٧٣/٧] ، ﴿ وَإلى عَادٍ أخَاهُمْ هُوداً ﴾ ، [هود : ٥٠/١١] ، وموسى أرسل لقومه ، والسيّد المسيح أرسل لخراف بني إسرائيل الضّالّة .

٢ ـ تُخَاطِبُ العَقْلَ : لكمال نضجه ، فلا كسب للأتباع بالعواطف ، ولخلوده وبقائه ، لا لأسرار ولا رموز :

﴿ قُلْ سِيرُوا في الأرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأةَ الآخِرَةَ إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، [العنكبوت : ٢٠/٢٩] .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الألْبَابِ ﴾ ، [الزمر : ٩/٣٩] .

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ ، [طه : ١١٤/٢٠] ، علماً يصلح أمر الفرد والمجتمع في الدِّينِ والدُّنيا . وقال ﷺ : « ليس منّي إلاّ عالِم أو مُتعلِّم » ، « العِلْم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة » .

ووردت آيات عديدة في القرآن الكريم فيها ذكر : ﴿ أولوا الألباب ﴾ ، و ﴿ لأُولي النُّهى ﴾ ، ومواضع عديدة ذكر فيها القرآن الكريم آيات يُخاطب بها ﴿ قوم يَعْقِلُون ﴾ .

﴿ إنَّ في خَلْقِ السَّمٰواتِ والأرضِ وَاختِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لأُولي الألْبابِ ﴾ ، [آل عمران : ١٩٠/٣] .

٣ ـ جمعتِ النَّاسَ حَوْلَ شَرْعِ الله : لا حول شخصه ﷺ ، فهي شريعة إلهيّة إسلاميّة ، لا شريعة محمّديّة ، مع أنّه ﷺ قبل البعثة مثال الرّجولة الكاملة ، والأمانة المطلقة ، والإنسانيّة التّامّة ، فهو (المصطفى) ، وهذا الاصطفاء أثبت الزّمان صحّته وروعته .

٤ ـ معجزةٌ خالدةٌ : ليست آنيّة استفاد منها من رآها ، فمعجزة القرآن الكريم باقية خالدة لمس العربي الإعجاز اللّغوي والعلمي فيها ، ولمس الأعجمي الإعجاز العلمي والتّشريعي والاجتماعي ..

ولطبيعة الرّسالة الخاتمة ، جاءت الآيات تؤكّد على (الظّاهرة القرآنيّة) معجزةً إلهيّة ، وترفض الخوارق والمعجزات الآنيّة :

﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِن رَبِّهِ قُلْ إنَّما الآياتُ عِنْدَ اللهِ وَإنَّما أنَا نَذيرٌ مُبينٌ ☆ أَوَلَمْ يَكْفِهِم أنَّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِم إنَّ في ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يؤمِنُونَ ﴾ ، [العنكبوت : ٥٠/٢٩ و ٥١] .

﴿ فَلا تُطِعِ الكافِرينَ وَجاهِدْهُم بِهِ[1] جِهاداً كَبيراً ﴾ ، [الفرقان : ٥٢/٢٥] .

٥ ـ حقائقه ثابتة : وكلُّ ما في القرآن الكريم من أخبار تاريخيّة ، ولفتات كونيّة ، وعلميّة ، وطبّيّة ، وطبيعيّة .. مهما مرَّ الزّمن ، وتقدّم العلم وارتقى ، لا تَنْقَض ، ولن يأتي العِلْم بما يعاكسها ، فهي تنزيل مهين عليم ، وهو أعلم بما خَلَقَ ، فهي لا تحتمل الخطأ مطلقاً :

(١) بـه : يعني القرآن : انظر مثلاً مختصر تفسير الإمام الطّبري ، ص : ٤٠٩ ، وفي تفسير الجلالين : ﴿ وجاهدهم به ﴾ أي القرآن ، ص : ٤٨٢ ، وفي الدّرّ المنثور في التّفسير بالمأثور : ٧٤/٥ : ﴿ وجاهدهم به ﴾ : بالقرآن .

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ، [يس : ٣٨/٣٦] .

﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ ، [الزمر : ٥/٣٩] .

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ، [الأنبياء : ٣٣/٢١] .

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ .. ﴾ ، [النمل : ٨٨/٢٧] .

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ .. ﴾ ، [النور : ٤٠/٢٤] .

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ ، [نوح : ١٦/٧١] .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[١] ، [الأنبياء : ٣٠/٢١] .

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ، [الذاريات : ٤٧/٥١] .

﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ☆ فَجَعَلَ مِنْهُ[٢] الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾ ، [القيامة : ٣٨/٧٥ و ٣٩] .

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ[٣] وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ، [الروم : ٢/٣٠ و ٣] .

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، [الرعد : ٧/١٣] ، ومحمد بن عبد الله ﷺ لكلّ الأقوام : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ، [الأعراف ١٥٨/٧] ،

(١) الرّتق ضدّ الفتق ، أي كانت ملتئمة ، [اللّسان : رتق] .

(٢) يقرّر القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة أنّ جنس المولود مصدره الرّجل ، وهذه حقيقة علميّة أيضاً جاءت متأخّرة جداً عن كتاب الله المجيد .

(٣) دنا الشّيء دنوّاً : قَرُبَ ، والأدنى : السُّفل ، نقيض العُلو ـ أي المنخفض ـ ، [اللّسان : دنا] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ ، [سبأ : ٢٨/٣٤] ، لذلك جاءت معجزته باقية لكل عصر ، يستطيع كلُّ عالِم كبير ، أو (أكاديمي) مختص أن يدرس القرآن ويتفحّصه من خلال اختصاصه فيدهش .

☆ ☆ ☆

دَعْوَةُ الحَقّ :

بدأت الدّعوة بنبوّة محمّد ﷺ ، كما أرادها الله أن تكون ، ثمّ أنذر عشيرته الأقربين ، ثمّ قبيلته وقومه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ، [الشّورى : ٧/٤٢] . ثمّ (الهدف) البشريّة جمعاء ، والعالم كلّه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرآنٌ مُبِينٌ ☆ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً .. ﴾ ، [يس : ٦٩/٣٦ و ٧٠] ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ، [التّوبة : ٣٣/٩] .

وتتجلّى عالميّة الدّعوة الإسلاميّة وتتوضّح أيضاً بما يلي :

- تنبُّؤ رسول الله ﷺ عند هجرته إلى المدينة ، وهو في أشدّ ساعات الحرج والخطر بأنّ سُراقة بن مالك سيلبس سواري كسرى ونطاقه عندما قال له : كيف بك يا سراقة إذا سوّرت بسواري كسرى ؟! قال سراقة : كسرى بن هرمز ؟ قال ﷺ : نعم[(١)] .

- وصيّة رسول الله ﷺ لصحابته بأن يستوصوا بأهل مصر خيراً عندما قال : إنّ الله سيفتح عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإنّ لهم فيكم صهراً وذمّة[(٢)] .

---

(١) الكامل في التّاريخ : ٧٤/٢ ، عيون الأثر : ١٨٢/١ ، ابن هشام : ٩٦/٢ ، البداية والنّهاية : ١٨٥/٣ . السّيرة النّبويّة : ٣٧٢/١

(٢) الطّبري : ٢٢٨/٤

ـ وقال ﷺ لرسولَيْ باذان عامل اليمن مِن قبل كسرى : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى[١] .

☆ ☆ ☆

محمّد ﷺ (الإنسان) :

شذور من كلامه ﷺ : الّذي هو النّهايةُ في البيان ، والغايةُ في البرهان ، المشتمل على جَوَامع الكَلِم ، وبدائع الحِكَم ، وقد قال ﷺ : أنا أفصَحُ العرب بَيْدَ أنّي من قريش ، واستُرضعت في سعد بن بكر[٢] :

وليس بعضُ كلامه بأولى من بعض بالاختيار ، ولا أحقُّ بالتّقديم والإيثار ، إنّها شذور من قوله ﷺ الصّريح الفصيح ، العزيز الوجيز ، المتضمّن بقليل من المباني كثيرَ المعاني :

ـ قوله ﷺ للأنصار : إنّكم لَتقلُّون عند الطّمع ، وتكثُرون عند الفزَع .

ـ وقوله ﷺ : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويَسْعى بذمّتهم أدناهم ، وهم يَدٌ على مَنْ سِوَاهم .

ـ إيّاكم وخَضْراء الدِّمَن[٣] .

ـ كلُّ الصَّيدِ في جَوْفِ الفرَا[٤] .

ـ مَطْلُ الغنيّ ظُلم .

---

(١) الكامل في التّاريخ : ١٤٦/٢

(٢) زهرُ الآداب وثمَرُ الألباب : ٥٩/١ (طبعة دار الجيل) ، ط ٤ سنة ١٩٧٢ م .

(٣) الدِّمن جمع دِمنة ، وهي مربط الإبل والخيل ، ينبت فيها النّبات فيكون رائع الخضرة لكثرة الماء والسّماد ، وخضراء الدّمن : كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من بيت السوء ، [زهر الآداب : ٦٠/١] .

(٤) الفرا : حمار الوحش ، « كلُّ الصّيد في جوف الفرا » مثل ، ومعناه أن من نال الأمر العظيم كان خليقاً أن ينسى ما سواه مما ينال النّاس .

- حمي الوطيس[1] .
- مات حتف أنفه .
- لا يُلدَغُ المؤمنَ مِن جحرٍ مرّتين .
- السّعيدُ من وُعِظَ بغيره .
- ولا ينتطحُ فيه عنزان .
- جنّة الرّجل دارُه .
- النّاسُ نيام ، فإذا ماتوا انتبهُوا .
- إنّكم لن تسعُوا النّاس بأموالكم ، فسَعُوهم بأخلاقكم .
- ماقلّ وكفى ، خيرٌ مما كثر وألهى .
- كلٌّ مُيَسّرٌ لما خُلِقَ له .
- المستشير مُعَان ، والمستشار مؤتمن .
- من حُسْنِ إسلام المرء تركُهُ ما لا يعنيه .
- النّدَمُ توْبة ، وانتظارُ الفرَج عبادة .
- المرءُ كثيرٌ بأخيه .
- كلُّ مَنْ في الدُّنيا ضيف ، وما في يديه عاريّةٌ ، والضّيف مُرْتَحِل ، والعاريّة مؤدّاة[2] .

☆ ☆ ☆

---

(١) في [اللّسان : وطس] : وطس الشّيءَ وَطْساً : كسره ودقّه ، والوطيس : المعركة لأن الخيل تطسُها بحوافرها ، قال ﷺ في حنين : الآن حمي الوطيس ، وهي كلمة لم تُسمع إلاّ منه ، وهو من فصيح الكلام عبّر به عن اشتباك الحربُ وقيامها عن ساق .

(٢) قال الجاحظ عن كلامه ﷺ : « الكلام الذي قلّ عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجلّ عن الصّنعة ، ونزه عن التّكلّف ، استعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السّوقي ، فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة ، ولم يتكلّم إلاّ بكلام حُفّ بالعصمة ، وشدّ بالتّأييد ، ويسر بالتّوفيق ، وهذا الكلام الّذي ألقى الله تعالى المحبّة عليه ، وغشاه =

مراحل الدعوة

قلنا آنفاً إن آيات سورة المدثر هي التي أمرت محمداً أن ينذر الناس ، وأن يدعوهم لدين الله ، وقد بدأت بهذه الآيات مراحل الدعوة للدين الجديد[١] وهذه المراحل ثلاث هي :

– المرحلة الفردية .

– دعوة بني عبد المطلب .

– الدعوة العامة .

وسنتحدث عن كل منها فيما يلي :

المرحلة الفردية :

هي المرحلة الأولى من مراحل الدعوة ، وفيها دعا الرسول سراً أهل بيته كما دعا خاصة أصدقائه ، وكان يدعوهم لمبادىء الإسلام الأولى التي ذكرتها هذه الآية وهي الإيمان بالله ونبذ عبادة الأوثان . فآمن به في هذه المرحلة زوجته ، وابن عمه علي ، وزيد مولاه ، ثم دعا الرسول أبا بكر وكانت له به صلة فآمن به ، وعن طريق أبي بكر أسلم السابقون الأولون : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام . وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والأرقم بن أبي الأرقم الذي اتخذت داره لتكون مقراً للدعوة السرية للدين الجديد ، ودخل مع هؤلاء مجموعة من الموالي والفقراء[٢] . وقد استمرت هذه الدعوة السرية ثلاث سنوات .

ومما يذكر عن إسلام طلحة أن بني تيم قومه وقوم أبي بكر سخطوا على إسلامهما ، وعبر نوفل بن خويلد الذي كان يدعى « أسد قريش » عن هذا السخط بأن تقدم وربطهما في حبل واحد وأخذ يشهر بهما ،

(١) انظر زاد المعاد ١ : ٢٠ .

(٢) ابن هشام ١ : ١٦٥ وزاد المعاد ٤٢ – ٤٣ .

ولذلك سميا القرينين[1] وكانت هذه التسمية شرفاً يحرص عليه طلحة .
وممن بكر بالإسلام من أقارب طلحة عمه عمرو بن عثمان وقد كان ضمن المهاجرين إلى الحبشة ، أما عمه الآخر عمير بن عثمان فقد قتل في بدر مع المشركين ، وأسر أخوه خالد بن عبيد الله في بدر أيضاً ومات أسيراً[2] .

دعوة بني عبد المطلب :

هذه هي المرحلة الثانية من مراحل الدعوة ، وقد بدأها الرسول عندما نزل عليه قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين)[3] فدعا بني عبد المطلب ليجتمعوا به ، فلما حضروا قال لهم : إني ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، فلقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة . وبلغهم دعوته ، فصدق به بعضهم وكذب به آخرون ، وكان عمه أبو لهب هو وزوجته من أشد الناس قسوة عليه ، وقد هتف به أبو لهب قائلا : تباً لك ، ألهذا دعوتنا ؟ فنزل قوله تعالى : (تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد)[4] .

وقد كانت هذه المرحلة بدء الجهر بالدعوة للدين الجديد ، ولذلك مهدت للمرحلة الثالثة من مراحل الدعوة وهي التي سنتكلم عنها فيما يلي :

الدعوة العامة :

نزل قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)[5] فانطلق الرسول يدعو للاسلام جهراً كل طوائف الناس ، يدعو السادة والعبيد ، يدعو الأقربين والغرباء ، يدعو أهل مكة ثم يتجاوزها إلى البلاد الأخرى ، وكذلك يدعو الحجاج الذين يفدون إلى مكة من مختلف البلدان .

---

(١) الرياض النضرة في تاريخ العشرة (٢) الدرر لابن عبد البر ص ٥٣ و ١١٩ .
(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٤ . (٤) سورة المسد .
(٥) سورة الحجر الآية ٩٤ .

مقاومة قريش وأسبابها ومراحلها

بدأت الدعوة للإسلام سراً كما قلنا . وربما عرفت قريش أخبارها آنذاك ، ولكن قريشاً لم تعلن العداء على محمد إبان هذه المرحلة السرية ، إذ لم تتصور قريش أن الدعوة ستقوى وتشتد ويعتنقها أفراد كثيرون ، وكذلك لم تهتم قريش بدعوة محمد ابني عبد المطلب . فقد رأت هذه حالة داخلية ، فلم تتدخل فيها ، وكأنما اكتفت بمقاومة أبي لهب وأمثاله لها . ولكن ما إن بدأ الرسول يجهر بالدعوة حتى أعلنت قريش حنقها على هذا الدين الجديد ، وسلكت كل السبل للقضاء عليه . وقبل ان نتحدث عن هذه السبل أو ما سنسميه مراحل المقاومة يجدر بنا أن نبين الأسباب التي جعلت قريشاً تقاوم دين الإسلام هذه المقاومة القاسية .

أسباب المقاومة :

نستطيع من دراستنا لحياة العرب وأخلاقهم أن نستنبط أسباب مقاومتهم للإسلام والمسلمين ، وتلك الأسباب هي :

١ — كان الرق منتشراً في الجزيرة العربية انتشاره في كل بلاد العالم ، وكان العبد رقيق العقل والقلب بالإضافة إلى الرق الجسماني ، بمعنى أنه لم يكن له أن يتدين بغير دين سيده ، ولا يحب أو يكره إلا تبعاً لحب سيده وكرهه ، وكان جسمه خاضعاً لأوامر سيده تماماً . فلما جاء الإسلام لم يعترف برق العقل أو القلب ، وقرر أن العقل والقلب لا يتطرق لهما الرق ، فالرقيق حر في فهمه وتدينه وحبه وكراهيته ، وأن رق الجسم غير مطلق وغير دائم ، أي أن للرقيق حقوقاً لدى سيده في الطعام والكساء والزواج ، وليس لسيده أن يطلب منه ماليس مباحاً أو مايشق عليه .

وهذا التفكير دفع بعض العبيد ليدخلوا الإسلام ، واعتبر السادة هذا

التصرف تمرداً من العبيد . كما اعتبروا محمداً مثيراً للفتن . وأنه لم يكتف بذويه يدعوهم لعقيدته بل راح يدفع الإسلام إلى القصور عن طريق العبيد على الرغم من إرادة أصحاب القصور .

٢ — كان الصراع فى الجزيرة العربية يدور لأتفه الأسباب ، فإذا جاء دين جديد يهاجم معتقدات القوم ، فما أجدرهم أن يهبوا فى وجهه ليرضوا ما بأنفسهم من شوق للغارة والحروب .

٣ — السيادة القبلية والتنافس عليها : لم تستطع قريش أن تفرق بين النبوة وبين السيادة ، أو بين النبوة وبين الملك ، وحسبوا أن التسليم بدين محمد معناه التسليم بالزعامة له ولآله من بنى عبد المطلب ، وكانت هناك منافسة شديدة بين قبائل العرب على الرياسة والسلطان ، فلم يكن من الممكن أن تسلم قريش زمامها لمحمد ولبنى عبد المطلب وأن تفقد بطونها المختلفة مكانتها وسيادتها .

٤ — المساواة بين السادة والعبيد : كان العرب يهتمون بالطبقات اهتماما شديداً فلكل إنسان طبقته التى يجب ألا يتعداها ، وإذا بدعوة محمد تجعل المساواة بين الناس أساساً هاماً من أسسها ، وتسوى بين السيد وعبده ، بل تجعل العبد أفضل من سيده لو كان أكثر منه تقى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[(١)] ومن أجل هذا لم يقبل السادة أن يدخلوا فى هذا الدين الذى يهدم تقاليدهم وأسس الحياة عندهم ويسوى بينهم وبين العبيد الأذلاء .

٥ — الفزع من البعث : يقرر الدين الإسلامى أن هناك بعثاً بعد الموت ، وأن هناك حساباً للناس ، يكافأ المحسن فيه على إحسانه ، ويعاقب المذنب على سيئاته وآثامه ، قال تعالى (القارعة ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ،

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية . وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ، وما أدراك ماهيه ، نار حامية)[١] .

وقال (فإذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)[٢] .

ولم تستطع قريش أن تقبل هذا الدين الذى يعيد الإنسان للحياة بعد الموت : ويعيده ولا سلطان له ولا نفوذ بيده ، ثم يحاسب هذا الإنسان بعدالة على ما ارتكبه ؛ ما أبشع الصورة التى تصورها زعماء قريش للإسلام، تلك الصورة التى دفعتهم إلى رفض هذا الدين الجديد وعدم اتباعه والدخول فيه ؛ إنها صورة العدالة التى لا يرضاها الظالم ، وصورة الحساب الذى يفر منه المذنبون .

٦ — تقليد الآباء : كان تقليد الآباء واتباع سلوكهم فى العبادات والمعاملات شيئاً راسخاً عند العرب ، ولذلك كرهوا أن يخرجوا من دين آبائهم وأن يتبعوا ديناً جديداً ، وصاحوا فى غباء وجمود (حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) فهزىء بهم سبحانه وتعالى بقوله (أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون)[٣] .

٧ — بيع الأصنام : كان هذا السبب مادياً ؛ فقد كان بين العرب من يحترف نحت الأصنام على شكل اللات والعزى ومناة وهبل ، وكان هؤلاء يبيعون هذه الأصنام للحجاج الذين كانوا كثيراً مايشترونها للتبرك والذكرى ، فلما جاء الإسلام حرم عبادة الأصنام ونحتها وبيعها ، ووجد هؤلاء التجار فى الإسلام حائلا بينهم وبين أرباحهم وعاملا يقضى على تجارة الأصنام بالكساد والبوار ، ولذلك سرعان ما قاوموا الإسلام وثاروا عليه .

---

(١) سورة القارعة . (٢) سورة عبس الآيات ٣٣ — ٣٧ .
(٣) سورة المائدة الآيتان ١٠٤ و ١٠٧ .

ومما يتصل بهذا السبب المالى أيضاً إحساس سدنة الكعبة بأنهم سيفقدون ما كانوا يتمتعون به من ثروة ونفوذ بسبب خدمتهم للأصنام ورعايتهم لزائريها[١] . كما ظن أهل مكة على العموم أن الكساد سوف يصيبهم جميعاً بسبب إعراض الحجيج عن مكة إذا بطلت عبادة الأصنام بها .

مراحل المقاومة

كانت مراحل المقاومة ثلاثاً : إذ اتجهت أولا إلى العبيد والضعفاء ، وثانياً إلى سواهم من المؤمنين ، وثالثاً إلى الرسول نفسه ، وسنتكلم عن كل من هذه المراحل على حدة فيما يلي :

١ - العدوان على العبيد والضعفاء :

لم توجه قريش اهتماماً ذا بال لمقاومة الإسلام فى أول عهده كما قلنا ، وظنوا أن دعوة محمد ليست إلا حركة تفتر وتختفى بعد قليل من تلقاء نفسها .

ولكن سرعان ما بدا لهم أن الدعوة تدخل عليهم بيوتهم وأن عبيدهم الذين كانوا يعدُّون ضمن متاعهم يدخلون هذه الدعوة الجديدة ، بعد أن وضَّح لهم الإسلام أن الرق لا يمتد للعقل ولا للقلب ، وإنما هو مقصور على الجسم وبشروط محدودة فى ذلك أيضاً[٢] ، لذلك اتجهت الخطوة الأولى من خطوات المقاومة إلى العبيد والضعفاء ، لأن محمد إن كان حراً يقول ما يريد ، فهؤلاء فى نظرهم ليسوا أحراراً فى أبدانهم ولا فى عقولهم ، وعلى هذا تعرَّض

(١) انظر حياة محمد الدكتور هيكل ص ١٧٥ — ١٧٩ .

(٢) انظر الرق وموقف الإسلام منه بكتاب الإسلام للمؤلف .

ياسر وابنه عمار وزوجته سمية كما تعرض بلال وخباب بن الأرت وغيرهم إلى ألوان قاسية من العذاب ليس فيها خلق ولا رحمة ، وقد شمل هذا العذاب الضرب والحرمان من الطعام والشراب ، وامتد العذاب بهؤلاء العبيد حتى كانت توثق ظهورهم بالرمضاء وتوضع فوقهم الحجارة المحماة الثقيلة ، وقدمات ياسر وهو يعذب ، ولما صرخت امرأته شاكية طعنها أبو جهل بحربة فقتلها[1] . وكان من نتائج تعذيب هؤلاء أن اشترى أغنياء المسلمين كثيرين من هؤلاء العبيد وأعتقوهم .

٢ — العدوان على كل المسلمين :

وتجيء بعد ذلك المرحلة الثانية حيث امتد الاعتداء إلى أتباع الدين الجديد جميعاً من غير العبيد والضعفاء ، إذ رأت قريش أن الدعوة زاد انتشارها وانضم لها بعض الأشراف ، وبدأ خطرها يظهر ، فعم الاعتداءُ كلَّ المسلمين وأصبح كل مسلم هدفاً للهجوم والإيذاء من المشركين مهما كانت مكانته في قريش ، ومهما كان ثراؤه ، ومهما كان جاهه وقوته ، وعلى هذا تعرض للأذى سادة أمجاد مثل أبي بكر وعثمان والزبير وأبي عبيدة ؛ وربما كان من الممكن أن يدافع هؤلاء عن أنفسهم . ولكن الإذن باستعمال القوة — ولو للدفاع — لم يكن قد جاء بعد ، كما سيأتي تفصيله عند الحديث عن الإسلام والقتال ، ولذلك احتمل المسلمون الأول ألواناً من العنف والقسوة والطغيان أنزلتها بهم قوى الشر بمكة .

ويمكن القول إن الرسول نفسه لم يمسه إيذاء يذكر في هذه المرحلة لمكانة بني هاشم ومكانة أبي طالب الذي أخذ على نفسه حماية ابن أخيه[2] ،

(١) ابن هشام ١ : ١٧٢ ، ٢٠٢ وابن القيم ٢ : ٤٣ . واقرأ كذلك « شهداء الإسلام في عهد النبوة » للدكتور على النشار .

(٢) ابن هشام ٢ : ١٩٩ .

ومن نتائج الإيذاء الذى وقع على المسلمين أن هاجر هؤلاء إلى الحبشة كما سنوضحه فيما يلى ، ثم نعود - بعد الكلام عن الهجرة إلى الحبشة - إلى استكمال مراحل المقاومة بشرح المرحلة الثالثة حيث تعرض الرسول نفسه للإيذاء والاعتداء .

هجرة المسلمين إلى الحبشة :

لما نزل الأذى بالمسلمين . وأصابهم البلاء من قريش ، وأصبحت حالة المسلمين تدعو للأسى بسبب مالاقوه من قريش من إيذاء وهجوم ، بدأ الرسول يفكر فى بلدة أخرى يرسل لها المسلمين المستضعفين ليبعدوا عن قريش وعن هجمات قريش ، أما المسلمون الأشداء فقد بقوا بمكة يحيطون بالرسول ويدفعون بهيبتهم العدوان عن أنفسهم ، ومن هؤلاء على بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله وكثيرون سواهما .

أى البلاد يختار الرسول لراغبى الهجرة من المسلمين ؟

هل يرسلهم إلى اليمن ؟ لا ، إن اليمن خاضعة للفرس ، والفرس لا يحترمون الأديان السماوية ولا يحترمونها بدليل أن كسرى ملك الفرس أرسل إلى باذان عامله على اليمن يقول له : ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين جلدين من عندك فليأتيانى به .

هل يرسلهم إلى مواطن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالجزيرة العربية ؟ لا ، فقد كان أهل الكتاب فى نزاع ومنافسة ، فهم لا يقبلون منافساً جديداً يقول بالله الذى يقولون به على غير ما يعتقدون .

هل يرسلهم إلى الشام أو الحيرة ؟ لا ، فإن الشام والحيرة مكانان لقريش فيهما نفوذ كبير بسبب الصلات التجارية التى تربطهم بسكانها ، هذا بجانب نفوذ الروم والفرس الذى لا يسمح بتأييد الدعوة الجديدة .

إلى أين يرسلهم ؟ هل يرسلهم إلى الحبشة التي كان الرسول يعرف أن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد ؟ نعم ، لقد استقر الرأي على ذلك ، فوجّه الرسول أتباعه عبر البحر الأحمر إلى أرض الأحباش .

وكانت هجرة المسلمين إلى الحبشة على مرحلتين تعرفان بهجرة الحبشة الأولى ، وهجرة الحبشة الثانية ، وكانت الهجرة الأولى في السنة الخامسة للدعوة وقوامها أحد عشر رجلا وأربع نساء فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة الرسول والزبير بن العوام وأبو حذيفة وامرأته ، وكان عثمان بن مظعون رئيس هؤلاء المهاجرين .

أما الهجرة الثانية فقد حدثت بعد ذلك بأشهر قلائل ، واشترك فيها ثمانون رجلا وامرأة واحدة هي أم حبيبة بنت أبي سفيان وزوجة الرسول بعد ذلك ، وكان جعفر بن أبي طالب زعيم المهاجرين في هذه المرة : وبعد فترة قصيرة اتصل بمن كان في أرض الحبشة من المهاجرين خبر إسلام عمر ومجاهرته بالعبادة ، فتشجع بعضهم للعودة ليشارك عمر شجاعته وثباته ونضاله ، كما بلغهم كذلك نوع من الهدنة بين قريش وبين المسلمين لحرص قريش على ألا تقوم حرب أهلية بين الفريقين ، وحب الوطن طبيعة في الإنسان ، والغريب يتلمس المعاذير ليعود للوطن : باسم حب الوطن الذي — فيما نظن — نسج الأسباب وهيأ الحجج : عاد بعض هؤلاء المهاجرين إلى مكة ، ولكنهم ما إن وصلوها حتى ظهر لهم أنهم كانوا متفائلين ، وأن حدة العداء بين المسلمين والمشركين لم تهدأ ، ولذلك — كما يقول ابن هشام [1] — لم يدخل أحد منهم مكة إلا بجوار أو مستخفياً : أما باقي مهاجري الحبشة الذين لم يخضعوا للتفاؤل ، أو الذين آثروا البقاء في مغتربهم حتى تعلو كلمة الله ، فقد بقوا هناك حتى السنة السابعة للهجرة :

---

(١) السيرة جـ ١ ص ٣٢٩ .

وقد أحست قريش عقب هجرة المسلمين إلى الحبشة أن اختيار المسلمين للحبشة سببه استعداد النجاشي لإكرامهم ، وأمنهم على نفوسهم ودينهم فى مغتربهم ، فقررت أن تكيد للمغتربين لتحرمهم هذا الملجأ ، فاختارت لذلك عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وأرسلتهما إلى النجاشي ، وكان لعمرو بن العاص جاه فى الحبشة وفى بلاط النجاشي . وأرسلت مع البعثة مجموعة كبيرة من الهدايا للنجاشي وبطارقته ، وأذاعت أن المسلمين يقولون فى عيسى وفى أمه قولا عظيما ، فعقد النجاشي مجلساً استمع فيه لرأى جعفر ابن أبى طالب فى هذه التهم ، وقد نجح جعفر فى عرض الفكر الإسلامى مما جعل النجاشي يقول : إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، ويقال إنه آمن بالإسلام فثار عليه قومه لذلك ، وفى العام السابع للهجرة أرسل الرسول من حمل هؤلاء المهاجرين فى سفينتين وأحضرهم إلى المدينة ، وكان ذلك عقب استسلام خيبر ، ويروى أن الرسول قال عندما رأى جعفر بن أبى طالب ، ما أدرى بأيهما أنا أسر : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر[1] .

ونعود بعد ذلك للحديث عن الجوار الذى أشرنا إليه فيما سبق ، فقد قلنا إنه لم يدخل مكة من العائدين من الحبشة إلا من دخل فى جوار ومن دخل مستخفياً ، وكان من عادة العرب أن من دخل فى جوار شخص أصبح ذلك الشخص مسئولا عنه وعن حمايته ، ويكون الاعتداء على المستجير اعتداء على المجير وهتكاً لحرمته[2] . وقد دخل عثمان بن مظعون — عقب

---

(١) هذا العرض هو أدق ما استطعنا فهمه من الروايات المختلفة . انظر صحيح البخارى وابن هشام وابن سعيد والنويرى وقد ذكر ابن عبد البر (الدرر ص ١٣٩) أن إرسال وفد قريش للحبشة كان بعد غزوة بدر رجاء أن يسلمهم النجاشي مهاجرى المسلمين فيقتلوهم بدل أسراهم .

(٢) انظر مدى اهتمام العرب بحماية المستجير فى العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ١٥٥

عودته من الحبشة ومعرفته أن المسلمين لا يزالون يسامون العذاب — فى جوار الوليد بن المغيرة ، ولكن عثمان رأى ما فيه المسلمون من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان ، فخجل من ذلك وقال : والله إن غُدُوِّى ورواحى آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله مالا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة وقال له : يا أبا عبد شمس وَفَتْ ذمتك ، وقد رددت إليك جوارك . قال : يا ابن أخى ، لعله آذاك أحد من قومى ؟ قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره : قال المغيرة : فانطلق بنا إلى الكعبة فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانية : فانطلقا حتى أتيا الكعبة ، فقال الوليد : هذا عثمان جاء يرد على جوارى . قال عثمان : صدق ، قد وجدته وفياً كريم الجوار ، ولكنى أحببت ألا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف . ورأى عثمان عقب ذلك لبيد بن ربيعة الشاعر فى مجلس من قريش ينشدهم . فجلس معهم عثمان وأنشد لبيد :

* ألا كل شىء ما خلا الله باطل *

قال عثمان : صدقت . وتابع لبيد إنشاده .

* وكل نعيم لا محالة زائل *

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول :

ولما سمع لبيد من يكذبه صاح : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؛ قال رجل من القوم ؛ إن هذا سفيه من سفهاء معه قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن فى نفسك من قوله . فرد عليه عثمان بكلام يدافع عن نفسه ، فاشتبكا فى عراك ، ولطم القرشى وجه عثمان لطمة أثرت فى عينه . قال الوليد : يا عثمان ، قد كنت فى غنى عما أصابك فقد كنت فى ذمة منيعة .

قال عثمان : والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني والله لفي جوار مَنْ هو أعز منك وأقدر [١] .

ومما يروى أيضاً عن أحاديث الجوار أن أبا بكر لما أصابه الضر ورأى الأذى يصيبه ويصيب الرسول ولا يطيق له دفعاً استأذن الرسول في الهجرة فأذن له ، فخرج أبو بكر وسار يوماً أو يومين فلقيه ابن الدغنة وهو أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش [٢] . فسأل : إلى أين يا أبا بكر ؟ فأجاب : أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي . قال ابن الدغنة : ولِمَ ؟ وإنك والله لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدم ؟ ارجع وأنت في جواري . فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال: يامعشر قريش ، إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلايعرضن له أحد إلا بخير . ومنذ ذلك الحين كفت قريش عن أذى أبي بكر. وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، وكان رجلا رقيقاً اذا صلى خشع وإذا قرأ القرآن بكى واستبكى ، وكان ذلك يجذب حوله الصبيان والنساء في إعجاب ظاهر . فخاف رجال قريش عاقبة ذلك ومشوا إلى ابن الدغنة وشكوا له أبا بكر وطلبوا أن يصلي وأن يقرأ القرآن داخل داره ، فكلمه ابن الدغنة في ذلك ، فأجابه أبو بكر : أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله . قال : فاردد علي جواري . ففعل أبو بكر وتعرض بعد ذلك إلى عنت قريش من جديد [٣] .

---

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) الأحابيش معناها التجمعات من تحبشوا أي تجمعوا : وتطلق على بني الحارث وبني الهون من كنانة وبني المصطلق من خزاعة (انظر الروض الأنف ٢ : ٢٣١) .

(٣) ابن هشام ج ١ ص ٢٣١ ويروى المبرد مجموعة من القصص تبين اهتمام الأبناء بحماية من استجار بقبور آبائهم ، أو حل بعض الخصال من هذه القبور . (انظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ٢٩ : وما بعدها) .

٣ — العدوان على الرسول :

تكلم الآن عن المرحلة الثالثة من مراحل مقاومة قريش للإسلام ، وفى هذه المرحلة تعرض الرسول نفسه للهجوم والإيذاء ، وقد بدأ ذلك عقب هجرة المسلمين الى الحبشة ؛ فقد أزعجت هذه الهجرة قريشاً وتوقعت أن ينتشر المسلمون فى كل النواحى داعين الى دينهم ، وأن تمهد هذه الهجرة لهجرة محمد نفسه ، وبذلك تتغلب عبادة الله على عبادة أصنامهم ، ولهذا اتجهت قريش الى رأس هذه الحركة ، إلى محمد بن عبدالله للضغط عليه أولإغرائه حتى يكف عن هذه الدعوة الجديدة .

واتبعوا فى إغراء الرسول العروض المالية السخية ولكن محمداً سخر منهم ومن أموالهم ، فتجاوزوا المال الى المُلك ، فعرضوا عليه أن يكون عليهم ملكاً ، ولكن محمداً صاح بهم صيحة وضعت حداً لهذه العروض الرخيصة حين قال قولته المشهورة : «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى ما تركت ذلك الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه »[1] .

ولما لم يفد الإغراء اتجهوا للهجوم والإيذاء وكانوا راغبين فى انزال الأذى مصرّين على المقاومة . ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا يخافون نتائج هذا الإيذاء ويتوقعون الشر من إقدامهم عليه ؛ فأبو طالب يحتل أرفع مكانة بين العرب ، وحوله بنو هاشم فيما عدا أبا لهب ، ولذا تنوعت المقاومة فاتجه ثقلها الى المقاومة السلبية وضرب الحصار كما سنوضح ذلك عندما نتكلم عن « مقاطعة بنى هاشم » واتجه بعضها إلى إنزال الأذى بالرسول مباشرة ، فأم جميل زوجة أبى لهب كانت تلقى الأقذار والأشواك أمام داره فى غسق الليل لتؤذى الرسول عند خروجه مبكراً ، وكان أبو جهل يلقى فوقه القاذورات وهو فى أثناء صلاته .

ولكن حماية أبى طالب ردت عن الرسول كثيراً من الأذى ، ووقفت

---

(١) ابن هشام ج ١ ص ٧٠ .

زوجته خديجة وكأنها بلسم يشفي مايصيبه من آلام ، لقد كانت تحسن استقباله إذا عاد إلى البيت كئيباً ، وكانت تظل تواسيه وتشجعه حتى يعود له نشاطه ، ويسترد عزمه وإصراره .

إسلام حمزة وعمر بن الخطاب :

وبينما كانت الدعوة بين إصرار الرسول وكفاح قريش ، إذ دخلها في السنة الخامسة للدعوة بطلان عظيمان هما حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب[1] وقد كانا معروفين بالقوة والصلابة ، فعز بهما الإسلام واشتد الأمل في انتصاره : وسنتكلم عن ظروف إسلام عمر في « فلسفة الدعوة الإسلامية » ولكنا هنا نقرر أنه كان لإسلام عمر وحمزة رد فعل قوى عند قريش ، فقد أدركت أن مسألة محمد ستؤدى إلى انتصار دينه مادام هذا الدين قد بدأ يجذب له الأقوياء الأشداء من أمثال حمزة وعمر ، وأدركت كذلك أن العدوان على المسلمين قد يؤدى إلى حرب داخلية ، فإن عمر وحمزة لا يصبران على الضيم ، وبخاصة أن إسلام حمزة ارتبط بعدوان أبي جهل على الرسول ، فغضب حمزة لذلك وأعلن إسلامه ، وقصد أبا جهل وشجه وهدد بالانتقام من أى عدوان .

ومن أجل هذا اتجهت قريش وجهة جديدة طابعها المفاوضة لرغبتها في أن يتم القضاء على دعوة محمد دون إثارة بنى عبد المطلب ، فأخذوا يترددون على أبي طالب يطلبون إليه أن يسكت ابن أخيه الذى يسب دينهم ويحقر آلهتهم ، ولكن هذه الخطوة لم تأت بطائل[2] . وحينئذ خطت قريش خطوة أخرى فيها شدة وتهديد فقد ذهبت وفودهم إلى أبي طالب وصاحت فيه :

يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . وإنا قد استنهيناك من

---

(١) ابن هشام ١ : ٣٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٠ .

ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لن نصبر على شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين[1] .

ولم يفد التهديد بشيء فخطوا خطوة ثالثة هي أنهم ساوموا أبا طالب وأرادوا أن يعطوه عمارة بن الوليد بن المغيرة ويأخذوا محمداً ليقتلوه ، وقالوا في ذلك لأبي طالب : إن عمارة أنهد فتى في قريش ، وأجمل شباب العرب ، فخذه ، فلك عقله ونصره واتخذه ولداً لك ، وسخر منهم أبو طالب وقال : بئس ما تساومونني ؛ أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟[2] .

مقاطعة بني هاشم :

وانتقل العداء خطوة جديدة ، فقد أدركت قريش أن قوة محمد مصدرها أهله الذين يحمونه ويدافعون عنه ، سواء منهم من اتبع دينه أو من بقي على دين آبائه وأجداده ، ولهذا عزمت قريش على مخاصمة بني هاشم جميعاً ، ورغبة عن الحرب وما تجره من ويلات ، تجهوا في مقاومتهم لبني هاشم اتجاهاً سلبياً ولكنه عنيف ، فاجتمعت قريش وكتبت وثيقة قررت فيها مقاطعة بني هاشم فلا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم . ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ، ولا يكلمونهم ، ولا يزورون مرضاهم ولا يشيعون موتاهم ، وأكرهوهم أن يلزموا الشعب وهو طريق بين جبلين .. وقد كانت هذه المقاطعة قاسية جداً على بني هاشم ، مسهم بسببها الضر بل الجوع والحرمان ، وقد استمرت حوالى ثلاث سنوات ، ولم تنقض إلا بعد أن أشفق بعض القرشيين على بني هاشم بسبب ما نالهم من أذى وعذاب فمزقوا هذه الوثيقة وعادوا إلى الاتصال بهم[3] .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٠ .

(٢) ابن هشام ١ : ١١٠ .

(٣) ابن هشام ١ : ٢٣١ وابن القيم ٢ : ٤٦ .

وفاة أبي طالب وخديجة :

وفى السنة العاشرة للدعوة فقد الرسول أعظم اثنين ساعداه وكانا له قوة وملاذاً فى نضاله لنشر الإسلام ، وهما أبو طالب وخديجة ، وكانت خديجة أول من أسلم من النساء ، وكانت تشد عضد الرسول بقوة شخصيتها وبمالها وجاهها وحسن معاملتها ، أما أبو طالب فقد كان درعاً يقى الرسول ويحميه بقوة وصلابة ، ومما أثر عنه قوله :

واللہ لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا

وقد مات أبو طالب وله بضع وثمانون سنة ، وأغلب المؤرخين يرون أنه مات دون أن يدخل الإسلام . ولكن أثر عن العباس أنه سمع أبا طالب وهو على فراش الموت يقول شعراً جاء فيه :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

ومثل هذا الشعر يجعل بعض الباحثين يرى أن أبا طالب دخل فى دين الإسلام وإن لم يعلن ذلك . وكانت المدة بين موت أبى طالب وخديجة ثلاثة أيام فقط كما ذكر ذلك ابن القيم[1] .

حالة الرسول بعد أبى طالب وخديجة :

وبموت أبى طالب ومن بعده خديجة تعرض الرسول لأهوال جسام من قريش ، يقول ابن اسحق[2] : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب ، وكان أشد قريش عداء للرسول أبو لهب عمه ، والحكم بن العاص ، وعقبة

---

(١) زاد المعاد ج ٢ ص ٤٦ .
(٢) ابن هشام ١ : ١٦٠ .

ابن أبي معيط ، فإنهم كانوا جيران الرسول وكانوا يؤذونه بما يلقون عليه وقت صلاته وفي طعامه من قاذورات .

وكانت زوجة أبي لهب أكبر عون لزوجها في إيذاء الرسول ووضع الأشواك ليلا على بابه حتى تؤذيه إذا خرج مبكراً للصلاة كعادته ، وقد ذكر القرآن الكريم قصتها في سورة خاصة هي سورة المسد (وقد سبق إيرادها) .

وكثيراً ما كانوا يضعون القاذورات عليه وهو يصلي في المسجد ، وقد خنقه بعضهم مرة ، وأوشكوا على قتله ، لولا أن دخل أبو بكر وصاح فيهم وهو يخلصه (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله)[١] .

وكان الرسول يعلم أصحابه مرة في المسجد ، فاغتاظت قريش وأوسعوهم ضرباً وإيذاء . وكان نصيب الرسول وأبي بكر من هذا الضرب شديداً قاسياً .

الدعوة للإسلام بعد موت أبي طالب

دعوة أهل الطائف :

أدرك الرسول أن لامقام له بمكة بعد موت أبي طالب وخديجة ، وبعد إسراف المشركين في إيذائه إسرافاً بعيداً عن الكرامة والإنسانية وبعيداً عن الخلق الكريم ، فوضع خطته لنشر الإسلام خارج مكة ، لعله يجد مركزاً آخر يطيب له المقام فيه ، فبدأ بزيارة بعض القبائل وعرض نفسه ومبادئه الدين الجديد على أهلها ، وطالما لقي الرسول عناء في هذه الرحلة أيضاً . وطالما سمع أهل هذه البلاد يقولون : لو كان في دعوته خير لقبلها أهله وذووه ، ومن أشق المواقف التي تعرض لها الرسول ومسه فيها الأذى ما يذكره

---

(١) سورة غافر الآية ١٢ .

التاريخ من أنه ﷺ اتجه إلى الطائف ودعا فريقا من أشرافها[1] إلى وحدانية الله ، ولكنهم لم يستجيبوا له ولم يردوه رداً كريماً ، فقد كانت هناك علاقات ودّ وجوار بين أهل الطائف وبين قريش ، وكان كثير من أغنياء قريش يتملكون حدائق بالطائف ، وكانت مكة موطن الكعبة حيث يفد حجاج الطائف كل عام فيجدون من قريش كل ترحيب وتكريم ، ولهذا تقرب أهل الطائف لقريش بإيذاء محمد ، فأغروا به أحداثهم وسفهاءهم يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة[2] ، لكن الرسول لم ييأس وسط هذه الأزمة القاسية وأخذ يهتف : رباه ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي[3] .

وفى رحلتى إلى الأرض المقدسة زرت مدينة الطائف ، وأدركت لأول مرة العناء الضخم الذى لحق بالرسول فى هذه الرحلة ، فالطائف تبعد عن مكة بحوالى خمسة وثمانين كيلو متراً ، والطريق كله صعود متصل إذ تقع الطائف على إرتفاع ١٥٠٠ متر بالنسبة لمكة ، مما يجعل هذه الرحلة شاقة على السيارات والآلات حتى بعد تمهيد الطريق ورصفه ، يا لله ! ! كيف قطع محمد هذا الطريق الصاعد الوعر الموحش ؟ ولكن العقيدة يهون دونها كل جهد وعناء .

وفى الطائف التى وصلها الرسول بعد جهد طويل قابل عليه السلام جماعات الساخرين والمتهجمين الذين أشرنا إليهم ، ثم كان هدفا للسفهاء والصبية الذين أمطروه بوابل من الحجارة ووابل من سقط القول وفحشه ، وكان النبى الكريم يتوارى من أذاهم وعدوانهم ، وتراجع الصبية بعد أن غادر الرسول منازل الطائف ، وكان العناء قد مس الرسول فلجأ الى حائط (حديقة)

---

(١) يقول ابن هشام (٢ : ٢٨٥) إنهم إخوة ثلاثة من ثقيف هم عبد ياليل بن عمرو ومسعود بن عمرو وحبيب بن عمرو .

(٢) ابن هشام ١ : ٢٦٠ .

(٣) ابن القيم : زاد المعاد ٢ : ٤٦ .

لعتبة وشيبة ابنى ربيعة[١] وألقى بكوعه على كومة صغيرة بالسور ، ورآه غلام اسمه عداس وهو فى هذه الحال ، فأشفق عليه ، وحمل له بعض أعناب من الحديقة ، فتقبلها الرسول ، ودعا له وحادثه ودعاه إلى الإسلام فدخل عداس الإسلام .

وفى هذا المكان بنى مسجد يسمى مسجد الكوع ، وقد زرته ورأيت الشيوخ يتذاكرون هذه الأحداث التى يتوارثها جيل عن جيل .

دعوة الحجيج :

اتجه الرسول بعد الطائف إلى دعوة الحجيج ، فأخذ يقابل وفود العرب القادمة من هنا ومن هناك . ويعرض نفسه عليهم ، ويشرح لهم دعوته ومبادىء الدين الجديد[٢] وكانت هذه اللقاءات تتم بمجنة وعكاظ ومنى[٣] ، وخدمت قريش الدعوة من حيث لا تدرى ، إذ أرسلت وفودها إلى جماعات الحجيج تحذرهم من دعوة محمد ، وترميه بالجنون والسحر وغيرهما من الصفات الذميمة ، وتدخلُ قريش هذا جعل جماعات الحجيج يتوقون إلى رؤية محمد ليشاهدوا بأنفسهم صاحب هذه الدعوة الجديدة ، وليتحققوا مقدار صدق قريش فيما تذيع ، وهكذا بَدَلَ أن يسعى محمد للناس أصبح الناس يسعون إليه سراً وعلانية ، لقد كانوا يسعون ليروا المجنون فإذا بهم يجدونه أرشد الناس عقلا ، وليروا الساحر فإذا به بعيد عن السحر والشعوذة ، وسمع الناس وبخاصة أهل يثرب القرآن واستمعوا إلى آراء محمد ودعوته ودينه وفلسفته فأحبوه ، وبدأ الأمل يظهر ، وبدأت الدعوة تنتشر ،

---

(١) ابن هشام ٢ : ٢٨٥ .
(٢) ابن هشام ج ١ ص ٣٦٣ .
(٣) الطبقات ج ١ ص ٢٠٧ .

أُمَّهاتُ المؤمنين

لقد شاءت حكمة العليم الحكيم أن يخص رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – ببعض الخصوصيات التى لا يَقْتِدى أحد به فيها ، ومن هذه الخصوصيات زواجه – صلوات الله وسلامه عليه – بأكثر من أربع نساء ، وقد رأى بعض الباحثين أن تعدد زوجاته كان قبل نزول آية التقييد بأربع ، إلى جانب أن أمهات المؤمنين لا يصح زواج أحد ما بواحدة منهن إذا فارقهن الرسول (ﷺ) ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[1] .

ومما يؤكد هذا أن سورة الأحزاب – وهى التى أحلّ الله فيها لرسوله (ﷺ) هذا العدد – نزلت قبل سورة (الممتحنة) وبعد سورة (الممتحنة) ، نزلت سورة (النساء) ، وقد جاء التقييد بأربع نسوة فى سورة (النساء) .

وأيا ما كان الأمر فإن «الله» تعالى قد خص رسوله (ﷺ) بذلك لحِكَم عظيمة ودقيقة من أهمها أنه كان يريد توثيق الروابط بين القبائل والأسر وكبار الشخصيات الهامة التى يكون لها دورها فى مؤازرة دعوته وكان لكل زواج حكمة خاصة ، فمنه ما أراد «الله» به إبطال عادة كانت قائمة من أيام الجاهلية وهى ظاهرة التبنى وتحريم زوجة المتبنى ، ومنها الحفاظ على كرامة بعض النساء اللاتى استشهد أزواجهن فى الجهاد ، ومنها أنه كان لكل واحدة منهن دور هام فى دعوة الإسلام وفى نشر تعاليم هذا الدين ، وكان الرسول – صلوات

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ .

الله وسلامه عليه – يُعنى بأمرهن وتعليمهن ، فكان يعلم النساء أمور الدين ويُخصّص وقتًا يجلس لهن فيه .

وكانت أمهات المؤمنين على درجة عالية من العلم ، إذا وجد النساء عندهن الإجابة على أمورهن وأحوالهن ، التى يمنعهن الحياء من التصريح بها أمام الرسول عليه الصلاة والسلام ، كالأمور الخاصة بهن .

فكان لأمهات المؤمنين أثر لا ينكر فى دعوة الإسلام ، وفى تبليغ الأحكام ..

وهنا تتجلى إحدى الحكم الدقيقة والعميقة من تعدد زوجات رسول الله (ﷺ) ، حيث كان لأمهات المؤمنين هذا الدور المؤثر فى نشر أحكام الإسلام التى تستحى المرأة عادة أن تسأل عنها الرجال ولا يقع هذا الحرج حين تكون المرأة مع بنات جنسها ولنلق نظرة سريعة على أسماء أمهات المؤمنين ثم نردف ذلك ببيان الحكمة من كل زواج .



أمهات المؤمنين

١ – السيدة خديجة (رضى الله عنها)

وهى أولى زوجاته (ﷺ) ، وكل أبنائه منها إلا إبراهيم فإنه من مارية ، زوّجه إياها أبوها خويلد بن أسد ويقال أخوها عمرو بن خويلد .

٢ – السيدة عائشة (رضى الله عنها)

وهى الصديقة بنت الصديق تزوجها وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين أو عشر سنين ، ولم يتزوج بكرا غيرها زوجه إياها أبو بكر وأصدقها أربعمائة درهم .

٣ – السيدة سودة (رضى الله عنها)

وهى سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى زوجه إياها سليط بن عمرو ، وقيل : أبو حاطب ابن عمرو ، وأصدقها أربعمائة درهم .

٤ – زينب بنت جحش (رضى الله عنها)

هى زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية زوجه إياها أخوها أبو أحمد ابن جحش ، وأصدقها الرسول (ﷺ) أربعمائة درهم .

٥ – السيدة أم سلمة – هند – (رضى الله عنها)

واسمها هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية زوجها إلى الرسول (ﷺ) سلمة بن أبى سلمة ابنها وأصدقها الرسول (ﷺ) فراشا حشوه ليف وقدحا وصحفة ورحى يطحن بها الحبوب .

٦ - السيدة حفصة (رضى الله عنها)

وهى حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجها أبوها إلى الرسول (ﷺ) وأصدقها أربعمائة درهم .

٧ - السيدة أم حبيبة (رملة ، رضى الله عنها)

وهى رملة بنت أبى سفيان بن حرب زوج الرسول (ﷺ) إياها خالد ابن سعيد بن العاص ، وهما فى الحبشة وأصدقها النجاشى عن رسول الله (ﷺ) أربعمائة دينار .

٨ - السيدة جويرية بنت الحارث (رضى الله عنها)

وهى جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، وقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس الأنصارى فكاتبها على نفسها فأتت رسول الله (ﷺ) تستعينه فى كتابتها ، فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : ماهو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ، فقالت : نعم .

٩ - السيدة صفية بنت حُيى (رضى الله عنها)

هى السيدة صفية بنت حُيى بن أخطب ، وتزوجها الرسول (ﷺ) سباها من خيبر وتزوجها ، و أولم وليمة بالسويق والتمر :

١٠ - السيدة ميمونة بنت الحارث (رضى الله عنها)

وهى السيدة ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة وقد زوجها العباس بن عبد المطلب رسول الله (ﷺ) وأصدقها العباس عن رسول الله (ﷺ) أربعمائة درهم

ويقال إنها التي وهبت نفسها للنبي (ﷺ) ، وقيل : إن التي وهبت نفسها امرأة أخرى .

١١ - السيدة زينب بنت خزيمة (رضى الله عنها)

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ابن هلال بن عامر بن صعصعة ، وهي التي كانت تكنّى بأم المساكين لرحمتها بهم ، وقد زوج الرسول (ﷺ) إياها قبيصة بن عمرو الهلالي ، وأصدقها أربعمائة درهم .

وهذا العدد من أمهات المؤمنين هن اللاتى بنى الرسول (ﷺ) بهن ، وقد مات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، وتوفى عن الباقيات وهن تسع وهناك اثنتان ولكن لم يدخل بهما وهما :

١ - أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد سا بياضا فمتعها أى أعطاها ما تتمتع به وردها إلى أهلها .

٢ - والثانية : عمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر فلما قدمت على رسول الله (ﷺ) استعاذت منه ، فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التي استعاذت منه هي كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان .

ومن زوجاته (ﷺ) السيدة «ريحانة»

وهي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة ، وفى بعض المراجع مثل «الإصابة» أنها ريحانة بنت شمعون بن زيد جاءت فى سبى بنى قريظة ، روى أنها قالت : «دخل رسول الله (ﷺ) علىّ فدعانى فأجلسنى بين يديه ، فقال إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله (ﷺ) ، لنفسه ، فقلت : فإنى أختار الله ورسوله ، فلما أسلمت أعتقنى وتزوجنى وأصدقنى اثنتى عشرة أوقية ونشا كما كان يصدق نساءه وأعرس بى فى بيت أم المنذر وكان يقسم

لى كما يقسم لنسائه» . وهناك بعض الروايات التى تقول : إنها رغبت إلى النبى (ﷺ) أن يبقيها على ملك اليمين وأن تكون مملوكة لأنه أهون عليه وعليها[1] .

ومن زوجاته : مارية أم إبراهيم عليه السلام

وكان قد أهدى المقوقس عظيم القبط للرسول (ﷺ) مارية وأختها سيرين ، فأنزلهما الرسول (ﷺ) على أم سليم بنت ملحان ، فعرض رسول الله (ﷺ) عليهما الإسلام فأسلمتا فتزوج الرسول (ﷺ) مارية وأسكنها فى مال له بالعالية وبنى لها منزلا فكان يأتيها فيه ، ووهب سيرين لحسان بن ثابت وولدت له عبد الرحمن .

(١) منتخب من كتاب «أزواج النبى (ﷺ)» لمحمد بن الحسن بن زبالة تحقيق د/ أكرم العمرى .

قضية تعدد زوجاته .. والرد على شبهات المبشرين والمستشرقين

وبمناسبة تعداد زوجات الرسول (ﷺ) ، أرى من المناسب إيضاح أهم الحقائق والحكم من وراء زواجه (ﷺ) حتى يكون فى هذا البيان وضوح الحقيقة والرد على بعض المستشرقين والمبشرين وأعداء هذا الدين الكريم حاولوا أن يجعلوا من تعدد الزوجات مفخرا لهذا الدين ..

أولا : لقد عاش سيدنا رسول الله (ﷺ) شبابه بين قومه فكانوا يقولون عنه : الصادق الأمين ، ولم يوجد أعف منه ولا أطهر فهو أعف وأطهر وأشرف من مشى على الأرض لقد عرف بعفة النفس ، وطهارة السيرة ، ونقاء السريرة ، ومكارم الأخلاق ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾[1] .

ثانيا : أن مما يدل على أنه (ﷺ) لم يكترث بالمتعة الجنسية أنه تزوج السيدة خديجة وهى تكبره فى السن فلو كان راغبا فى المتعة الجنسية لتزوج أصغر منه أو مثل سنه ، ولكنه كان يتطلع إلى الخلق والشرف والنبل والطهارة وهى المعانى التى تجلت فى السيدة خديجة (رضى الله عنها) وظل معها حتى توفيت عن خمسة وستين عاما ، وكان قد شارف عمره الخمسين ، ولم يفكر فى فترة شبابه ومطلع حياته : أن يتزوج ولا أن يعدّد زوجاته ، فلو كان طالب متعة جسدية لكانت فترة الشباب والقوة أولى بأن يعدّد الزوجات فيها ولكنه مكث هذه الفترة مع زوجة واحدة مما يدل على أنه ليس طالب شهوة أو متعة ، بل ظل معها ولم يتزوج

---

(١) سورة (ن) : ٤ .

عليها حتى جاوز عمره الخمسين ، مع أن تعدد الزوجات – حينئذ – كان مباحا إلى أى عدد كان .

ثالثا : أنه – صلوات الله وسلامه عليه – كان وقته ممتلئا بالعبادة والدعوة وأعباء الرسالة والجهاد فى سبيل «الله» ، فهو فى عناء موصول ، وفى شغل شاغل من أجل الدعوة والكفاح ، فأين مكان التمتع والراحة والقرآن يتنزل عليه : ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[1] .

رابعا : استهدف زواجه – صلوات الله وسلامه عليه – توثيق الروابط بالقبائل والأسر والرجال الذين آزروا دعوته ووقفوا إلى جواره ، كما استهدف تعدد زوجاته أن تحمل أمهات المؤمنين فقه المرأة ليشرحنه للنساء ؛ فهن أقدر على الشرح والتفصيل لبنات جنسهن حيث لا يقع الحرج والحياء الذى يحدث للرجل حين يشرح مثل هذه الأحكام الخاصة بفقه النساء للنساء .

والناظر إلى زواجه (ﷺ) كل واحدة من زوجاته يرى أن الزواج كان لحكمة دقيقة وليعلّم المسلمين أمرًا هاما وجديدًا من أمور الإسلام .

● **فبعد وفاة السيدة «خديجة»** (رضى الله عنها) ، تزوج عليه الصلاة والسلام

● **بالسيدة «سودة بنت زمعة»** وكانت تقارب السيدة خديجة فى عمرها حيث قاربت السبعين ، ولزواجه منها سبب وهو أن زوجها كان مسلما ، وتوفى ، ولا مأوى لها بعد موته إلا بيت والدها وكان والدها مشركا ، فخاف رسول الله (ﷺ) عليها أن تُفتن أو أن تؤذى من والدها فتزوجها وهى فى سن السبعين ، وواضح أن التى فى مثل سنّها وحالها ، تكون الرغبة فى الزواج منها واضحة فى الجانب الإنسانى وفى الحفاظ عليها من الأذى

---

(١) سورة المزمل : ٥ .

وفى تكريمها وتكريم زوجها المسلم الذى مات فى أن تضم إلى أمهات المؤمنين ولم يكن الداعى إلى الزواج متعة جسدية فهى كبيرة السن ولكنها الرحمة والإنسانية والمحافظة على أمثالها ، وتعليم المسلمين جوانب إنسانية مثالية فى مقاصد الزواج فى الإسلام ، وأن الزواج لا يقتصر على الشهوة والمتعة الجسدية فحسب بل إن له مقاصد أخرى هى السكن والمودة والرحمة والحفاظ على المرأة إلى غير ذلك من المقاصد .

● ثم تزوج عليه الصلاة والسلام بالسيدة «عائشة» (رضى الله عنها) ، وكانت صغيرة ، ومن كانت فى سنها لا يكون فيها مطمع لشهوة ، وكان فى زواجه منها زيادة تأكيد ودعم للرابطة التى بينه وبين أول أصحابه (رضوان الله عليهم أجمعين) .

ولقد كان زواجه منها بوحى من رب العالمين سبحانه وتعالى ولحكمة كبرى ظهرت بعد ذلك ، فقد حفظت العدد الكبير من أحاديث رسول الله (ﷺ) من أقواله وأفعاله التى ما كان يطلع عليها إلا هى ونساؤه رضوان الله تعالى عليهن ، فقد روت السيدة عائشة (رضى الله عنها) الكثير من الأحاديث والسنن والأحكام فى الأقوال وفى الأفعال وفى الصفات وخاصة ما يتعلق بفقه المرأة وجوانب الأسرة ، وكانت الحكمة الإلهية التى قيضت لها الزواج فى الصغر ، واضحة لأن الحفظ فى الصغر كالنقش على الحجر . فكانت تحفظ كل ما تسمع من قول ، وما ترى من فعل ، وما يحدث من إقرار ، وما يتضح من وصف وكانت ذات حافظة قوية وذاكرة واعية

● وتزوج رسول الله (ﷺ) السيدة «زينب أم المساكين» ، (رضى الله عنها) وكانت تقوم على رعاية الأيتام والمحتاجين ، والضعفاء والمساكين ، فتزوجها عليه الصلاة والسلام ليعينها على ذلك ، وقد ماتت فى حياته .

● وتزوج عليه الصلاة والسلام السيدة «**حفصة بنت عمر بن الخطاب**» (رضى الله تعالى عنها) ، بعد أن مات زوجها فى إحدى الغزوات وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) - بعد وفاة زوجها - قد عرض زواجها على أبى بكر فسكت ، ثم عرضها على عثمان فسكت أيضا ، وليس فى عرض سيدنا عمر على صاحبيه الزواج من ابنته أية غضاضة أو تنقيص لمنزلتها ، فمثل هذا العرض - شرعا - جائز ، خاصة إذا كان الأب يريد أن يتحرى الرجل الصالح لابنته وفى الأمثال : «**اخطب لبنتك** ..» ثم ذهب سيدنا عمر (رضى الله عنه) إلى سيدنا رسول الله (ﷺ) يقصّ عليه ماجرى ، فقال له رسول الله (ﷺ) : «**سيتزوجها من هو خير من أبى بكر وعثمان وسيتزوج عثمان من هى خير منها**» فتزوج الرسول (ﷺ) حفصة وزوّج ابنته لعثمان (رضى الله عنه) ، وكان فى زواجه (صلوات الله وسلامه عليه) من حفصة تدعيم الروابط والمودة بين أصحابه ، وتكريم لها .



زواجه (ﷺ) من زينب بنت جحش والرد على افتراءات المبشرين والمستشرقين

كانت زينب بنت جحش بنت عمة الرسول (ﷺ) متزوجة من زيد بن حارثة كان قد زوجها منه رسول الله (ﷺ)، وكان زيد يدعى زيد بن محمد حيث كان التبنى لم يحرم بعد، وعاش زيد معها، ثم حدث بينهما خلاف، وأراد رب العزة سبحانه وتعالى أن يجرى أمرا هاما، أراد أن يبطل التبنى — وكان نظاما معروفا قبل الإسلام — وأراد سبحانه أن يكرم المرأة فلا يترفع أحد عن الزواج من امرأة كانت زوجة لمن هو أقل منه حتى ولو كان مولى له من قبل، فأوحى رب العزة سبحانه وتعالى للرسول (عليه الصلاة والسلام) أنه سيتزوج من زينب..

ولقد حاول أعداء الدين، من المستشرقين والمبشرين، أن يثيروا غبارا على العصمة النبوية، وأن يرموا بالإفك والبهتان، أطهر وأعف إنسان، فزعموا — زورا وبهتانا — أن الرسول (ﷺ) أحبها وأخذها من زوجها..

وهى فرية باطلة شكلا وموضوعا، فالرسول (ﷺ) هو الذى زوج زينب لزيد بن حارثة، وهى بنت عمته، ولا تخفى عليه، فقد أراد الله تعالى بزواج الرسول (ﷺ) منها بعد ذلك أن يبطل ظاهرة التبنى، فأوحى رب العزة سبحانه لرسوله أنه سيتزوج من زينب، وكان يخشى كلام الناس فى شأن زواجه فيها فلما اشتد الخلاف بين زيد وزينب، واستأذن زيد رسول الله (ﷺ) فى طلاق زينب، قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» فعاتبه «الله»؛ لأنه كان يعلم من قبل أن «الله» قضى هذا الأمر، وأنزلت آيات القرآن تبطل التبنى وتأمر الرسول (ﷺ) بالزواج من زينب قال سبحانه:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[1] ..

- وأما زواجه (ﷺ) من السيدة «جويرية» (رضى الله عنها) فكان ذلك عقب غزوة بنى المصطلق ، حيث وقع قومها فى الأسر ، فلما أراد الرسول (ﷺ) أن يعتق المسلمون هؤلاء تزوج بجويرية وكانت من الأسرى وهى بنت كبيرهم وزعيمهم ، فأسرع باقى المسلمين يعتقون ما بأيديهم من الأسرى حيث أصبحوا أصهار رسول الله (ﷺ) فعتق بسببها مائة بيت من بيوت العرب .

- وأما زواجه من السيدة «أم سلمة» (رضى الله عنها) فمن أجل أن يقوم برعايتها ورعاية أبنائها بعد موت زوجها فى إحدى الغزوات حيث ترك لها عيالا ، فكان زواجه منها رعاية لها وكفالة لأبنائها وسموًّا بمقاصد الزواج

- وأما السيدة «صفية» (رضى الله عنها) فقد كان والدها ملك اليهود وفى

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ - ٤٠ .

الحروب التى دارت بين المسلمين واليهود مات أبوها وأخوها وزوجها ووقعت السيدة صفية وأختها ضمن أسرى غزوة خيبر ، فتزوجها الرسول (ﷺ) حيث رقّ لحالها وأعتقها.

● وأما زواجه (ﷺ) من «أم حبيبة» بنت أبى سفيان بن حرب (رضى الله عنها) ، وكانت مسلمة وهاجرت مع زوجها المسلم إلى الحبشة ثم ارتد زوجها فأرسل النبى (ﷺ) إلى النجاشى ملك الحبشة يوكله فى تزويجه إياها ، فوافقت وتزوجها ؛ تقديرا لها وتكريما وإعزازا ، ولم يتركها فى غربتها بلا عائل ، بعد فراق زوجها .

● وأما زواجه من السيدة «ميمونة» (رضى الله عنها) فكان تأليفا لقومها .
وهكذا كان عليه الصلاة والسلام فى كل زواج له حكمة إنسانية وهدف معين ، ولم يكن زواجه من أجل متعة جسدية بدليل أن كثيرات من أمهات المؤمنين كن فى عمر كبير ، ومثلها لا تشتهى ، وإنما للسكن والمودة والرحمة ، وتكريم بعض اللاتى استشهد أزواجهن فأراد تكريمهن وضمهن إلى بيت أمهات المؤمنين ، كما كان لأمهات المؤمنين دور أصيل فى الدعوة الإسلامية وتعليم النساء أحكام الدين والفقه ...

هذا وعدد النساء اللاتى توفى رسول الله (ﷺ) وهن فى عصمته تسع نظمهن الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسى المتوفى عام أحد عشر وستمائة من الهجرة بمصر ، حيث قال :

توفى رسول الله عن تسع نسوة إليهنّ تُعزَى المكرمات وتُنسبُ
فعائشة ميمونة وصفية وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست كلهنّ مهذب

حجـة الـوداع

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : فيما أخرجه الإمام مسلم :

مكث رسول الله (ﷺ) بالمدينة المنورة تسع سنين لم يحج ثم أذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله (ﷺ) حاج ، فقدم المدينة بشر كثير فكلهم يلتمس أن يأتم برسول الله (ﷺ) ويعمل مثل عمله ..

وخرج رسول الله (ﷺ) من المدينة لخمس ليال بقين من ذى القعدة ، قال جابر - رضى الله عنه : **فلما استوت به ناقته فى البيداء نظرت إلى مدّ بصرى بين يدى رسول الله (ﷺ) من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله (ﷺ) بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن** . وقد روت السيدة عائشة (رضى الله عنها) إحرام رسول الله (ﷺ) فى حجة الوداع حيث قالت :

خرجنا مع رسول الله (ﷺ) فقال : «من أراد منكم أن يُهل بحج وعمرة فليفعل ، ومن أراد أن يُهل بحج فليُهل ، ومن أراد أن يُهلّ بعمرة فليهل».

قالت السيدة عائشة (رضى الله عنها) : **«فأهَلَّ رسول الله (ﷺ) بحج ، وأهل به ناس معه ، وأهل ناس بالعمرة والحج ، وأهل ناس بعمرة ، وكنت فيمن أهل بعمرة»**[1] .

وكان خروج السيدة عائشة هذا فى حجة الوداع ، وسميت بذلك ؛ لأن النبى (ﷺ) ودع الناس فيها ، وكانت سنة عشر من الهجرة .

وقد أباح الرسول (ﷺ) للمسلمين هذه الأنواع الثلاثة - **الإفراد ، والتمتع ، والقران** - ليوضح للمسلمين جوازها ولو أمر بواحد من هذه الأنواع لظن بعض الناس أنه لا يجوز إلا النوع الذى حدده .

---

(١) رواه مسلم .

وأما إحرامه بالحج مفردا فقد أخذ بالأفضل ، وأما ما جاء فى بعض الروايات بأنه كان متمتعا فعلى معنى أنه أمر بالتمتع .

وأما ما روى أنه كان قارنا فهذا إخبار عن حالته الثانية لا عن ابتداء إحرامه .

قال الإمام النووى (رحمه الله تعالى) : **والصحيح أنه (ﷺ) كان أولا مفردا ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا .**

وطريق الجمع بين الروايات والآراء المختلفة التى يقول بعضها إنه (ﷺ) كان مفردا أو قارنا أو متمتعا ، أنه (ﷺ) كان أولا مفردا ثم صار قارنا ، فمن روى الإفراد هو الأصل ومن نوى القران اعتمد آخر الأمرين ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوى وهو الانتفاع والارتفاق .

ودخل رسول الله (ﷺ) مكة من أعلاها من طريق كداء حتى انتهى إلى باب بنى شيبة ، وقال عندما رأى البيت : «اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من عظّمه ممن حجّه واعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما وبرًّا» وفى عرفات صلى الظهر والعصر جمع تقديم ووقف حتى غربت الشمس ، ثم دفع بعد ذلك إلى المزدلفة وهو يشير بيده اليمنى قائلا :

«أيها الناس السكينة ، السكينة» فصلى فى المزدلفة المغرب والعشاء جمع تأخير ، وبات تلك الليلة فى المزدلفة ثم دفع قبل أن تطلع الشمس إلى منى ، فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها ثم انصرف إلى المنحر ، فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم أعطى عليًّا فنحر بقية المائة ، ثم ركب رسول الله (ﷺ) فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر ...

خطبـة الــوداع

وفى يوم عرفة ألقى خطبته الجامعة ، وهى خطبة الوداع وهذا نصها :

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله (ﷺ) على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بين فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : **«أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله إنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله . وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث . فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية ، أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس ، إن النسىء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا . يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . فيحلوا ما حرم الله . ويحرموا ما أحل الله . وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر ، الذى بين جمادى وشعبان ، أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن**

عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا . فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا . وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولى . فإنى قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا . أمرا بينا . كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس . اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم . وأن المسلمين أخوة . فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟» . .

فذكر لى الناس قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله (ﷺ) : «اللهم اشهد» .

الرسول (ﷺ) يلحق بالرفيق الأعلى

عندما أراد «الله» تعالى أن يلحق رسوله (صلوات الله وسلامه عليه) بالرفيق الأعلى ، شاء «الله» تعالى له أن يمرض وكل شيء بإرادة «الله» ، وحتى لا يتخيل بعض الناس أن المرض أذى أو أن فيه غضبا على المريض فها هو أشرف الخلق مرض مرض الموت ، واشتد به مرضه ، وخرج يمشي بين رجلين هما الفضل ابن العباس وعلى بن أبي طالب حتى دخل بيت السيدة عائشة رضي الله عنها فقال :

«هريقوا علىّ سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم» فأجلسوه فى مخضب[1] حفصة بنت عمر بن الخطاب ثم صبوا عليه الماء حتى جعل يقول : **«حسبكم حسبكم»** وخرج رسول الله (ﷺ) حتى جلس على المنبر ، وكان أول ما تكلم به ، أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم ثم قال :

«إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عنده فاختار ما عند الله» ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : **«على رسلك يا أبا بكر»** ، ثم قال : **«انظروا الأبواب – اللافظة – (أى النافذة) فى المسجد فسدوها إلا بيت أبى بكر فإنى لا أعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه»**[2] .

ولما رجع الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) إلى حجرته ، وثقل به المرض وكان يعانى من آلامه وبُرحائه فقالت فاطمة ابنته : واكرب أبتاه فقال : **«لا كرب على أبيك بعد اليوم»**[3] .

---

(١) هو إناء يغتسل فيه .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص٥٠٣ ط المنار .
(٣) رواه البخارى .

وقال (ﷺ) : «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فكان أبو بكر يصلى بهم ، حتى جاء فجر يوم الإثنين الذى شاء الله تعالى فيه أن يلحق الرسول (ﷺ) بالرفيق الأعلى ، فخرج عليه الصلاة والسلام إلى الناس عندما كانوا يصلون الصبح ، فرفع الستر وفتح الباب وقام على باب السيدة عائشة (رضى الله عنها) ، فكاد المسلمون يُفتنون فرحًا برسول الله (ﷺ) ، ظنا أنه قد برأ من مرضه ، فأشار عليهم أن يثبتوا وتبسم سرورا بهم وصلى معهم جالسا على يمين أبى بكر ، ثم دخل - بعد ذلك - الحجرة ، وانصرف الناس ، وذهب أبو بكر ، فلما خرج على بن أبى طالب (رضى الله عنه) من عند رسول الله (ﷺ) ، فقال له الناس : ياأبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله (ﷺ) ؟ فأجابهم قائلا : أصبح بحمد «الله» بارئا ثم وضع رأسه فى حجر السيدة عائشة (رضى الله عنها) ، ودخل رجل معه سواك فجعل رسول الله (ﷺ) ينظر إليه ففهمت السيدة عائشة (رضى الله عنها) أنه يريد السواك فليّنته وأعطته إياه ، فاستاك به وثقل رأسه ، فنظرت إليه عائشة ، فإذا بصره شاخص وهو يقول : «بل الرفيق الأعلى من الجنة» قالت السيدة عائشة (رضى الله عنها) : فقلت : خيرت ، فاخترت ، والذى بعثك بالحق[1] وفاضت روحه إلى بارئها .. (صلوات الله وسلامه عليه) .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : لما توفى رسول الله (ﷺ) ، قام عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله (ﷺ) قد توفى ، وإن رسول الله (ﷺ) ما مات ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم

---

(١) سيرة ابن هشام .

بعد أن قيل : قد مات ، وو «الله» ليرجعن رسول الله (ﷺ) كما رجع موسى ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله (ﷺ) مات .

وأقبل أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) فدخل على رسول الله (ﷺ) وهو مسجى بثوبه ، فكشف عن وجهه الشريف ، فقبله وقال : بأبى أنت وأمى ، طبتَ حيا وميتا يارسول الله ، ثم سجاه .. واستقبل الناس فحمد «الله» وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد «الله» فإن «الله» حى لا يموت ثم تلا الآية الكريمة :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾[1] .

فكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية قد نزلت قبل ذلك .. وقال عمر (رضى الله عنه) : و «الله» ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقرت[2] ما تقلنى رجلاى وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، وعرفت أن رسول الله (ﷺ) قد مات فصلوات «الله» وسلامه عليك ياخاتم المرسلين ، ويا من بعثك «الله» رحمة للعالمين .



(١) سورة آل عمران : ١٤٤
(٢) دهشت

من شمائل رسول الله (ﷺ) ومكارم أخلاقه

إن ثمرة الدراسة التحليلية للسيرة النبوية العطرة ، أن نقف على الحياة النبوية الشريفة ، التى تعتبر السيرة بالنسبة لها تجسيدا حيًّا لحياته (ﷺ) فى جميع أطوارها .

وواضح أن حياة رسول الله (ﷺ) ، قد نقلت جميعها بكل تفاصيلها ، نقلت كلياتها وجزئياتها ، وليس فيها شىء سِرِّى ، ولا أمر خفى .

فحياة الكثير من عظماء البشر فيها جوانب معروفة ، نقلها التاريخ وعرفها الناس وتناقلوها ، وفيها جوانب سرية ، وأمور خفية ، لم يذكرها التاريخ ، ولم يعرف أحد من الناس عنها شيئا ، خاصة الأمور الأسرية ، والأمور التى تتعلق بأسرارهم ، أو التى يمكن أن يتوجه النقد إليهم بسببها ، بل ربما أخفى بعض عظماء التاريخ الكثير من صفحات حياتهم لأنهم يعتبرونها شخصية أو لا يحبون أن يعرفها عنهم أحد ...

أما حياة سيدنا محمد بن عبد الله (عليه أفضل الصلاة والسلام) فقد نقلت بحذافيرها ، وجميع أطوارها ما قبل الرسالة وما بعدها وحياته فى السلم وفى الحرب ، وفى النوم وفى اليقظة ، وفى الأسرة وخارج الأسرة ، وفى الجد وفى غيره .. بل إن الأمور التى تعتبر عند البعض أمورا شخصية وأسرته وخاصة نقلت أيضا عن رسول الله (ﷺ) فلم يعد فيها شىء خفى حتى حياته مع زوجاته ، حتى ما كان يقوله عند معاشرة زوجاته : «بسم الله اللَّهُمَّ جنِّبْنَا الشيطانَ وجنِّبِ الشيطانَ مارزقتنا» حتى كيفية قضائه لحاجته ، وكيفية اغتساله ، إلى غير ذلك من الأمور ... وبماذا نُقلت ؟ إنها نقلت بأدق طرق

النقل التى لا تعرف الدنيا لها مثيلا ، حتى إن علماء الحديث النبوى وأرباب الرواية ؛ ابتكروا علما لم يُسبقوا إليه ، وهو علم : (**مصطلح الحديث**) وزنوا به كل خبر جاءهم عن الرسول (ﷺ) بأدق طرق النقل التى لا تعرف الدنيا لها مثيلا ، وإنما نُقلت كل حياته على هذا النحو ؛ لأنه (ﷺ) خاتم للأنبياء والمرسلين ، فلا نبى بعده ولا رسول ، لأن رسالته عامة وخالدة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، ولأنه (صلوات الله وسلامه عليه) هو الأسوة الحسنة الذى يُقتدى به فى : قوله ، وفى فعله ، وفى تقريره ، وفى صفاته ، كما قال رب العزة سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] ...

فرسول الله (ﷺ) هو الأسوة الحسنة المستمرة إلى أن تقوم الساعة ، أكمل «الله» على يديه الدين ، وأتم به النعمة ، كما قال «الله» سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[2] .

وكان متمما لمكارم الأخلاق التى نادى بها مَنْ قبله من الرسل فجاء كمالها وتمامها على يديه ، كما قال (صلوات الله وسلامه عليه) : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» .

وكما تحدث الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) عن موقفه من إخوانه السابقين ، من الأنبياء والمرسلين حين قال : «**مَثَلِى ومَثَلُ الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟!، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**» .

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .   (٢) سورة المائدة : ٣ .

ومن أجل هذا كله نرى أن «الله» تعالى جمع فى رسوله (صلوات الله وسلامه عليه) جميع الشمائل الحميدة ، والمكارم الفريدة ، وما كان عليه الرسل السابقون من هدايات جمعها «الله» له وقال :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[1] .

ومن قول الإمام على (كرم الله وجهه) فى وصف شمائل الرسول (ﷺ) :

كان رسول الله (ﷺ) يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ، ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بِشْرَه وخُلُقَه ، ويتفقَّد أصحابه ، ويسأل الناس عما فى الناس . ويحسِّن الحسن ويقويه ، ويقبح القبح ويوهيه ، معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه .

وقال الحسين (رضى الله عنه) – فسألته – أى سأل الإمام عليًّا (كرم الله وجهه) عن مجلسه (ﷺ) كيف كان ؟ فقال : كان رسول الله (ﷺ) لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر «الله» تعالى ، ولا يوطن الأماكن ، وينهىَ عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى قوم جلسَ حيث ينتهىَ به المجلس ويأمر بذلك ، يعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه ، من جالَسَه أو فاوضه فى حاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف ..

ومن مكارم أخلاقه ، فى معاملة الناس أنه كان يتغافل عن سفه أهل الباطل ، ويقبل ظواهر أقوالهم ، روى أن جماعة من اليهود استأذنوا على رسول الله (ﷺ) ، **فقالوا : السام عليكم ، فقالت عائشة : بل عليكم السام واللعنة ، فقال (ﷺ) : «يا عائشة إن الله يحب الرفق فى الأمر كله» ، قالت : ألم**

---

(١) سورة الأنعام : (٩٠) .

تسمع ما قالوا ؟ قال : «قد قلت : وعليكم»[١]. فهم يقصدون «السام» بمعنى الموت ، فأجرى القول على ظاهره منهم ، وقال فى الجواب : و «عليكم» أى عليهم مثل قولهم ..

● وكان عليه الصلاة والسلام شديد الحياء ،عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : «كان رسول الله (ﷺ) أشدَّ حياء من العذراء فى خِدْرِها ، فإذا رأى شيئا يكرهُهُ عرفناه فى وجْهِهِ»[٢] وقد عرف العلماء الحياء بأنه خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق .
وهو من أهم شعب الإيمان ، ولذا خصه الرسول (ﷺ) بالتنبيه عليه ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شُعْبَة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[٣]
وثمرة الحياء : الخير فى كل ما يأتى الإنسان وفى كل أقواله وأفعاله وأحواله عن عمران بن حصين (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : «الحياء لايأتى إلا بخَيْر»[٤] .

● ومن سمات الوقار والسكينة أنه كان (صلوات الله وسلامه عليه) إذا ضحك تبسَّم ولا يقهقه ، عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : «ما رأيت رسول الله (ﷺ) مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضاحكا حتى تُرى منه لَهَوَاتُه ، إنما كان يَتَبَسَّمُ»[٥] ومَعنى كلمة (مستجمعا) أى يبالغ فى الضحك و «اللهوات» جمع لهاة وهى اللحمة التى فى أقصى سقف الفم .

● ومن مكارم أخلاقه (ﷺ) ما رواه أبو هريرة (رضى الله عنه) قال : «ما

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه البخارى ومسلم .

عاب رسول الله (ﷺ) طعامًا قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه»[1] .

● ومن شمائله الكريمة ، ومكارم أخلاقه العظيمة : سخاؤه الكثير ، وجوده الذى فاق الرياح المرسلة ، عن أنس (رضى الله عنه) قال : «مَا سُئِلَ رسول الله (ﷺ) على الإسلام شيئا إلا أعطاه ، ولقد جاءه رجلٌ فأعطاه غنما بين جَبَلَيْن ، فرجع إلى قومه فقال : ياقوم أسلموا فإن محمدًا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، وإن كان الرجل ليُسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحَبُّ إليه من الدنيا وما عليها»[2] .

وعن عائشة (رضى الله عنها) أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبى (ﷺ) : «ما بقى منها ؟» قالت : ما بقى منها إلا كتفها قال : «بقى كلُّها غيرَ كتفها»[3] .

● ومن مكارم أخلاقه (ﷺ) : حِلْمُه وصَفْحُه ، عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: كنت أمشى مع رسول الله (ﷺ) وعليه بُرْدٌ نَجْرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فَجبذه بردائه جَبْذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله (ﷺ) قد أثّرت بها حاشية البرد من شدّة جبذته ، ثم قال : يامحمد مُرْ لى من مالِ الله الذى عندك ، فالتفت إليه رسول الله (ﷺ) ثم ضحك ثم أمر له بعطاء[4] . وهذا الحلم والصفح من أهم العوامل التى أثرت فى قلوب الناس وجعلتهم يلتفون حوله ، فلو كان فظا أو غليظا لانفضُّوا من حوله .

ومن ذلك أيضا : ما رواه ابن مسعود (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : «لا يُبَلِّغنِى أحَدٌ عن أحَدٍ من أصحابى شيئا ، فإنى أحبُّ

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الترمذى . (٤) رواه أحمد والبخارى ومسلم .

أن أخرُجَ إليهم وأنا سليمُ الصَّدْر» قال عبد الله : فأُتِيَ رسول الله (ﷺ) بمال فقسمه ، فانتهيت إلى رجلين جالسين وهما يقولان : والله ما أراد محمد بِقسمته التى قسمها وجه الله ولا الدار الآخرة ، فتثبَّتُّ حين سمعتهما ، فأتيت رسول الله (ﷺ) وأخبرته فاحمرّ وجهه وقال : «دعْنى عنك ، فقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصَبَرَ»(١) . فإذا كان رسول الله (ﷺ) وهو أكمل الخلق ، وأطهر الناس وهو المعصوم ، ومع هذا لا يحب أن يبلغه أحد عن أحد شيئا حتى لا يتأثر بكلام الناس بعضهم عن بعض ، فما بالنا بنا نحن سائر البشر ونحن غير معصومين ، لاشك أن نقل الكلام يُوغر الصدور ويشيع الضغائن ، ويمزق أواصر الود بين الناس .

وهذا التوجيه النبوى إلى جانب هذا يرشد بعض الناس الذين يتلمسون نقائص الناس ، ويتصيدون أخبارهم وزلاّتهم ، وبعض المسئولين يتجسسون على إخوانهم ويحاولون إلصاق بعض التهم بهم ، يرشدهم هذا التوجيه النبوى إلى البعد عن مثل هذا السلوك بل إن بلغهم البعض شيئا عن الآخرين لا يكون الواحد منهم رجلا أُذُنا يسمع كل ما يقال ، ويصدق كل ما يسمع ، ويتحامل على الآخرين ظلما وعدوانا .. بل حتى لو حدث ما قيل فعليه أن يقتدى برسول الله (ﷺ) الذى قال لمن نَقَل إليه : «دَعْنى عنك ، فقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر» .

● ومن مكارم أخلاقه (ﷺ) : تواضعه ، فقد كان عليه الصلاة والسلام جمّ التواضع ، عن جرير بن عبد الله (رضى الله عنه) قال : أُتِيَ النبى (ﷺ) برجل تُرْعِدُ فرائصه ، قال : فقال له : «هَوِّنْ عليك ، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديدَ فى هذه البطحاء» ثم تلا جرير ابن عبد الله البَجَلى :

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[1] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : **«اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة»** فقالت عائشة (رضى الله عنها) : **لِمَ يارسولَ الله ؟!**

قال : **«إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، ياعائشة ، لا تردّى المسكين ولو بشق تمرة ، ياعائشة ، أحبى المساكين وقرّبيهم فإن الله يقربك يوم القيامة»**[2] .

● **هذا وإن** شمائل رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) ، **ومكارم أخلاقه لا تحصى ومحامده لا تستقصى ، ولا أحد يستطيع أن يجمع شمائله ومحامده ، ولا أن يثنى عليه بما هو أهله ، بعد أن أثنى عليه رب العزة** سبحانه وتعالى فى قوله جل شأنه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3] .

ورحم الله القائل :

يامصطفى من قبل نشأة آدم ... والكون لم يفتح له إغلاق

أيروم مخلوقٌ ثناءك بعدما ... أثنى على أخلاقك الخلاّق ؟

وخير ما وصفت به أخلاقه وصفا جامعا : ما جاء عن سعد بن هشام ابن عامر أنه أتى السيدة عائشة (رضى الله عنها) يسألها ، فقال : **ياأم المؤمنين أنبئينى عن خُلُقِ رسول الله (ﷺ) ؟ قالت : ألستَ تقرأ القرآن ؟ قلتُ : بلى ، قالت : «فإن خلق نبى الله (ﷺ) كان القرآن»**[4] .

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم والطبرانى فى الأوسط . سورة (ق) : ٤٥ .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٣) سورة القلم : ٤ .

(٤) رواه أحمد والحاكم والنسائى وأبو داود .

الرسـول (ﷺ) فـى بيتـه

لقد وصف «الله» تعالى رسوله (صلوات الله وسلامه عليه) بالرأفة والرحمة وهما وصفان عامان وشاملان لجميع الناس للقريب والبعيد من المؤمنين ، حيث قال جل شأنه : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

وركز بعثته للأمة ، وحدّد رسالته إليها فى الرحمة بالعالمين حيث قال جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] .

والرحمة بالجميع يدخلَ فيها – دخولا أوليًا – الرحمة بالأهل والزوجات والأبناء ، فكان (صلوات الله وسلامه عليه) رحيما بأهله ، طيب العشرة مع أمهات المؤمنين ، وسائر الأهل والأقربين ويدعو المسلمين أن يكونوا كذلك مع أهليهم ، ويوضح لهم أن حسن معاملة الأهل دلالة على خيريّة الإنسان ، فيقول (صلوات الله وسلامه عليه) :

«خيرُكُمْ خيْرُكُمْ لأهلهِ ، وأنا خيرُكُم لأهْلِى»[3] .

ويربط بين كمال الإيمان وحسن الخلق وملاطفة الأهل فيقول صلوات الله وسلامه عليه : **«إنَّ مِنْ أكْمَل المؤمنينَ إيمانًا أحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وألطَفُهُمْ بأهْلِهِ»**[4] .

ومن حسن معاشرته لأهله ، ومؤانسته أنه كان يسابق السيدة عائشة (رضى الله عنها) ، وقد سابقها مرة فسبقته ، حتى إذا مضى وقت ، قال لها : **«تعالى أسابقك»** ، تقول السيدة عائشة (رضى الله عنها) : **وكنت بدنت وسمنت فسبقنى ، وجعل يضحك** (ﷺ) **ويقول : «هذه بتلك»**[5] وكان بسّاما

(١) سورة التوبة : ١٢٨ . (٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .
(٣) رواه الترمذى . (٤) رواه الترمذى .
(٥) رواه أحمد وأبو داود عن عائشة (رضى الله عنها) .

يضفي على بيته الفرح والسرور ، فقد سئلت السيدة عائشة (رضى الله عنها) : **كيف كان (ﷺ) إذا خلا في بيته ؟ فقالت : كان ألين الناس بسّاما ضحاكا**[١] .

ويضرب (صلوات الله وسلامه عليه) أروع الأمثلة على حبه لأهله ، وحنانه وعطفه ومساعدته لأهله ، وذلك بأن كان يقوم بمهنة أهله في تواضع جم ، فلا يترفع على عمل من الأعمال في بيته ، فيقوم بخدمة نفسه ، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم ...

عن الأسود (رضى الله عنه) قال : سألت عائشة (رضى الله عنها) : **ما كان النبي (ﷺ) في أهله ؟**

قالت : **كان في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة**[٢] بل إنه (صلوات الله وسلامه عليه) ، لا يجد حرجا من بعض الأعمال التي يأتيها في بيته بنفسه ، ربما لا يأتيها بعض الناس ، عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) ، أنها سُئِلت : **ما كان رسول الله (ﷺ) يعمل في بيته ؟ قالت : كان يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم**[٣] .

وكان عليه الصلاة والسلام وفيًا لزوجته السيّدة خديجة (رضى الله عنها) ، فكان يذكرها بالخير والتقدير ، بعد وفاتها ، وكانت السيدة عائشة (رضى الله عنها) تغار منها ، حتى لقد قالتْ له مرة : **هل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها ؟** فغضب ، وقال : «**لا والله ما أبدلني الله خيرا منها آمنت بي إذ كَفَر الناسُ ، وصَدَّقَتِني إذ كذبني النَّاسُ ، وواسَتْني بمالها إذ حَرَمَني الناسُ ، ورَزَقَني الله منها الوَلَدَ دون غيرها من النساء**»[٤] ومن وفائه للسيدة

(١) رواه ابن سعد .
(٢) رواه البخاري ، وأحمد ، والترمذي .
(٣) رواه أحمد ، والبيهقي في دلائل النبوة .
(٤) رواه البخاري .

خديجة (رضى الله عنها) بعد وفاتها ، أنه كان يكرم صديقاتها ، فكان إذا جاءته هدية قال : **«اذهبوا بها إلى بيت فلانة ، فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة»** ، وكان (صلوات الله وسلامه عليه) يذبح الشاة فيهديها إلى خلائل خديجة .

ودخلت عليه امرأة فهشَّ لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : **«إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن كرم العهد من الدين»** .

كما كان وفيًّا لمرضعته حليمة السعدية ، فقد وفدت عليه بعد غزوة حنين ، فلما رآها قال : **«مرحبا بأمي وبسط لها رداءه وأجلسها عليه»** .

وكان (صلوات الله وسلامه عليه) محبا للأبناء والأحفاد ، حانيا عليهم ، رفيقا بهم ورحيما ، ومن رحمته ما رواه أنس (رضى الله عنه) **أن رسول الله (ﷺ) دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله (ﷺ) تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يارسول الله ؟** فقال : **«ياابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال : إن العينَ تَدْمَعُ ، والقلبَ يَحْزَنُ ، ولا نقول إلا ما يرضى رَبَّنَا وإنَّا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون»**[1] .

وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت : **قَبَّل رسول الله (ﷺ) الحسن والحسين ابنى على ، وعنده الأقرع بن حابس التميمى ، فقال الأقرع : إن لى عشرة ما قبلت منهم أحدًا قط ، فنظر إليه رسول الله (ﷺ) ، ثم قال : «من لا يَرْحَمْ لا يُرحم»**[2] .

وعن البراء (رضى الله عنه) قال : **رأيت رسول الله (ﷺ) والحسن على عاتقه يقول (ﷺ) : «اللهم إنى أحِبُّه فأحبه»**[3] .

---

(١) رواه البخارى . (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

وكان الحسن والحسين ريحانتيه (ﷺ) يحبها حبا جما ، فهما أحب أهل بيته إليه ، عن أنس (رضى الله عنه) قال : سئل النبى (ﷺ) : أى أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : «الحسن والحسين»[1] وكان يقول لفاطمة . «أدعى لى ابنىَّ» ويضمهما إليه (رضى الله عنهما) .

وكان (صلوات الله وسلامه عليه) يعاشر زوجاته معاشرة حسنه تتسم بالحلم والصبر وسعة الصدر ، حتى كن يراجعنه الكلام وكانت الوصية بالأهل من آخر ما وصى به الرسول (ﷺ) حيث قال : «الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم لا [illegible]وهم مالا يطيقون [illegible] الله الله فى النساء ؛ فإنهن عَوَانٍ – (أى [illegible] – فى أيديكم ، أخذتموهن بأمانة [illegible] واستحللتم فروجهن بكلم[illegible]

وقال الإمام [illegible] الغزالى (رحمه الله) : واعلم [illegible] حسن الخلق معها – أى المرأ[illegible] الأذى عنها ، بل احتمال [illegible] الحلم عند طيشها وغضبها [illegible] برسول الله (ﷺ) ، فقد [illegible] أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل .. اهـ . ومن وصاياه : قوله (ﷺ) : «[illegible]وصوا بالنساء خيرًا ...»[3] .

ولقد وضَّح الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) أن أفضل النفقة ما كان على الأهل ، حيث قال : «دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرًا الذى أنفقته على أهلك»[4] .

ويخبرنا رسولنا (صلوات الله وسلامه عليه) أن اللقمة إذا وضعها الإنسان فى فم زوجته يؤجر عليها .. وقد يكون ذلك للمداعبة وإدخال السرور عليها ،

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه النسائى وابن ماجه .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .

فقد قال (صلوات الله وسلامه عليه) لسيدنا سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) : **«وإنّك لن تنفِقَ نفقةً تبتغى بها وجْهَ الله إلا أجرْتَ عليها حتى اللُّقْمَة تضَعُهَا فى فم امرأتك»**[1] ومن ملاطفته وإدخاله السرور على أهله وتسامحه أنه سمح للحبشة يلعبون فى المسجد بالحراب والسيدة عائشة (رضى الله عنها) واقفة خلفه تنظر إليهم ..

قالت السيدة عائشة (رضىَ الله عنها) : سمعت أصوات الناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون ، فقال لى رسول الله (ﷺ) : **«أتحبين أن ترى لعبهم ؟»** قلت : **نعم ، فأرسل إليهم فجاءوا ، وقام رسول الله (ﷺ) بين البابين فوضع كفه على الباب ، ومدّ يده ووضعت دقنى على يده ، وجعلوا يلعبون وأنظر ، وجعل رسول الله (ﷺ) يقول «حسبك» وأقول : اسكت ، مرتين أو ثلاثا . ثم قال : «ياعائشة حسبك» فقلت : نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا**[2] .

وهكذا نرى حياته (صلوات الله وَسلامه عليه) ، تتسم بالرحمة فى كل جوانبها حياته الأسرية ، وحياته فى الخارج ، وصدق «الله» إذ يقول :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] .

صلوات الله وسلامه عليك ياصاحب السيرة العطرة ، وعلى آلك وصحبك أجمعين .

ونضرع إلى «الله» تعالى أن ينفع بهذه السيرة التى تمثل أشرف سيرة فى الوجود .. وأن يغفر لى ولوالدى وللمؤمنين إنه سميع قريب مجيب ، وآخر دعوانا أن الحمد «لله» رب العالمين وصلى «الله» على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه آمين .

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى .
(٣) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

أبو بكر الصديق

رضى الله عنه

أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسمه: عبدالله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب، القرشى، التيمى، يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة.

قال النووى(1) فى تهذيبه: وما ذكرناه ـ من أن اسم أبى بكر [الصديق] عبدالله ـ هو الصحيح المشهور، وقيل: اسمه عتيق، والصواب الذى عليه كافة العلماء أن عتيقاً لقب له لا اسم، ولُقِّب عتيقا لعتقه من النار، كما ورد فى حديث رواه الترمذى، وقيل: لعتاقة وجهه ـ أى حسنه وجماله ـ قاله مصعب بن الزبير، والليث بن سعد، وجماعة، وقيل: لأنه لم يكن فى نسبه شىء يُعاب به.

قال مصعب بن الزبير وغيره: وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولازم الصدق، فلم تقع منه هَناة ما، ولا وَقفة فى حال من الأحوال، وكانت له فى الإسلام المواقف الرفيعة منها قصته [يوم] ليلة الإسراء، وثباته، وجوابه للكفار فى ذلك، وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتركُ عياله وأطفاله، وملازمته فى الغار وسائرِ الطريق، ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر فى تأخر دخول مكة. ثم بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عبداً خَيَّره الله بين الدنيا والآخرة [فاختار الآخرة] ثم ثباتُه يوم وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام وخطبته الناس وتسكينهم، ثم قيامه فى قضية البيعة لمصلحة المسلمين، ثم اهتمامه [وثباته] فى بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وتصميمه فى ذلك، ثم قيامه فى قتال أهل الردة ومُناظرته للصحابة حتى حَجَّهم بالدلائل، وشَرَحَ الله صدورهم لما شرح

---

(1) الكلام من هنا إلى آخر ما ذكر المؤلف منقول عن كتاب «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام النووى (٢-١٨١ مصر) وقد راجعنا ما هنا على ما هناك.

له صدره من الحق - وهو قتال أهل الردة - ثم تجهيز الجيوش إلى الشام لفتوحه وإمدادهم [بالأمداد] ، ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه وأجل فضائله ، وهو استخلافه على المسلمين عمر رضى الله عنه [وتفرّسه فيه ، ووصيته له ، واستيداعه الله الأمة ، فخلفه الله عز وجل فيهم أحسن الخلافة ، وظهر لعمر الذى هو حسنة من حسناته وواحدة من فعلاته تمهيد الإسلام ، وإعزاز الدين ، وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهره على الدين كله] ، وكم للصديق من مناقب ومواقف وفضائل لا تحصى ؟ هذا كلام النووى .

وأقول : قد أردت أن أبسط ترجمة الصديق بعض البسط ، ذاكراً فيه جملة كثيرة مما وقفت عليه من حاله ، وأرتّب ذلك فصولا .

فصل

فى اسمه ، ولقبه

تقدمت الإشارة إلى ذلك . قال ابن كثير : اتفقوا على أن اسمه عبد الله ابن عثمان ، إلا ماروى ابن سعد عن ابن سيرين أن اسمه عتيق[1] ، والصحيح أنه لقبه . ثم اختلف فى وقت تلقيبه به ، وفى سببه ، فقيل : لعتاقة وجهه - أى لجماله - قاله الليث بن سعد ، وأحمد بن حنبل ، وابن معين ، وغيرهم ، وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : لقدمه فى الخير ، وقيل : لعتاقة نسبه - أى : طهارته إذ لم يكن فى نسبه شىء يُعاب به - وقيل : سمى به أولا ، ثم سمى بعبد الله . وروى الطبرانى عن القاسم بن محمد أنه سأل عائشة - رضى الله عنها ! - عن اسم أبى بكر ، فقالت : عبد الله ، فقال : إن الناس يقولون عتيق ، قالت : إن

---

(١) العتيق فى اللغة : القديم ، والجليل ، والمحرر بعد الرق ، ومن الأول قالوا لبيت الله الحرام الذى بمكة ، البيت العتيق ، وتقول : عتق هذا الشىء عتقاً وعتاقة ، تريد أنه قدم .

أبا قحافه كان له ثلاثة أولاد سماهم : عتيقاً ، ومعتقاً، ومعيتقاً. وأخرج ابن مَنْده، وابن عساكر عن موسى بن طلحة ، قال : قلت لأبي طلحة : لم سمى أبو بكر عتيقاً؟ قال : كانت أمه لا يعيش لها ولد ، فلما ولدته استقبلت به البيت ، ثم قالت : اللهم إن هذا عتيق من الموت فهبه لي . وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : إنما سمى عتيقاً لحسن وجهه . وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : اسمُ أبي بكر الذى سماه به أهله عبدُ الله ، ولكن غلب عليه اسم عَتيق ، وفى لفظ: ولكنَّ النبى صلى الله عليه وسلم سماهُ عتيقاً . وأخرج أبو يعلى فى مسنده ، وابن سعد ، والحاكم وصححه ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : والله إنى لفى بيتى ذاتَ يوم ورسولُ الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه فى الفناء والستر بينى وبينهم إذ أقبل أبو بكر ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « من سَرَّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبى بكر » ، وإن اسمه الذى سماه أهله عبد الله فغلب عليه اسم عتيق . وأخرج الترمذى والحاكم ، عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر دخل على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا أبا بكر ، أنت عتيق الله من النار ، فمن يومئذ سمى عتيقاً . وأخرج البزار والطبرانى ، بسند جيد عن عبد الله بن الزبير ، قال : كان اسم أبى بكر عبد الله ، فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام « أنت عتيق الله من النار » فسمى عتيقاً .

وأما الصديق فقيل : كان يلقب به فى الجاهلية ؛ لما عرف منه من الصدق ذكره ابن مسدى . وقيل : لمبادرته إلى تصديق رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما كان يخبر به . قال ابن إسحاق عن الحسن البصرى وقتادة : وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء . وأخرج الحاكم فى المستدرك عن عائشة رضى الله عنها ، قالت: جاء المشركون إلى أبى بكر ، فقالوا : هل لك إلى صاحبك ؟ يزعم أنه أُسْرِىَ به الليلةَ إلى بيت المقدس ، قال : أَوَ قَالَ ذلك ؟ قالوا : نعم ، فقال : صدق ، إنى لأصدِّقه بأبعَدَ من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة ؛ فلذلك سمى الصديق ، وإسنادهُ جيد ،

وقد ورد ذلك من حديث أنس وأبى هريرة ، أسندهما ابن عساكر ، وأم هانىء ، أخرجه الطبرانى .

قال سعيد بن منصور فى سننه : حدثنا أبو معشر عن أبى وهب مولى أبى هريرة ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به فكان بذى طُوًى ، قال : ياجبريل إن قومى لايصدقونى[1] ، قال : يصدقك أبو بكر ، وهو الصدِّيقُ ، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط موصولا عن أبى وهب عن أبى هريرة .

وأخرج الحاكم فى المستدرك عن النزَّال بن سَبْرَة قال : قلنا لعلىّ : ياأمير المؤمنين أخبرنا عن أبى بكر ، قال : ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل ، وعلى لسان محمد ، كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة ، رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا ، إسناده جيد .

وأخرج الدارقطنى والحاكم عن أبى يحيى ، قال : لاأحْصِى كم سمعت عليًّا يقول على المنبر : إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صِدِّيقًا .

وأخرجه الطبرانى بسندٍ جيد صحيح عن حكيم بن سعد قال : سمعت عليًّا يقول ويحلف : لأنزل الله اسم أبى بكر من السماء الصديق .

وفى حديث أُحُد « اسْكُنْ فإنما عليك نبى ، وصديق ، وشهيدان » .

وأم أبى بكر بنتُ عَمِّ أبيه ، اسْمها : سَلْمَى بنت صَخْر بن عامر بن كَعْب ، وتكنى أم الخير ، قاله الزهرى ، أخرجه ابن عساكر .

فصـــل

فى مولده ، ومَنْشَئِه

وُلد بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر ؛ فإنه مات وله ثلاثة وستون سنة .

---

(١) « لايصدقونى » إن قرأته بتخفيف النون مكسورة كان فيه حذف نون الرفع لاجتماعها مع نون الوقاية ، وهو أحد ثلاثة أوجه ، وثانيها الجمع بينهما مع الفك ، وثالثها إدغامها .

قال ابن كثير : وأما ماأخرجه خليفة بن الخياط ، عن يزيد بن الأصم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : أنا أكبر أو أنت؟ قال : أنت أكبر وأنا أسنّ منك ، فهو مرسل غريب جداً ، والمشهور خلافه ، وإنما صح ذلك عن العبّاس .

وكان منشؤه بمكة ، لايخرج منها إلا لتجارة ، وكان ذا مال جزيل في قومه ، ومروءة تامة ، وإحسان ، وتفضّل فيهم ، كما قال ابن الدُّغُنّة(١) : إنك لتَصِلُ الرحم ، وتصدق الحديث ، وتكسب المعدوم [وتحمل الكَلّ] وتعين على نوائب الدهر ، وتَقْرِي الضيف .

قال النووي : وكان من رؤساء قريش في الجاهلية ، وأهل مشاورتهم ، ومحبباً فيهم ، وأعلم لمعالمهم ، فلما جاء الإسلام آثره على ماسواه ، ودخل فيه أكمل دخول .

وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال : إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحدُ عَشَرةٍ من قريش اتصل بهم شرفُ الجاهلية والإسلام ؛ فكان إليه أمر الدِّيَاتِ والغرم ، وذلك أن قريشاً لم يكن لهم ملك ترجع الأمور كلها إليه ، بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها ، فكانت في بني هاشم السقاية ، والرِّفادة ، ومعنى ذلك أنه لايأكل ولايشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم . وكانت في بني عبد الدار : الحجابة ، واللواء ، والنَّدْوة — أي : لايدخل البيتَ أحدٌ إلا بإذنهم ، وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار ، وإذا اجتمعوا لأمرٍ إبراماً أو نقضاً لايكون اجتماعهم إلا بدار النَّدْوة ، ولا ينفذ إلا بها ، وكانت لبني عبد الدار .

فصـــل

كان أبو بكر رضي الله عنه أعفّ الناس في الجاهلية

أخرج ابن عساكر بسندٍ صحيحٍ عن عائشة رضي الله عنها قالت : والله ماقال أبو بكر

(١) قال له ذلك حين شاهده خارجاً من مكة يريد الهجرة إلى الحبشة ، فرده وجعله في جواره ، وانظر سيرة ابن هشام .

شعراً قطُّ فى جاهلية ولا إسلام ، ولقد ترك هو وعثمان شُربَ الخرفى الجاهلية .

وأخرج أبو نُعَيم بسندٍ جيدٍ عنها ، قالت : لقد كان حرّم أبو بكر الخمر على نفسه فى الجاهلية .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن الزبير قال : ماقال أبو بكر شعراً قط .

وأخرج ابن عساكر عن أبى العالية الرياحىّ ، قال : قيل لأبى بكر الصديق فى مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شربت الخمر فى الجاهلية؟ فقال : أعوذ بالله ، فقيل : ولم؟ قال : كنت أصُونُ عِرْضِى ، وأحفظ مروءتى ، فإن مَنْ شرب الخمر كان مضيعاً فى عرضه ومروءته ، قال : فبلغ ذلك رسولَ الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : صدق أبو بكر ، صدق أبو بكر ، مرتين ، مُرْسَل غريب سنداً ومتناً .

فصـــل

فى صفته رضى الله عنه

أخرج ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا قال لها : صِفِى لنا أبا بكر ، فقالت : رجل أبيض ، نحيف ، خفيف العارضَيْن ، أجْنَأ(١) ، لايستمسك إزارُهُ يسترخى عن حِقْوَيه(٢) ، مَعْرُوق الوجه(٣) ، غائر العينين ، ناتىء الجبهة ، عارى الأشاجع(٤) هذه صفته

وأخرج عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر كان يخضب بالحناء والكَتَم(٥) .

وأخرج عن أنس قال : قدم رسول الله عليه الصلاة والسلام المدينةَ وليس فى أصحابه أشمطُ غير أبى بكر ، فلفها بالحناء والكَتَم(٥) .

(١) الأجنأ : الذى فى ظهره انحناء يسير .

(٢) الحقو ـ بالكسر ـ الكشح : والحقوان : تثنيته .

(٣) معروق الوجه : لحم وجهه قليل

(٤) الأشاجع : أصول الأصابع ، واحدها أشجع .

(٥) الأشمط : الأشيب ، ولفها ، سترها ، وأراد شيبته ، والكتم ، بفتح الكاف والتاء جميعاً ـ نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر ، وإذا غليت أصوله كان منه حبر

فصل

فى إسلامه رضى الله عنه

أخرج الترمذى وابن حِبَّان فى صحيحه عن أبى سعيد الخُدْرِىّ قال : قال أبو بكر : ألَسْتُ أحقَّ الناس بها ؟ أى الخلافة ، ألست أول من أسلم ؟ ألست صاحب كذا ؟ ألست صاحب كذا ؟

وأخرج ابن عساكر من طريق الحارث عن علىّ رضى الله عنه ، قال : أول من أسلم من الرجال أبو بكر .

وأخرج ابنُ أبى خَيْثَمَة بسند صحيح عن زيد بن أرْقَمَ قال : أول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق .

وأخرج ابن سعد عن أبى أرْوَى الدَّوْسِى الصحابى رضى الله عنه ، قال : أول من أسلم أبو بكر الصديق .

وأخرج الطبرانى فى الكبير ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، عن الشعبى ، قال : سألت ابن عباس : أىُّ الناس كان أوَّل إسلاماً ؟ قال : أبو بكر الصديق ، ألم تسمع قول حسان :

إذا تذكَّرْتَ شَجْواً من أخى ثقة ... فاذْكُر أخاك أبا بكر بما فَعَلَا
خير البرية ، أتقاها وأعدلها ، ... إلا النبىَّ ، وأوفاها بما حَمَلَا
والثانىَ التالىَ المحمودَ مشهدُه ... وأوَّل الناس منهم صَدَّق الرُّسُلَا

وأخرج أبو نعيم عن فُرَات عن السائب قال : سألت ميمون بن مهران ؛ قلت : علىّ أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ قال : فارتعد[1] حتى سقطت عصاه من يده ، ثم قال : ما كنت أظنّ أن أبقى إلى زمان يعدل بهما ، لله درهُمَا ! كانا رأسَ الإسلام . قلت : فأبو بكر كان أول إسلاماً أم علىّ ؟ قال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم زمن بَحِيرَا الراهب[2] حين مرَّ به ، واختلَف فيما

(١) ارتعد : ارتجفت أعضاؤه ورعش جسمه .

(٢) بحيرا : رجل من رهبان النصارى ، رأى النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج مع عمه فى تجارة أهل مكة إلى الشام فبشر بنبوته .

بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه ، وذلك كله قبل أن يولد علي .

وقد قال «إنه أول مَنْ أسلم» خلائقُ من الصحابة والتابعين وغيرهم ، بل ادعى بعضهم الإجماع عليه . وقيل : أول من أسلم عليٌّ ، وقيل: خديجة . وجُمِع بين الأقوال بأن أبا بكر أول من أسلم من الرجال ، وعليّ أول من أسلم من الصبيان ، وخديجة أول من أسلمت من النساء ، وأول من ذكر هذا الجمع الإمامُ أبو حنيفة رحمه الله ، أخرجه عنه .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : قلت لمحمد بن الحنفية : هل كان أبو بكر أوّلَ القوم إسلاماً ؟ قال : لا ، قلت : فَبِمَ علا أبو بكر وسَبَقَ حتى لايذكر أحد غير أبي بكر ؟ قال : لأنه كان أفضلهم إسلاماً [مِنْ] حين أسلم حتى لحق بربه .

وأخرج ابن عساكر بسند جيد عن محمد بن سعد بن أبي وقّاص أنه قال لأبيه سعد : أكان أبو بكر الصديق أوّلكم إسلاماً ؟ قال : لا ، ولكنه أسلم قبله أكثر من خمسة ، ولكن كان خَيْرَنا إسلاماً .

قال ابن كثير: والظاهر أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كلِّ أحد : زوجته خديجة ، ومولاه زيد ، وزوجة زيدٍ أمُّ أيمن، وعليّ ، وورقة ، انتهى .

وأخرج ابن عساكر عن عيسى بن يزيد ، قال : قال أبو بكر الصديق : كنتُ جالساً بفناء الكعبة ، وكان زيد بن عمرو بن نُفَيل قاعداً ، فمرّ به أمية ابن أبي الصَّلْتِ ، فقال : كيف أصبحت ياباغيَ الخير ؟ قال : بخير ، قال : وهل وجدت ؟ قال : لا ، فقال :

كلُّ دينٍ يومَ القيامة إلا ماقَضَى الله في الحقيقة بُورُ[1]

أما إن هذا النبي الذي يُنْتَظَر منا أو منكم ، قال : ولم أكن سمعتُ قبل ذلك بِنَبيّ ينتظر ويبعث، قال: فخرجت إلى وَرَقَةَ بن نَوْفَل ، وكان كثير النظر

(١) كذا ، ولعله « في الحنيفة » والبور : الهالك الباطل ، وهو خبر « كل » ، وفي الديوان : كل دينٍ يومَ القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور .

إلى السماء ، كثير مَهْمَهَة الصدر ، فاستوقفته ، ثم قصصت عليه الحديثَ ، فقال : نعم ياابن أخى ، إنَّا أهلُ الكتب والعلوم ، إلا أن هذا النبىَّ الذى ينتظر من أوْسَطِ العرب نسباً ـ ولى علم بالنسب ـ وقومك أوسط العرب نسباً . قلت : ياعم وما يقول النبىّ ؟ قال : يقول ماقيل له ، إلا أنه لايَظلم ، ولا يُظلَم ، ولا يَظَّالم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت به وصدقته .

وقال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن الحصين التميمى . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كَبْوَة وتردُّدٌ ونظر ، إلا أبا بكر ، ماعتَمَ عنه حين ذكرته ، وماتردد فيه ـ عتم : أى تَلَبَّثَ .

قال البيهقى : وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع آثاره قبل دعوته ، فحين دعاه كان قد سَبَق له فيه تفكر ونظر ، فأسلم فى الحال ؛ ثم أخرج عن أبى ميسرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا برز سمع مَنْ يُنَادِيه : يامحمد ، فإذا سمع الصوت وَلَّى هارباً ، فأسَرَّ ذلك إلى أبى بكر ، وكان صديقاً له فى الجاهلية » .

وأخرج أبو نُعيم وابن عساكر ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كلمت فى الإسلام أحداً إلا أبىَ علىَّ ، وراجعنى الكلام ، إلا ابن أبى قُحافة ، فإنى لم أ كلمه فى شىء إلا قبله واستقام عليه » .

وأخرج البخارى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل أنتم تاركون لى صاحبى[1] ؟ « هل أنتم تاركون لى صاحبى » ، إنى قلت :

(١) الحديث فى البخارى ، ويروى النحاة هذا الحديث (هل أنتم تاركو لى صاحبى) بحذف النون ، ويذكرون أن النون قد تحذف للتخفيف وإن لم تكن إضافة ، ونظير ذلك قول الشاعر :

الحافظو عورة العشيرة ، لا يأتيهم من ورائهم وطف

بحذف النون من (الحافظو) ونصب (عورة العشيرة) .

أيها الناس ، إنى رسول الله إليكم جميعاً ، فقلتم : كَذَبْتَ، وقال أبو بكر: صَدَقْتَ»

فصــــل

فى صحبته ، ومَشَاهده

قال العلماء : صحب أبو بكر النبىَّ عليه الصلاة والسلام من حين أسلم إلى حين توفى ، لم يفارقه سَفَراً ولا حضراً ، إلا فيما أذن له عليه الصلاة والسلام فى الخروج فيه من حج وغَزْوٍ ، وشهد معه المشاهد كلها ، وهاجر معه ، وترك عياله وأولاده رغبةً فى اللهِ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو رفيقه فى الغار ، قال تعالى : (ثانى اثنين إذ هُمَا فى الغارِ ؛ إذْ يقول لِصَاحِبه لاتَحْزَن إنَّ اللهَ مَعَنَا) ، وقام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير موضع ، وله الآثار الجيلة فى المشاهِدِ ، وثَبَتَ يوم أُحُد ويوم حُنَيْن ، وقد فرَّ الناسُ ، كما سيأتى فى فصل شجاعته .

أخرج ابن عساكر عن أبى هريرة قال : تباشرت الملائكة يوم بَدْر ، فقالوا : أما تَرَوْن الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ؟

وأخرج أبو يعلى ، والحاكم ، وأحمد ، عن علىٍّ قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولأبى بكر : «مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل» .

وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين أن عبد الرحمن بن أبى بكر كان يوم بَدْر مع المشركين ، فلما أسلم قال لأبيه : لقد أهْدَفْتَ لى يوم بدر ، فانْصَرَفْتُ عنك ولم أقتلك ، فقال أبو بكر : لكنك لو أهْدَفْتَ لى لم أنصرف عنك .

قال ابن قتيبة : معنى أهدفت أشْرَفْتَ ، ومنه قيل للبناء المرتفع : هدف .

فصــــل

فى شجاعته ، وأنه أشْجَعُ الصحابة
رضى الله عنه !

أخرج البزار فى مسنده عن علىٍّ أنه قال : أخبرونى مَنْ أشْجَعُ الناس؟ فقالوا : أنت ، قال : أما إنى ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ، ولكن أخبرونى بأشجع

الناس ؟ قالوا : لانعلم ، فمَنْ ؟ قال : أبو بكر ، إنه لما كان يوم بدر ، فجعلنا لرسول الله عليه الصلاة والسلام عَرِيشاً، فقلنا : مَنْ يكون مع رسول الله عليه الصلاة والسلام لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ؟ فوالله مادنا منّا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لايهوى إليه أحد إلا هَوَى إليه ؛ فهو أشجع الناس ، قال عليٌّ رضي الله عنه : ولقد رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام وأخذته قريش ، فذا يَجْبَأُه[1] ، وهذا يُتَلْتِلُه[2] ، وهم يقولون : أنت الذى جعلت الآلهة إلهاً واحداً ؟ قال : فوالله مادنا منّا أحد إلا أبو بكر : يضرب هذا ، ويجبأ هذا ، ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ! أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه ، فبكى حتى اخضَلَّتْ لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله ، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال : ألا تجيبونني ؟ فوالله لساعة من أبى بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلَنَ إيمانه .

وأخرج البخارى عن عُرْوة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ماصنع المشركون برسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : رأيت عُقْبة بن أبى مُعَيط جاء إلى النبى عليه الصلاة والسلام وهو يصلى ، فوضع رداءَهُ فى عنقه ، فخنقه به خَنْقاً شديداً ، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ، فقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ .

وأخرج الهيثم بن كليب فى مسنده عن أبى بكر ، قال : لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكنت أول من فاء[3] ، وسيأتى تتمة الحديث فى مسند مارواه .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما اجتمع أصحاب

---

(١) جبأه يجبؤه — من باب فتح — أى فجأه وبغته .

(٢) تلتله : حركه وقلقله وزعزعه من مكانه وزلزله (٣) فاء : رجع .

النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ، ألحّ أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهور ، فقال : يا أبا بكر ، إنا قليل ، فلم يزل أبو بكر يُلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّق المسلمون فى نواحى المسجد ، كل رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيباً ، فكان أولَ خطيبٍ دعا إلى الله وإلى رسوله ، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين ، وضربوا فى نواحى المسجد ضرباً شديداً ، وسيأتى تتمة الحديث فى ترجمة عمر رضى الله عنه .

وأخرج ابن عساكر عن علىّ رضى الله عنه قال : لمّا أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

فصـــل

فى إنفاقه مالَهُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أجوَدُ الصحابة

قال الله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ، الذى يؤتى ماله يَتَزَكَّى ﴾ إلى آخر السورة . قال ابن الجوزى : أجمعوا على أنها نزلت فى أبى بكر .

وأخرج أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مانفعنى مالٌ قط مانفعنى مالُ أبى بكر » فبكى أبو بكر ، وقال : هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله ؟ .

وأخرج أبو يَعْلَى من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعاً مثله .

قال ابن كثير : ورُوى أيضاً من حديث علىّ ، وابن عباس ، وأنس ، وجابر بن عبد الله ، وأبى سعيد الخُدْرى . رضى الله عنهم ! وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلا . وزاد : « وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقضِى فى مال أبى بكر كما يَقضِى فى مال نفسه » .

وأخرج ابن عساكر من طُرُق عن عائشة رضى الله عنها، وعروة بن الزبير «أن أبا بكر رضى الله عنه أسْلَمَ يوم أسْلَمَ وله أربعون ألف دينار - وفى لفظ: أربعون ألف درهم - فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وأخرج أبو سعيد بن الأعرابى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أسلم أبو بكر رضى الله عنه يوم أسلم وفى منزله أربعون ألف درهم؛ فخرج إلى المدينة فى الهجرة وماله غيرُ خمسة آلاف، كل ذلك ينفقه فى الرِّقاب[1] والعَوْنِ على الإسلام.

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر أعْتَقَ سبعة كلهم يُعَذَّب فى الله.

وأخرج ابن شاهين فى السنة، والبغوى فى تفسيره، وابن عساكر عن ابن عمر قال: «كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم، وعنده أبو بكر الصديق، وعليه عباءة قد خَلَّها فى صدره بخلال، فنزل عليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خَلها فى صدره بخلال؟ فقال: يا جبريل أنفقَ ماله علىّ قبل الفتح، قال: فإن الله تعالى يقرأ عليه السلام، ويقول: قل له: أراضٍ أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر: أسْخَطُ على ربى؟ أنا عن ربى راضٍ، أنا عن ربى راض، أنا عن ربى راض». غريب، وسنده ضعيف جداً.

وأخرج أبو نعيم عن أبى هريرة وابن مسعود مثله، وسندهما ضعيف أيضاً.

وأخرج ابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس.

وأخرج الخطيب بسند وَاهٍ أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: هبط علىّ جبريل عليه السلام وعليه طِنْفِسَة[2] وهو متخلل بها، فقلت له: يا جبريل ماهذا؟ قال: إن الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلل فى السماء كتخلل أبى بكر فى الأرض.

---

(١) فى الرقاب: أى فى عتق الضعفاء الذين أسلموا وهم تحت يد الكفار.

(٢) الطنفسة - بكسر الطاء والفاء وسكون النون بينهما - الثوب أو البساط.

قال ابن كثير : وهذا منكر جداً ، وقال : ولولا أن هذا والذى قبله يتداوله كثيرٌ من الناس لكان الإعراض عنهما أولى .

وأخرج أبو داود والترمذى ، عن عمر بن الخطاب ، قال : « أمرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا عندى ، قلت : اليوم أسبق أبا بكر - إنْ سبقته يوماً[1] - فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما أبقَيْتَ لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : يا أبا بكر ما أبقَيْتَ لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلت : لا أسبقه فى شىء أبداً » . قال الترمذى [هذا حديث] حسن صحيح .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن الحسن البصرى : أن أبا بكر أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها ، فقال : يا رسول الله هذه صدقتى ولله عندى مَعَادٌ ، وجاء عمر بصدقته فأظهرها ، فقال : يا رسول الله هذه صدقتى ولى عند الله مَعَادٌ ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما » إسناده جيد لكنه مرسل .

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه ، إلا أبا بكر ، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعنى مال أحد قطُّ ما نفعنى مالُ أبى بكر » .

وأخرج البزار عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : جئت بأبى قُحافة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هَلاَّ تركت الشيخ حتى آتيه ، قال : بل هو أحق أن يأتيك ، قال : إنا نحفظه لأيادى[2] ابنه عندنا » .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما أحد عندى أعظم يداً من أبى بكر ، وَاسانى بنفسه وماله ، وأنكحنى ابنته » .

---

(١) (إن) هنا نافية ، يريد ما سبقته .

(٢) الأيادى : جمع الأيدى التى هى جمع اليد ، والمراد بها النعمة .

فصـــل

فى علمه ، وأنه أعلم الصحابة ، وأذكاهم

قال النووى فى تهذيبه ، ومن خطه نقلت : استدلّ أصحابنا على عظم علمه بقوله — رضى الله عنه ؟ — فى الحديث الثابت فى الصحيحين : والله لأقاتلنّ مَنْ فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره فى طبقاته على أنّ أبا بكر الصديق رضى الله عنه أعلمُ الصحابة ؛ لأنهم كلّهم وَقَفُوا عن فهم الحكم فى المسألة إلا هو ، ثم ظهر لهم بمُباحثته لهم أن قوله هو الصواب ، فرجعوا إليه .

وروينا عن ابن عمر أنه سئل : مَنْ كان يُفتى الناس فى زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقال : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، ما أعلم غيرهما .

وأخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى قال : خطب رسولُ الله عليه الصلاة والسلام الناسَ وقال : إن الله تبارك وتعالى خَيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى ، فبكى أبو بكر وقال : نَفْديك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عبد خُيِّرَ ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن من أمَنِّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخُوَّة الإسلام ومودّته ، لا يبقيَنَّ بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر » هذا كلام النووى[1] .

وقال ابن كثير : كان الصديق رضى الله عنه أقرأ الصحابة ـ أى أعلمهم بالقرآن ـ لأنه عليه الصلاة والسلام قدّمه إماماً للصلاة بالصحابة رضى الله عنه مع قوله : « يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله » .

وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمَّهُم غيره » .

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووى (٢/١٩٠) .

وكان ـ مع ذلك ـ أعلمهم بالسنة ، كما رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ، ليست عندهم ، وكيف لا يكون كذلك وقد واظب على صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام من أول البعثة إلى الوفاة ؟ وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم ، وإنما لم يُرْوَ عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته[1] ، وسُرْعة وفاته بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلاَّ فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جداً ، ولم يترك الناقلون عنه حديثاً إلا نقلوه ، ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته ؛ فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم .

وأخرج أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر إذا ورَدَ عليه الخصم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه مايقضى به بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعَلِمَ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الأمر سنةً قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفَرُ كلهم يذكر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام جَمَعَ رءوسَ الناسِ وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به .

وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك ، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر : هل كان لأبي بكر فيه قضاء ؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رءوسَ المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر قضى به .

وكان الصديق ـ رضي الله عنه ـ مع ذلك ـ أعلم الناس بأنساب العرب ، لاسيا

---

(١) ومع قصر مدته فقد كان مشغولا أعظم الشغل بحروب المرتدين من العرب ومانعي الزكاة ، ذلك مع أنه كان على ثقة من أن بين الصحابة من يقوم مقامه في فتيا الناس

قريش ، أخرج ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الأنصار قال : كان جُبَيْر بن مُطْعِم من أنسبِ قريش لقريش والعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبى بكر الصديق ، وكان أبو بكر الصديق من أنسبِ العرب .

وكان الصديق مع ذلك غايةً فى علم تأويل الرؤيا ، وقد كان يَعْبُرُ الرؤيا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قال محمد بن سيرين ـ وهو المُقَدَّمُ فى هذا العلم بالاتفاق ـ كان أبو بكر أعْبَرَ هذه الأمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، أخرجه ابن سعد .

وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس وابن عساكر عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمرت أن أؤوِّل الرؤيا [وأن أعلِّمها] أبا بكر» .

قال ابن كثير : وكان من أفصح الناس وأخطبهم ، قال الزبير بن بكار : سمعت بعض أهل العلم يقول : أفصح خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ! وسيأتى فى حديث السقيفة قولُ عمر رضى الله عنه : وكان من أعلم الناس بالله وأخوفهم له وسيأتى من كلامه فى ذلك وفى تعبير الرؤيا ومن خطبه جملة فى فصل مستقل .

ومن الدلائل على أنه أعلم الصحابة حديثُ صلح الحديبية حيث سأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح ، وقال : علام نُعْطِى الدَّنِيَّةَ[1] فى ديننا ؟ فأجابه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ذهب إلى بكر فسأله عما سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام [فأجابه كما أجابه النبى عليه الصلاة والسلام][2] سواء بسواء ؛ أخرجه البخارى وغيره .

وكان مع ذلك أسَدَّ الصحابة رأياً وأكملهم عقلا ، أخرج تمام الرازى فى فوائده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : «أتانى جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر» وأخرج

---

(١) الدنية : أصلها : الدنيئة ، خففت الهمزة فصارت ياء ثم أدغمت الياء فى الياء ، وهى صفة لموصوف محذوف : أى الخصلة الدنيئة . ومعناها الخصلة الخسيسة الوضيعة . (٢) زيادة يقتضيها السياق ، ووجدتها كذلك فى الخطية الموثقة

الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل « أن النبي عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يسرح معاذاً إلى اليمن استشار ناساً من أصحابه فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وأسيد بن حُضَير ، فتكلم القوم كلٌ إنسانٍ برأيه ، فقال : ما ترى يا معاذ ؟ قلت : أرى ما قال أبو بكر ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « إن الله يكره فوق سمائه أن يُخَطَّأ أبو بكر » . ورواه ابن أبي أسامة في مسنده « إن الله يكره في السماء أن يخطأ أبو بكر الصديق في الأرض » وأخرج الطبراني في الأوسط عن سَهْل بن سَعْد الساعِدِيّ قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن الله يكره أن يخطأ أبو بكر » رجاله ثقات .

فصـــل

قال النووي في تهذيبه : الصِّدِّيقُ أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله ، وذكر هذا أيضاً جماعة منهم ابن كثير في تفسيره ، وأما حديث أنس « جَمَع القرآن في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام أربعةٌ » فمراده من الأنصار كما أوضحته في كتاب الإتقان ، وأما ما أخرجه ابن أبي داود عن الشعبي قال : مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يجمع القرآن كله ، فهو مدفوع ، أو مؤول على أن المراد جمعه في المصحف على الترتيب الذي صنعه عثمان رضي الله عنه .

فصـــل

في أنه أفضل الصحابة وخيرهم

أجمع أهل السنة أن أفضل الناس ــ بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام ــ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم سائر العشرة ، ثم باقي أهل بدر ، ثم باقي أهل أُحُدٍ ، ثم باقي أهل[1] البَيْعَة ، ثم باقي الصحابة ؛ هكذا حكى الإجماع عليه أبو منصور البغدادي .

---

(١) يريد الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، تحت الشجرة ، وذلك في يوم الحديبية كما هو مفصل في كتب السيرة .

وروى البخارى عن ابن عمر قال : كنا نُخَيِّر بين الناس فى زمان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فنخير أبا بكر ، ثم عمر [بن الخطاب] ، ثم عثمان [ابن عفان رضى الله عنهم] ، رواه الطبرانى فى الكبير ، فيعلم بذلك النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا ينكره .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال : « كنا وَفِينَا رسول الله عليه الصلاة والسلام نفضِّلُ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليا » .

وأخرج ابن عساكر عن أبى هريرة قال : كنا معاشر أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام - ونحن متوافرون - نقول : أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نسكت .

وأخرج الترمذى عن جابر بن عبد الله قال : قال عمر لأبى بكر : ياخير الناس بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال أبو بكر : أما إنك إن قلت ذلك فلقد سمعته يقول : ماطلعت الشمس على رجل خير من عمر .

وأخرج البخارى عن محمد بن على بن أبى طالب قال : قلت لأبى : أى الناس خير بعد النبى عليه الصلاة والسلام ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من؟ قال : عمر ، وخشيت أن يقول عثمان فقلت : ثم أنت ؟ قال : ماأنا إلا رجل من المسلمين .

وأخرج أحمد وغيره عن على قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، وعمر ، قال الذهبى : هذا متواتر عن على ، فلعن الله الرافضة ماأجهلهم .

وأخرج الترمذى والحاكم عن عمر بن الخطاب قال : أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى النبى عليه الصلاة والسلام .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عمر صعد المنبر ثم قال : ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير هذا فهو مُفْتَرٍ[1] ، عليه

(١) المفترى ، فى اللغة : الكاذب الذى يختلق الكلام ، وقد وقع فى لسان الشرع بمعنى القاذف لغيره ، والقاذف يحد بضربه ثمانين جلده .

ماعلى المفترى ، وأخرج أيضاً عن ابن أبى ليلى قال : قال على : لا يُفضِّلُنى أحد على أبى بكر وعمر إلا جلدته حَدَّ المُفْتَرى .

وأخرج عبد الرحمن بن حميد فى مسنده وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبى الدَّرْدَاء « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر ، إلا أن يكون نبى » وفى لفظ « على أحدمن المسلمين بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر » .

وقد ورد أيضاًمن حديث جابر ، ولفظه « ماطلعت الشمس على أحد منكم أفضل منه » أخرجه الطبرانى وغيره ، وله شواهد من وجوه أُخَرَ تَقْضى له بالصحة أو الحسن ، وقد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته .

وأخرج الطبرانى عن سلمة بن الأكوع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم« أبو بكر الصديق خيرالناس ، إلا أن يكون نبى » وفى الأوسط عن سعد ابن زرارة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القدُسِ جبريل أخبرنى أن خير أمتك بعدك أبو بكر » .

وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاص قال : قلت يارسول الله ، أى الناس أحَبُّ إليك ؟ قال : عائشة ، قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها ، قلت : ثم مَنْ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب ؟ وقد ورد هذا الحديث بدون « ثم عمر » فى رواية أنس وابن عمرو وابن عباس .

وأخرج الترمذى والنسائى والحاكم عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لعائشة: أىُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحَبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت : أبو بكر ، قلت : ثم مَنْ ؟ قالت : ثم عمر ، قلت : ثم من ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح .

وأخرج الترمذى وغيره عن أنس قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام

لأبى بكر وعمر : هذان سيدا كهول[1] أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين » وأخرج مثله عن على .

وفى الباب عن ابن عباس ، وابن عمر ، وأبى سعيد الخدرى ، وجابر بن عبد الله .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن عمار بن ياسر قال : مَنْ فَضَّلَ على أبى بكر وعمر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أزرى على المهاجرين والأنصار .

وأخرج ابن سعد عن الزهرى قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت : هل قلت فى أبى بكر شيئاً ؟ قال : نعم ، فقال : قل وأنا أسمع ، فقال :

وثانىَ اثنين فى الغار المنيف وقد طاف العدوُّ به إذ صَعَّدَ الجبلا
وكان حِبَّ رسول الله قد علموا من البرية لم يَعْدِلْ به رجلا

فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نَوَاجِذُه[2] ، ثم قال : صدقت يا حسان هو كما قلت .

فصل

قال أحمد والترمذى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أرْحَمُ أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشَدُّهم فى أمر الله عمر ، وأصْدَقُهم حياء عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفْرَضُهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبىُّ بن كعب ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ، وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر ، وزاد فيه « وأقضاهم على » وأخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث شداد بن أوس ، وزاد « وأبو ذر أزْهَدُ أمتى وأصدقها وأبو الدرداء أعْبَدُ أمتى وأتقاها ، ومعاوية بن أبى سفيان أحْلَمُ أمتى وأجودها » .

---

(١) الكهول : جمع كهل ، وهو الرجل الذى وخطه الشيب ، أو هو الذى بلغ أربعاً وثلاثين سنة .

(٢) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو أقصى الأضراس فى الفم ، وذلك كناية عن أنه فتح فمه فى الضحك ، والمراد أنه ضحك ضحكاً بالغاً .

وقد سئل شيخنا العلامة الكافيجى عن هذه التفضيلات: هل تنافى التفضيل السابق ؟ فأجاب بأنه لامُنَافَاةَ .

فصـــل

فيما أنزل من الآيات فى مدحه ، أو تصديقه ، أو أمرٍ من شأنه .

أعلم أنى رأيت لبعضهم كتاباً فى أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن غير مُحرَّر ، ولا مستوعب ، وقد ألَّفت فى ذلك كتاباً حافلا مستوعباً محرَّراً ، وأنا ألخص هنا مايتعلق منه بالصديق رضى الله عنه :

قال تعالى : (ثَانِيَ اثنين إذ هما فى الغَارِ ، إذ يقُولُ لِصَاحِبِهِ : لاتَحْزَنْ إنَّ الله مَعَنَا ، فأنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عليه) أجمع المسلمون على أن الصاحب المذكور أبو بكر ، وسيأتى فيه أثر عنه .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى : (فأنزل الله سكينته عليه) قال : على أبى بكر ؛ إن النبى عليه الصلاة والسلام لم تزل السكينة عليه[1] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالا من أمية ابن خَلَفٍ ، وأبى بن خلف ، ببُرْدة وعشر أواقٍ ، فأعتقه لله ، فأنزل الله : (واللَّيْلِ إذا يَغْشى) إلى قوله : (إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) سعى أبى بكر ، وأمية ، وأبى .

وأخرج ابن جرير عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يُعْتِقُ على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال أبوه : أى بُنَيَّ ، أراك تُعْتِقُ أناساً ضعافاً ، فلو أنك تعتق رجالا جلداً يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟ قال : أى أبتِ ، أنا أريد ماعند الله ، قال : فحدثنى بعض أهل بيتى أن هذه الآية نزلت فيه (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى) إلى آخرها .

---

(١) يريد أن الضمير فى (عليه) يرجع إلى أبى بكر ألبتة ، ولايجوز أن يرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه صلوات الله عليه لم تتخل عنه السكينة وقتاً ما حتى يقال عنه (فأنزل الله سكينته عليه).

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عُرْوة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذَّبُ في الله، وفيه نزلت (وسَيُجنبها الأتقى) إلى آخر السورة.

وأخرج البزار عن عبد الله بن الزُّبير قال : نزلت هذه الآية (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) إلى آخر السورة في أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه !

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر لم يكن يَحْنَثُ في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين .

وأخرج البزار وابن عساكر عن أسيد بن صَفْوان ـ وكانت له صحبة ـ قال: قال عليّ : (والذى جاء بالحق) محمد (وصدق به) أبو بكر الصِّدِّيق ، قال ابن عساكر : هكذا الرواية (بالحق) ولعلها قراءة لعلي .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى : (وشاورهم في الأمر) قال: نزلت في أبي بكر وعمر .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شَوْذب قال : نزلت (ولمن خاف مقام ربه جَنَّتَانِ) في أبي بكر رضي الله عنه، وله طرق أخرى ذكرتها في أسباب النزول.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وابن عباس في قوله تعالى : (وصالح المؤمنين) قال : نزلت في أبي بكر وعمر .

وأخرج عبد الله بن أبي حميد في تفسيره عن مجاهد قال : لما نزلت (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال أبو بكر : يارسول الله ، ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه، فنزلت هذه الآية (هو الذى يصلي عليكم وملائكته).

وأخرج ابن عساكر عن علي بن الحسين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي (ونزعنا ما في صدورهم من غل ، إخوانا على سرر متقابلين) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : نزلت في أبي بكر الصديق (ووصَّينا الإنسان بوالديه إحساناً) إلى قوله : (وَعْدَ الصدق الذى كانوا يوعدون) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عيينة قال: عاتب الله المسلمين كلهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أبا بكر وحده؛ فإنه خرج من المعاتبة، ثم قرأ (إلا تنصروه فقد نصره الله؛ إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار).

فصل

فى الأحاديث الواردة فى فضله مقروناً بعمر، سوى ما تقدم

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينا راعٍ فى غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعى، فالتفت إليه الذئب فقال: مَنْ لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى؟ وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إنى لم أخلق لهذا، ولكنى خلقت للحرث، قال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم؟! قال النبى صلى الله عليه وسلم: فإنى أومن بذلك وأبو بكر وعمر، وما ثَمَّ أبو بكر وعمر». أى لم يكونا فى المجلس، شهد لهما بالإيمان بذلك لعلمه بكمال إيمانهما.

وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من نبى إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض؛ فأما وزيراىَ من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراىَ من أهل الأرض فأبو بكر وعمر».

وأخرج أصحاب السنن وغيرهم عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلىّ فى الجنة» وذكر تمام العشرة.

وأخرج الترمذى عن أبى سعيد قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «إن أهل الدرجات العُلَى ليراهم مَنْ تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم»، [وأنعما]. وأخرجه الطبرانى من حديث جابر ابن سَمُرة وأبى هريرة.

وأخرج الترمذى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر ، فلا يرفع إليه أحد منهم بصره ، إلا أبو بكر وعمر ؛ فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما » .

وأخرج الترمذى والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله عليه الصلاة والسلام « خرج ذات يوم فدخل المسجد ، وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخرُ عن شماله ، وهو آخذ بأيديهما ، وقال : « هكذا نُبْعَثُ يوم القيامة» وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة .

وأخرج الترمذى والحاكم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا أول من تنشقُّ عنه الأرضُ ؛ ثم أبو بكر ، ثم عمر » .

وأخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عبد الله بن خنطب أن النبى عليه الصلاة والسلام رأى أبا بكر وعمر فقال : «هذان السَّمْعُ والبَصَرُ » . وأخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر وابن عمرو .

وأخرج البزار والحاكم عن أبى أروى الدَّوْسى ، قال كنت عند النبى عليه الصلاة والسلام [جالساً] فأقبل أبو بكر وعمر ، فقال : « الحمد لله الذى أيَّدَنى بكما» . وورد أيضاً من حديث البَرَاء بن عازب ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

وأخرج أبو يَعْلَى عن عَمَّار بن ياسر قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أتانى جبريلُ آنِفاً ، فقلت : ياجبريل ، حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب ، فقال : لو حدثتك بفضائل عمر منذ[1] مالبث نوحٌ فى قومه ما نَفِدَتْ فضائل عمر ، وإنّ عُمَرَ حسنة من حسنات أبى بكر » .

وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال لأبى بكر وعمر : « لو اجتمعتما فى مَشُورة ماخالفتكما » وأخرجه الطبرانى من حديث البَرَاء بن عازب .

(١) لعله (مدة مالبث نوح) أى ٩٥٠ عاماً .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه سُئِل : مَنْ كان يُفتِي فى زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقال : « أبو بكر وعمر ، ولا أعلم غيرهما » .

وأخرج عن القاسم بن محمد قال : كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلىٌّ يُفْتُونَ فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « إن لكل نبى خاصَّةً من أمته ، وإن خاصتى من أصحابى أبو بكر وعمر » .

وأخرج ابن عساكر عن علىّ قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « رحم الله أبا بكر ! زَوَّجَنِي ابنته ، وحَمَلَنِي إلى دار الهجرة ، وأعتق بلالا . رحم الله عمر ! يقول الحق وإن كان مُرًّا ، تَرَكه الحق وماله من صديق . رحم الله عثمان ! تَستحييه الملائكة . رحم الله عليًّا ! اللهمّ أدِرِ الحقَّ معهُ حيثُ دار »

وأخرج الطبرانى عن سهل رضى الله عنه قال : لما قدم النبي عليه الصلاة والسلام من حَجَّة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: « أيها الناس، إن أبا بكر لم يَسُؤْنِي قطُّ ، فاعرفوا له ذلك ، أيها الناس ، إنى راضٍ عنه ، وعن عمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمهاجرين الأوّلين ، فاعرفوا ذلك لهم » .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن ابن أبى حازم قال : جاء رجل إلى علىّ بن الحسن ، فقال : ما كان منزلةُ أبى بكر وعمر من رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ قال : كمنزلتهما منه الساعة .

وأخرج ابن سعد عن بسطام بن مسلم قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لأبى بكر وعمر : « لا يتأمَّرْ عليكما أحَدٌ بعدى[1] » .

(١) يؤخذ من هذا الحديث أن أبا بكر يكون خليفة رسول الله ، ثم يكون عمر خليفة أبى بكر ، وانظر ص ٦١ .

وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعاً : « حُبُّ أبى بكر وعمر إيمان ، وبُغْضُهما كفر » .

وأخرج عن ابن مسعود قال : حب أبى بكر وعمر ومعرفتهما من السُّنَّةِ .

وأخرج عن أنس مرفوعاً : « إنى لأرجو لأمتى فى حبهم لأبى بكر وعمر ماأرجو لهم فى قول : لا إلٰه إلا الله » .

فصـــل

فى الأحاديث الواردة فى فضله وَحْده ، سوى ماتقدم

أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أنفَق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله دُعِىَ من أبواب الجنه : ياعبد الله هذا خير ؛ فمن كان من أهل الصلاة دُعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريَّانِ » فقال أبو بكر : ماعلى من يُدْعَى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يُدْعَى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال : « نعم ، فأرجو أن تكون منهم ياأبا بكر » .

وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : أما إنك يا أبا بكر أولُ من يدخل الجنة من أمتى » .

وأخرج الشيخان عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن من أمَنِّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلا غَيْرَ ربى لاتخذْتُ أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام » .

وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس ، وابن الزبير ، وابن مسعود ، وجندب بن عبد الله ، والبراء ، وكعب بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وأنس ،

وأبي واقدٍ الليثي ، وأبي المعلى ، وعائشة ، وأبي هريرة ، وابن عمر — رضي الله عنهم — وقد سَرَدْتُ طرقهم في الأحاديث المتواترة .

وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال : كنت جالساً عند النبي عليه الصلاة والسلام إذ أقبل أبو بكر فسلم ، وقال : إنه كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي ، فأبى عليّ ، فأقبلت إليك ، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ، ثلاثاً ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فلم يجده ، فأتى النبيّ عليه الصلاة والسلام ، فجعل وجه النبي عليه الصلاة والسلام يتمعَّرُ حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه ، فقال : يارسول الله ، والله أنا كنت أظلم منه ، مرتين . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « إن الله بَعَثَنِي إليكم فقلتم كَذَبْتَ وقال أبو بكر صَدَقْتَ ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي ؟ » مرتين . فما أوذِيَ بعدها .

وأخرج ابن عديّ من حديث ابن عمر رضي الله عنه نحوه ، وفيه « فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : لاتؤذوني في صاحبي ؛ فإن الله بَعَثَنِي بالهدى ودين الحق ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، ولولا أن الله سماه صاحباً لاتخذته خليلا ، ولكن أخوة الإسلام » .

وأخرج ابن عساكر عن المقدام قال : أسْتَبَّ عَقِيلُ بن أبي طالب وأبو بكر ، قال : وكان أبو بكر نسّاباً ، غير أنه تَحَرَّجَ من قرابته من النبي عليه الصلاة والسلام فأعرض عنه وشكا إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، فقام رسول الله عليه الصلاة والسلام في الناس ، فقال : « ألا تَدَعُونَ لي صاحبي ؟ ماشأنكم وماشأنه ؟ فوالله مامنكم رجلٌ إلا على بَاب بيته ظُلْمة ، إلا بابَ أبي بكر ، فإن على بابه النور ، فوالله لقد قلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، وأمسكتم الأموال وجاد لي بماله ، وخَذَلتموني وواساني واتبعني » .

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « مَنْ جرّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » فقال أبو بكر : إن أحَدَ شق ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك [منه] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لَسْتَ تصنع ذلك خُيَلاء ».

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَنْ أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن تبع منكم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن عاد اليوم منكم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن في امرىء إلاّ دَخَلَ الجنة » .

وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس بن مالك ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فحديث أنس أخرجه البيهقي في الأصل ، وفي آخره «وَجبَتْ لك الجنة» وحديث عبد الرحمن أخرجه البزار ، ولفظه «صلّى رسولُ الله عليه الصلاة والسلام صلاة الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه ، فقال : من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ فقال عمر : يارسول الله لم أحدث نفسي بالصوم البارحة فأصبحت مُفطِراً ، فقال أبو بكر : ولكني حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائماً ، فقال : هل أحد منكم اليوم عاد مريضا ؟ فقال عمر : يارسول الله لم نبرح فكيف نعود المريض ؟ فقال أبو بكر : بَلَغَني أن أخي عبد الرحمن بن عوف شاكٍ فجعلت طريقي عليه لأنظر كيف أصبح ، فقال : هل منكم أحد أطعم اليوم مسكيناً ؟ فقال عمر : صلينا يارسول الله ولم نبرح ، فقال أبو بكر : دَخَلْتُ المسجد فإذا سائل فوجدت كسرة من خبز الشعير في يد عبد الرحمن فأخذتها ودفعتها إليه ، فقال : أنت فأبشر بالجنة ، ثم قال كلمة أرْضَى بها عمر ، وزعَمَ عمر أنه لم يُردخيراً قطُّ إلاسَبَقه إليه أبو بكر » .

وأخرج أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت في المسجد أصلي ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر ، فوجدني أدعو ، فقال:

سَلْ تُعْطَه ، ثم قال : « مَنْ أحب أنْ يقرأ القرآن غضًا طريًا فليقرأ بقراءة ابن أم عبد » فرجعت إلى منزلى ، فأتانى أبو بكر فَبَشَّرَنِى ، ثم أتى عمر فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه ، فقال : « إنك لَسَبَّاقٌ بالخير » .

وأخرج أحمد بسندٍ حَسَن عن ربيعة الأسلمى رضى الله عنه ، قال : جرى بينى وبين أبى بكر كلام ، فقال لى كلمة كرهتها ، وندم فقال لى : يا ربيعة رُدَّ على مثلها حتى يكون قِصَاصاً ، قلت : لا أفعل ، قال : [أبو بكر] لتقولَنَّ أو لأستعدِيَنَّ عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ما أنا بفاعل ، فانطلق أبو بكر [رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وانطلقت أتلُوه] وجاء أناس من أسْلَمَ فقالوا لى : رحم الله أبا بكر ! فى أى شىء يستعدى عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قال لك ما قال ؟ فقلت : أتدرون مَنْ هذا ؟ [هذا] أبو بكر الصديق ، هذا ثانى اثنين ، وهذا ذو شَيْبَة المسلمين ، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصرون عليه فيغضب ، فيأتى رسول الله عليه الصلاة والسلام فيغضب لغضبه ، فيغضب الله (عز وجل) لغضبهما ، فيهلك ربيعة [قالوا : ما تأمرنا ؟ قال: ارجعوا] وانطلق أبو بكر (رضى الله عنه) وتبعته وَحْدِى ، حتى أتى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فحدثه الحديث كما كان ، فرفع إلىّ رأسه فقال : يا ربيعة مالك والصديق؟ فقلتُ : يا رسول الله كان كذا وكذا ، فقال لى كلمة كرهتها ، فقال لى : قل كما قُلْتُ حتى يكون قصاصاً ، فأبيت ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : أجلْ ! لا تردَّ عليه ، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر ، فقلت : غفر الله لك يا أبا بكر [قال الحسن : فولّى أبو بكر رضى الله عنه وهو يبكى] » .

وأخرج الترمذى ـ وحَسَّنه ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر : « أنت صاحبى على الحوْض ، وصاحبى فى الغار » .

وأخرج عبد الله بن أحمد رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أبو بكر صاحبي ومُؤنسي فى الغار » إسناده حسن .

وأخرج البيهقى عن حُذَيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن فى الجنة طَيْرًا كأمثال البَخَاتِيِّ ، قال أبو بكر : إنها لناعمة يا رسول الله ، قال : أنعَمُ منها مَنْ يأكلها ، وأنت ممن يأكلها » ، وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس .

وأخرج أبو يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « عُرِجَ بى إلى السماء ، فما مَرَرْتُ بسماء إلا وجدت فيها اسمى محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خَلْفِى » إسناده ضعيف ، ولكنه ورد أيضاً من حديث ابن عباس ، وابن عمر ، وأنس ، وأبى سعيد ، وأبى الدرداء ، رضى الله عنهم ! بأسانيد ضعيفة يشدُّ بعضُها بعضا .

وأخرج ابن أبى حاتم وأبو نُعَيْم عن سعيد بن جُبَيْر رضى الله عنه قال : قرأت عند النبى صلى الله عليه وسلم : (يا أيتها النفس المطمئنة) فقال أبو بكر : يارسول الله إن هذا لحسن ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أما إنّ المَلَك سيقولها لك عند الموت » .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال : لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتُلُوا أنفسكم) الآية ، قال أبو بكر : يارسول الله لو أمرتَنِى أن أقتل نفسى لفعلت ، فقال : « صدقت » .

وأخرج أبو القاسم البغوى : حدثنا داود بن عمر ، حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبى مُلَيْكة ، قال : دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه غَدِيراً فقال : ليسبح كل رجل إلى صاحبه ، قال : فسبح كل رجل ، حتى بقى رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو بكر ، فسبح رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى أبى بكر

حتى أعتنقه، وقال: « لو كنت متخذاً خليلاً حتى ألقى الله لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه صاحبي » . تابعه وكيع عن عبد الجبار بن الورد ، أخرجه ابن عساكر ، وعبدُ الجبار ثقة ، وشيخه ابن أبي مُلَيكة إمامٌ ، إلا أنه مرسل ، وهو غريب جداً .

قلت : أخرجه الطبراني في الكبير ، وابن شاهين في السنة من وجهٍ آخر موصولا عن ابن عباس .

وأخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، وابن عساكر من طريق صَدَقَةَ ابن ميمون القرشي عن سليمان بن يَسَار ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خصال الخير ثلثمائة وستون خَصْلَةً ، إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل فيه خصلة منها يدخل بها الجنة » قال أبو بكر : يارسول الله أفيَّ شيء منها ؟ قال : نعم جمعا من كل » .

وأخرج ابن عساكر من طريق أخرى ، عن صَدَقَةَ القرشي ، عن رجل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خصال الخير ثلثمائة وستون » فقال فقال أبو بكر : يارسول الله، لي منها شيء؟ قال « كلها فيك، فهنيئاً لك يا أبا بكر » .

وأخرج ابن عساكر من طريق مجمع بن يعقوب الأنصاري عن أبيه قال: إن كانت حلقة النبي صلى الله عليه وسلم لتشتبك حتى تصير كالأسوار ، وإن مجلس أبي بكر منها لفارغ ، ما يطمع فيه أحد من الناس ، فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلسَ ، وأقبل عليه النبيُّ عليه الصلاة والسلام بوجهه ، وألقى إليه حديثه ، وسمع الناس .

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حُبُّ أبي بكر وشكره واجبٌ على كل أمتي » .

وأخرج مثله في حديث سهل بن سعد .

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً « الناسُ كلهم يحاسَبُونَ

فصل

فيما ورد من كلام الصحابة والسلف الصالح في فضله

أخرج البخارى عن جابر رضى الله عنه ، قال : قال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا .

وأخرج البيهقى فى شُعَب الإيمان عن عمر رضى الله عنه ، قال : لو وُزِنَ إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرَجَحَ بهم .

وأخرج ابن أبى خَيْثَمة ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، عن عمر رضى الله عنه قال : إن أبا بكر كان سابقاً مُبَرِّزاً .

وقال عمر : لوددت أنى شعرة فى صدر أبى بكر ، أخرجه مُسَدَّد فى مسنده .

وقال : وددت أنى من الجنة حيث أرى أبا بكر ، أخرجه ابن أبى الدنيا ، وابن عساكر .

وقال : لقد كان ريحُ أبى بكر أطيبَ من ريح المسك ، أخرجه أبو نعيم .

وأخرج ابن عساكر عن علىّ أنه دخل على أبى بكر وهو مُسَجًّى ، فقال : ما أحَدٌ لقى الله بصحيفة أحب إلىّ من هذا المسجَّى .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « حدثنى عمر بن الخطاب أنه ما سَبَقَ[1] أبا بكر إلى خير قط إلا سَبَقَه به » .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن على قال : والذى نفسى بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سَبَقَنَا إليه أبو بكر .

وأخرج فى الأوسط أيضاً عن جحيفة ، قال : قال علىّ : خيرُ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ، لا يجتمع حُبِّى وبغض أبى بكر وعمر فى قلب مؤمن .

وأخرج فى الكبير عن ابن عمر قال : ثلاثة من قريش أصبح قريش وجوهاً

---

(١) لعل الأصل « ماسابق أبا بكر - إلخ » .

[illegible] قال : فقال علي : [illegible] وجدنا أبا بكر لها أهلا .

فصـــل

فى مبايعته رضى الله عنه

روى الشيخان أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس مرجعَهُ من الحج ، فقال فى خطبته : قد بلغنى أن فلانا منكم يقول : لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يغترنَّ امرؤ أن يقول: إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتَةً [وتمت] ألا وإنها قد كانت كذلك ، إلا أن الله وَقَى شَرَّها ، وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر ، وإنه كان من خيرنا حين توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وإن علياً والزبير ، ومَنْ معهما تخلَّفُوا فى بيت فاطمـة ، وتخلفت الأنصار عنّا بأجمعها فى سقيفة بنى ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت له : ياأبابكر ، انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذى صنع القوم ، فقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلت : نريد إخواننا من الأنصار فقالا : لاعليكم ألا تقربوهم واقضُوا أمركم يامعشر المهاجرين ، فقلت : والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا هم مجتمعون ، وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزَمَّل ، فقلت : مَنْ هذا ؟ قالوا : سعد بن عُبَادة : فقلت : ماله ؟ قالوا : وَجِـع ، فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ، وقال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دَفَّتْ دَافَّةٌ منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتَحْضِبُونا من الأمر[1] . فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زَوَّرتُ[2] مقالةً أعجبتنى أردت أن أقولها بين يَدَىْ أبى بكر ، وقد كنت أدارى منه بعض الحد ، وهو كان أحْلَمَ منى وأوْقَرَ ، فقال أبو بكر : على رِسْلِكَ

---

(١) انظر سيرة [illegible]شام ٤/٣٢٨ .

(٢) زورت مقالة : أعددتها فى نفسى ورأوت فيها .

فكرهت أن أغضبه ، وكان أعلم منى ، والله ماترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بداهته [مثلها] وأفضل [منها] حتى سكت ، فقال : أما بعد فما ذكرتم فيكم من خير فأنتم أهله ، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين [فبايعوا] أيهما شئتم ، فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح [وهو جالس بيننا] فلم أكره مما قال غيرها ، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك من إثم أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش ، وكثر اللغط وارتفعت الأصوات ، حتى خشيت الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك ياأبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته وبايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، أما والله ماوجدنا فيما حضرنا أمراً هو أوفق من مبايعة أبى بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ، ولم تكن بيعة ، أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فإما أن نبايعهم على مالا نرضى ، وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد .

وأخرج النسائى وأبو يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فأتاهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يامعشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام واجتمع الناس فى دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر ، فقام خطباء الأنصار ، فجعل الرجل منهم يقول : يامعشر المهاجرين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا ، فنرى أن يلى هذا الأمر رجلان منا ومنكم ، فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك ،

فقام زيد بن ثابت فقال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ، ثم أخذ بيد أبى بكر فقال : هذا صاحبكم فبايعه عمر ، ثم بايعه المهاجرون والأنصار ، وصعد أبو بكر المنبر ، فنظر فى وجوه القوم ، فلم ير الزبير ، فدعا بالزبير فجاء ، فقال : قُلْتَ ابن عَمَّةِ رسول الله عليه الصلاة والسلام وحَوَارِيُّهُ أردت أن تشق عصا المسلمين ، فقال : لاتثريب ياخليفه رسول الله ، فقام فبايعه ، ثم نظر فى وجوه القوم فلم يرَ عليا فدعابه فجاء، فقال : قلتَ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ، فقال : لاتثريب ياخليفةَ رسول الله ، فبايعه .

وقال ابن إسحاق فى السيرة : حدثنى الزهرى قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويعَ أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحبِ رسول الله وثانى اثنين إذهما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ، ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإنى قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصِّدْق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىٌّ عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لايدع قومٌ الجهادَ فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولاتشيع الفاحشة فى قوم قطُّ إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلاطاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

وأخرج موسى بن عقبة فى مَغَازيه والحاكم وصححه من عبد الرحمن بن عوف قال : خطب أبو بكر ، فقال : والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت راغباً فيها ، ولا سألتها الله فى سر ولا علانية، ولكنى أشفقت من الفتنة ،

ومالى فى الإمارة من راحة ، لقد قُلِّدتُ أمراً عظيماً مالى به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله ، فقال على والزبير : ماغضبنا إلا لأنا أُخِّرْنا عن المشورة ، وإنا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها ، إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شَرَفَهُ وخيره ، ولقد أمره رسول الله عليه الصلاة والسلام بالصلاة بالناس وهو حَيٌّ .

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم التيمى قال : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى عمر أبا عُبَيْدَةَ بن الجراح فقال : ابْسُطْ يدك لأبايعك؛ إنك أمين هذه الأمة على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو عبيدة لعمر : مارأيت لك فَهَّةً قبلها منذ أسلمت ! أتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين ؟ الفَهَّةُ : ضعف الرأى .

وأخرج ابن سعد أيضاً عن محمد أن أبا بكر قال لعمر : ابْسُطْ يدك لأبايعك ، فقال له عمر : أنت أفضل منى ، فقال له أبو بكر : أنت أقوى منى ، ثم كرر ذلك ، فقال عمر : فإن قوتى لك مع فضلك ، فبايعه .

وأخرج أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال : توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو بكر فى طائفة من المدينة ، فجاء فكشف عن وجهه ، فقبله وقال : فِدَاء لك أبى وأمى ، ما أطيَبَكَ حياً وميتاً ، مات محمد ورب الكعبة ـ فذكر الحديث ـ قال : وانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتوهم ، فتكلم أبو بكر ، فلم يترك شيئاً أنزل فى الأنصار ولا ذكره رسول الله عليه الصلاة والسلام فى شأنهم إلا ذكره ، وقال: لقد علمتم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : لو سَلَكَ الناسُ وادياً وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادى الأنصار ، ولقد علمتَ ياسعد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال وأنت قاعد: «قريش وُلاةُ هذا الأمر ، فَبَرُّ الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » فقال له سعد : صدقت ، نحن الوزراء ، وأنتم الأمراء .

وأخرج ابن عساكر عن أبى سعيد الخُدْرى قال : لما بويع أبو بكر رأى

من الناس بعض الانقباض ، فقال : أيها الناس ، مايمنعكم [ألستُ أحقكم بهذا الأمر ؟ ألست أول من أسلم ؟ ألست ؟ فذكر خصالا] .

وأخرج أحمد عن رافع الطائى ، قال : حدثنى أبو بكر عن بيعته ، وماقالته الأنصار ، وماقاله عمر ، قال : فبايعونى وقَبِلْتُهَا منهم ، وتخوَّفْتُ أن تكون فتنة يكون بعدها رِدَّةٌ .

وأخرج ابن إسحاق وابن عائد فى مغازيه عنه أنه قال لأبى بكر : ماحَمَلَكَ على أن تلى أمر الناس وقد نهيتنى أن أتأمَّرَ على اثنين ؟ قال : لم أجد من ذلك بُدًّا ، خَشِيتُ على أمة محمد عليه الصلاة والسلام الفُرْقَةَ .

وأخرج أحمد عن قيس بن أبى حازم قال : إنى لجالس عند أبى بكر الصديق بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بشهر ، فذكر قصته ، فنودى فى الناس « الصَّلَاةَ جامِعَةً » فاجتمع الناس ، فصعد المنبر ، ثم قال : أيها الناس ، لوددت أن هذا كفانيه غيرى ، ولئن أخذتمونى بسُنَّة نبيكم ماأطيقها ، إن كان لمعصوماً من الشيطان ، وإن كان لينزل عليه الوحى من السماء .

وأخرج ابن سعد عن الحسن البصرى قال : لما بويع أبو بكر قام خطيباً فقال : أما بعد ؛ فإنى وُلِّيتُ هذا الأمر وأنا له كاره ، ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه ، ألاَ وإنكم إنْ كلفتمونى أن أعمل فيكم بمثل عمل النبى عليه الصلاة والسلام لم أقُمْ به كان النبى عليه الصلاة والسلام عبداً أكرمه الله بالوحْىِ وعَصَمَهُ به ، ألا وإنما أنا بشر ، ولست بخير من أحدكم ، فراعونى ، فإذا رأيتمونى استقمت فاتبعونى ، وإذا رأيتمونى زُغْتُ فقومونى ، واعلموا أن لى شيطاناً يعترينى ، فإذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى ، لاأوثر فى أشعاركم وأبشاركم .

وأخرج ابن سعد والخطيب فى رواية مالك عن عروة قال : لما ولى أبو بكر خطب الناسَ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإنى قد وُلِّيتُ أمركم ، ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن ، وسن النبى عليه الصلاة والسلام السنن ،

وعُلمنا فعلمنا ؛ فاعلموا أيها الناس أن أكْيَسَ الكَيْسِ التُّقى، وأعجز العجز الفجور وأن أقواكم عندى الضعيفُ حتى آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندى القوىُّ حتى آخذ منه الحق ، أيها الناس إنما أنا متبع، ولست بمبتدع ؛ فإذا أحسنتُ فأعينونى وإن أنا زُغتُ فقومونى ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

قال مالك : لايكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط .

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام ارتجّتْ مكة ، فسمع أبو قحافة ذلك ، فقال : ماهذا؟ قالوا : قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قال : أمر جَلَلٌ[1] ، فمن قام بالأمر بعده ؟ قالوا : ابنُكَ ، قال : فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة ؟ قالوا : نعم ، قال : لاواضع لما رَفَعْتَ ، ولا رافع لما وضعت .

وأخرج الواقدى من طرق عن عائشة ، وابن عمر ، وسعيد بن المسيب، وغيرهم رضى الله عنهم أن أبا بكر بويع يوم قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين لاثنَتَىْ عشْرَةَ ليلةً خلت من ربيع الأول سنة إحدى عَشْرَةَ من الهجرة .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر قال : لم يجلس أبو بكر الصديق فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام على المنبر حتى لقى الله، ولم يجلس عمر فى مجلس أبى بكر حتى لقى الله ، ولم يجلس عثمان فى مجلس عمر حتى لقى الله .

فصل

فيما وقع فى خلافته

والذى وقع فى أيامه من الأمور الكبار : تنفيذُ جيش أسامة ، وقتال أهل الردَّة ، ومانعى الزكاة ، ومُسَيْلمة الكذاب ، وجَمْعُ القرآن .

أخرج الإسماعيلى عن عمر رضى الله عنه قال : لما قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام ارتدَّ من ارتد من العرب وقالوا : نصلى ولا نزكى ، فأتيت أبا بكر ، فقلت :

(١) أمر جلل : عظيم جداً فادح لايقوى أحد على احتماله .

ياخليفة رسول الله تألّفِ الناسَ وارْفُقْ بهم فإنهم بمنزلة الوَحْش، فقال: رَجَوْتُ نُصْرَتَكَ وجئتنى بخذلانك، جباراً فى الجاهلية خواراً فى الإسلام، بماذا عَسِيتُ أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل أو بسحر مُفْتَرًى؟ هيهات هيهات! مضى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وانقطع الوحى، والله لأجاهدنَّهم مااستمسك السيف فى يدى، وإن منعونى عِقَالاً، قال عمر: فوجدته فى ذلك أمضى منى وأحزم وآدب الناس على أمور هانت على كثير من مؤنتهم حين وليتهم.

وأخرج أبو القاسم البغوى، وأبو بكر الشافعى فى فوائده، وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام اشْرَأَبَّ النفاق، وارتدَّتِ العرب، وانحازت الأنصار، فلو نزل بالجبال الراسيات مانزل بأبى لَهَاضَها، فما اختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بِغَنَائِها وفَصْلِها، قالوا: أين يُدْفَنُ النبى عليه الصلاة والسلام؟ فما وجدنا عند أحد من ذلك علما، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: مامن نبى يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذى مات فيه، قالت: واختلفوا فى ميراثه، فما وجدوا عند أحَدٍ من ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: إنا معشر الأنبياء لانورث؟ ماتركناه صدقة.

[قال الأصمعى: الهَيْضُ الكسر للعظم، والاشرئباب رَفْعُ: الرأس].

قال بعض العلماء: وهذا أول اختلاف وقع بين الصحابة رضى الله عنهم، فقال بعضهم: ندفنه بمكة بلده الذى ولد بها، وقال آخرون: بل بمسجده، وقال آخرون: بل بالبقيع، وقال آخرون: بل فى بيت المقدس مَدْفَنِ الأنبياء، حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم.

قال ابن زنجويه: وهذه سنة تَفَرَّدَ بها الصديقُ من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا إليه فيها.

وأخرج البيهقى وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: والذى لا إله

إلاّ هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبِدَ الله ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة .
فقيل له : مه يا أبا هريرة ، فقال : إن رسول الله عليه الصلاة والسلام وَجَّه أسامة ابن زيد فى سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض النبى عليه الصلاة والسلام وارتدت العرب حول المدينة ، واجتمع إليه أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا : رُدّ هؤلاء ، تُوَجِّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فقال : والذى لا إله إلا هو لو جرّت الكلاب بأرْجُلِ أزواج النبى عليه الصلاة والسلام مارددت جيشاً وَجَّهه رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا حللت لواء عَقَده ، فوجَّهَ أسامة ، فجعل لايمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن نَدَعُهم حتى يَلْقَوْا الروم ، فَلَقُوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام .

وأخرج عن عروة قال : جعل رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول فى مرضه : أنفذوا جيش أسامة ، فسار حتى بلغ الجُرْفَ ، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لاتَعْجَل ؛ فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام ثَقُلَ ، فلم يبرح حتى قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام . فلما قبض رجع إلى أبى بكر ، فقال : إن رسول الله عليه الصلاة والسلام بعثنى وأنا على غير حالكم هذه ، وأنا أتخوَّفُ أن تكفر العرب ، وإن كفرت كانوا أول من يُقَاتَلُ ، وإن لم تكفر مضيْتُ ، فإن معى سَرَوَات الناس وخيارهم ، فخطب أبو بكر الناس ، ثم قال : والله لأنْ تخطفنى الطيرُ أحبُّ إلى من أن أبدأ بشىء قبل أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فبعثه .

قال الذهبى : لما اشتهرت وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بالنواحى ارتَدَّتْ طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ، ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم ، فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم ، فقال : والله لومنعونى عِقَالاً — أو عَنَاقاً — كانوا يؤدونها إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام لقاتلتهم على منعها فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أُمِرْتُ أن

أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ فمن قالها عصم ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله » فقال أبو بكر : والله لأقاتلن مَنْ فرق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال وقد قال : « إلا بحقها » قال عمر : فوالله ماهو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق أخرجه [الشيخان وغيرهما].

وعن عروة قال : خرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حتى بلغ نقعاً حذاء نجد ، وهربت الأعراب بذراريهم ، فكلم الناس أبا بكر ، وقالوا : ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء ، وأمّرْ رجلا على الجيش ، ولم يزالوا به حتى رجع ، وأمّرَ خالد بن الوليد ، وقال له : إذا أسلموا وأعطوا الصدقة ، فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع ، ورجع أبو بكر إلى المدينة .

وأخرج الدارقطني عن ابن عمر قال : لما برز أبو بكر واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب بزمامها . وقال : إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : شِمْ سَيْفَكَ ، ولا تَفْجَعْنَا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً .

وعن حنظلة بن علي الليثي أن أبا بكر بعث خالداً وأمره أن يقاتل الناس على خمس ، مَنْ ترك واحدة منهن قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعاً : على شهادة أنْ لا إلهَ إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة ، فقاتل بني أسد : وغطفان ، وقتل من قتل وأسر من أسر ، ورجع الباقون إلى الإسلام ، واستشهد بهذه الواقعة من الصحابة عُكّاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم .

وفي رمضان من هذه السنة ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وعمرها أربع وعشرون سنة .

قال الذهبي : وليس لرسول الله عليه الصلاة والسلام نَسَبٌ إلا منها ؛ فإن عَقِبَ ابنته زينب انقرضوا ، قاله الزبير بن بكار ، وماتت قبلها بشهر أمُّ أيمن .

وفى شوال مات عبد الله بن أبى بكر الصديق .

ثم سار خالد بجموعه إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب فى أواخر العام ، والتقى الجمعان ، ودام الحصار أياماً ، ثم قُتِلَ الكذابُ لعنه الله ، قتله وَحْشِيٌّ قاتل حمزة واستشهد فيها خلق من الصحابة : أبو حذيفة بن عتبة ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وشجاع بن وهب ، وزيد بن الخطاب ، وعبد الله بن سهل ، ومالك بن عمرو ، والطُّفَيْلُ بن عمرو الدَّوْسى ، وزيد بن قيس ، وعامر بن البكير ، وعبد الله بن مخرمة والسائب بن عثمان بن مظعون ، وعَبَّاد بن بشر ، وَمَعْنُ بن عدى ، وثابت بن قيس ابن شماس ، وأبو دُجانَةَ سماك بن حرب ، وجماعة آخرون تتمة سبعين .

وكان لمسيلمة يوم قتل مائة وخمسون سنة ، ومولده قبل مولد عبد الله والد النبى عليه الصلاة والسلام .

وفى سنة اثنتى عشرة بعث الصديقُ العلاءَ بن الحَضْرَمى إلى البحرين ، وكانوا قد ارتدوا ، فالتقوا بجواثى ، فنصر المسلمون ، وبعث عكرمة بن أبى جهل إلى عمان ، وكانوا قد ارتدوا ، وبعث المهاجر بْنَ أبى أمية إلى أهل النجير ، وكانوا قد ارتدوا ، وبعث زياد بن لبيد الأنصارى إلى طائفة من المرتدة .

وفيها مات أبو العاص بن الربيع زوجُ زينب بنت النبى عليه الصلاة والسلام والصَّعْبُ بن جَثّامة الليثى ، وأبو مَرْثَد الغنوى .

وفيها بعد فراغ قتال أهل الردة بعث الصديقُ رضى الله عنه خالد بن الوليد إلى أرض البصرة فغزا الأُبُلَّةَ ، فافتتحها وافتتح مدائن كسرى التى بالعراق صُلحاً وحَرْباً ، وفيها أقام الحج أبو بكر الصديق ، ثم رجع فبعث عمرو بن العاص والجنود إلى الشام ، فكانت وقعة أَجْنَادِينَ فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ونُصِر المسلمون ، وبشر بها أبو بكر وهو بآخر رَمَق ، واستشهد بها عكرمة بن أبى جهل ، وهشام بن العاص فى طائفة .

وفيها كانت وقعة مَرْج الصفر ، وهزم المشركون ، واستشهد بها الفضل بن العباس فى طائفة .

ذكر جمع القرآن

أخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مَقْتَلَ أهل اليمامة، وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بالناس، وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقرّاء في المواطن؛ فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه، وإني لأرى أن يجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، فرأيت الذي رأى عمر، قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم - فقال أبو بكر: إنك شابٌّ عاقل، ولا نتّهمك، وقد كنتَ تكتب الوحي لرسول الله عليه الصلاة والسلام؛ فتتبع القرآن فاجمعه؛ فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، فقلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي عليه الصلاة والسلام؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شَرَحَ الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من الرِّقاع والأكتاف والعُسُب وصُدُور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خُزَيمة بن ثابت، لم أجدهما مع غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخرها.

فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توَفّاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها.

وأخرج أبو يعلى عن علي، قال: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر؛ إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين.

فصل

في أوَّليّاته

منها أنه أوّل من أسلم، وأول مَنْ جمع القرآن، وأول من سماه مُصْحَفاً، وتقدم دليل ذلك، وأول من سمي خليفة.

أخرج أحمد عن أبي بكر بن أبي مُلَيْكة قال: قيل لأبي بكر: ياخليفة الله، قال: أنا خليفة النبي عليه الصلاة والسلام، وأنا راضٍ به.

ومنها: أنه أول من ولي الخلافة وأبوه حي، وأول خليفة فَرَض له رَعيَّتُه العطاء.

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما استخلف أبو بكر قال: لقد علم قومي أن حِرْفَتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، ويحترف للمسلمين.

وأخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال: لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبْرَادٌ، وهو ذاهبٌ إلى السوق، فقال عمر: أين تريد؟ قال: إلى السوق، قال: تصنع ماذا، وقد وُلِّيتَ أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقال: انطلق، يفرض لك أبو عبيدة، فانطلقا إلى أبي عبيدة، فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين، ليس بأفضلِهم ولا أوكسِهم، وكسوة الشتاء والصيف، إذا أخلَقتَ شيئاً رددته وأخذت غيره، ففَرَضا له كل يوم نصف شاة، وما كساه في الرأس والبطن.

وأخرج ابن سعد عن ميمون قال: لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين، فقال: زيدوني؛ فإن لي عيالا وقد شغلتموني عن التجارة، فزاده خمسمائة.

وأخرج الطبراني في مسنده عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال: لما احتضر أبو بكر قال: ياعائشةُ، أنظري اللِّقْحَةَ التي كنا نشرب من لبنها، والجَفْنةُ التي كنا نصطبغ فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها! فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا نَلي أمر المسلمين، فإذا مُتُّ فارددِيه إلى عمر، فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر، فقال عمر: رحمك الله يا أبا بكر! لقد أتعبت مَنْ جاء بعدك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال: قال أبو بكر — لما احتضر — لعائشة رضي الله عنها: يابنية، إنا وُلينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا ديناراً

ولا درهما ، ولكنا أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وإنه لم يبق عندنا من فىء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبدُ الحبشىّ ، وهذا البعير الناضح ، وجَرْد هذه القطيفة ، فإذا مُتُّ فابعثى بهن إلى عمر .

ومنها : أنه أول من اتخذ بيت المال .

أخرج ابن سعد عن سهل بن أبى خَيْثَمة وغيره أن أبا بكر كان له بيت مال بالسُّنح ليس يحرسه أحد ، فقيل له : ألا تجعل عليه من يحرسه ؟ قال عليه قُفْلٌ ، فكان يعطى مافيه حتى يفرغ ، فلما انتقل إلى المدينة حوَّله فجعله فى داره ، فقدم عليه مال ، فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوِّى بين الناس فى القَسْم ، وكان يشترى الإبل والخيل والسلاح فيجعله فى سبيل الله ؛ واشترى قطائف أتى بها من البادية ففرّقها فى أرامل المدينة ، فلما توفى أبو بكر ودفن دعا عمر الأمناء ودخل بهم فى بيت مال أبى بكر منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ، ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً لا ديناراً ولا درهماً .

قلت : وبهذا الأثر يُرَدُّ قول العسكرى فى الأوائل : إن أول من اتخذ بيت المال عمر ، وإنه لم يكن للنبى عليه الصلاة والسلام بيت مال ، ولا لأبى بكر رضى الله عنه ، وقد رددته عليه فى كتابى الذى صنفته فى الأوائل ، ثم رأيت العسكرى تنبه له فى موضع آخر من كتابه ، فقال : إن أول من ولى بيت المال أبو عبيدة بن الجراح لأبى بكر .

ومنها قال الحاكم : أول لقب فى الإسلام لقبُ أبى بكر رضى الله عنه «عتيق»

فصل

أخرج الشيخان عن جابر رضى الله عنه قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا » فلما جاء مال البحرين بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام قال أبو بكر : مَنْ كان له عند النبى عليه الصلاة والسلام

دَيْنٌ أو عِدَةٌ فليأتنا ، فجئت وأخبرته ، فقال : خذ ، فأخذتُ فوجدتها خمسمائة ، فأعطاني ألفاً وخمسمائة .

فصـــل

في نُبَذٍ من حلمه وتواضعه

أخرج ابن عساكر عن أنيسة قالت : نزل فينا أبو بكر ثلاثَ سنينَ قبل أن يستخلف ، وسنة بعد ما استخلف ، فكان جَوَارِي الحيِّ يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن .

وأخرج أحمد في الزهد عن ميمون بن مهران ، قال : جاء رجل إلى أبي بكر فقال : السلام عليك يا خليفة رسول الله ، قال : مَنْ بين هؤلاء أجمعين .

وأخرج ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري : أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً كبيرة عَمْيَاء في بعض حواشي المدينة من الليل ، فيستقي لها ، ويقوم بأمرها ؛ فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت ، فجاءها غير مرة كيلا يُسْبَقَ إليها ، فرَصدَه عمر ، فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها — وهو يومئذ خليفة — فقال عمر : أنت هو لَعَمْرِي .

وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن الأصبهاني قال : جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال : انزل عن مجلس أبي ، فقال : صدقت إنه مجلس أبيك ، وأجلسه في حجره ، وبكى ، فقال عليّ : والله ما هذا عن أمري ، فقال : صدقتَ ، والله ما أتهمك .

فصـــل

أخرج ابن سعد عن ابن عمر قال : استعمل رسول الله عليه الصلاة والسلام أبا بكر على الحج في أول حجة كانت في الإسلام ، ثم حج رسول الله عليه الصلاة والسلام في السنة المقبلة ، فلما قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام واسْتُخْلِفَ أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على الحج ، ثم حج أبو بكر من قابل ، فلما قبض

أبو بكر واستُخْلِفَ عمرُ استعمل عبدَ الرحمن بن عوف على الحج ، ثم لم يزل عمر يحج سِنِيه كلها حتى قبض، فاستخلف عثمان، واستعمل عبدالرحمن بن عوف على الحج .

فصـــــل

في مرضه ، ووفاته ، ووصيته ، واستخلافه عُمَرَ

أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر قال : كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كَمِدَ[١] فما زال جسمه يَضْوَى حتى مات. يَضْوَى : أي ينقص[٢] .

وأخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث ابن كَلَدَة كانا يأكلان خزيرة[٣] أهديت لأبي بكر ، فقال الحارث لأبي بكر : ارفع يدك ياخليفة رسول الله ، والله إن فيها لسمّ سنةٍ ، وأنا وأنت نموت في يوم واحد ، فرفع يده ، فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة .

وأخرج الحاكم عن الشعبي قال : ماذا نتوقَّعُ من هذه الدنيا الدَّنِيَّةِ وقد سُمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُمَّ أبو بكر ؟

وأخرج الواقدي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت . كان أوّل بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خَلَوْنَ من جمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً ، فَحُمَّ خمسة عشر يوماً لايخرج إلى صلاة ، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بَقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وله ثلاث وستون سنة .

وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن أبي السفر ، قال : دخلوا على أبي بكر في مرضه ، فقالوا : ياخليفة رسول الله ، ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ؟ قال : قد نظر إلي ، فقالوا : ماقال لك ؟ قال : قال : إني فَعَّالٌ لما أريد .

---

(١) كمد ـ بزنة فرح ـ حزن حزناً مكتوماً . (٢) ضوى كفرح : هزل وضعف.
(٣) الخزيرة : لحم يقطع قطعاً صغيرة ويصب عليه ماء حتى إذا نضج ذر عليه دقيق.

وأخرج الواقدى من طرق أن أبا بكر لما ثَقُـلَ دعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أخبرنى عن عمر بن الخطاب ؟ فقال : ماتسألنى عن أمْرٍ إلاوأنت أعلم به منى ، فقال أبو بكر : وإنْ ، فقال عبد الرحمن بن عوف : هو والله أفضَلُ من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان ، فقال : أخبرنى عن عمر ؟ فقال : أنت أخْبَرنا به ، فقال : على ذلك ، فقال : اللهم علمى به أن سريرته خَيْرٌ من عَلاَنيته ، وأنه ليس فينا مثله ، وشاور معهما سعيد بن زيد ، وأسيد بن الحضير ، وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، فقال أسيد : اللهم أعلمه الخير بعدك ، يرضى للرضا ويسخط للسخط ، الذى يُسِرُّ خيرٌ من الذى يُعْلِنُ ، ولن يلى هذا الأمر أحدٌ أقوى عليه منه .

ودخل عليه بعض الصحابة ، فقـال له قائل منهم : ماأنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عُمَرعلينا وقد ترى غِلْظَته ؟ فقال أبو بكر : بالله تُخَوِّفُنِى ؟ أقول : اللهم إنى استخلفت عليهم خَيْرَ أهلك ، أبْلِغْ عنى ماقُلْتُ مَنْ وَرَاءك . ثم دعا عثمان ، فقال : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماعهد أبو بكر بن أبى قُحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها ، حيث يُؤْمِنُ الـكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الـكاذب ، إنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وإنى لم آلُ الله ورسوله ودينه ونفسى ، وإياكم خَيْراً ، فإن عَدَلَ فذلك ظَنِّى به وعلمى فيه ، وإن بَدَّل فلـكل امرىء ما اكتسب ، والخيرَ أرَدتُ ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمـة الله وبركاته » ثم أمر بالـكتاب فَخَتَمه . ثم أمر عثمان فخرج بالـكتاب مختوماً ، فبايع الناسُ ورَضُوا به ، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً ، فأوصاه بما أوصاه ، ثم خرج من عنـده ، فرفع أبو بـكر يديه ، وقال : اللهم إنى لم أردْ بذلك إلا صلاحَهم ، وخِفْتُ عليهم الفتنة ، فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأياً ، فوليت عليهم خيرهم ، وأقواهم عليهم ،

وأحرصهم على ما أرشدهم ، وقد حضرنى من أمرك ماحضر ، فاخلُفْنِى فيهم ، فهم عبادك ، ونَوَاصيهم بيدك ، أَصْلِحِ اللهمَّ وُلاتَهم ، واجعله من خلفائك الراشدين ، وأصلح له رعيته .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود ، قال : أفرَسُ الناس ثلاثة : أبو بكر حين استخلف عمر ، وصاحبة موسى حين قالت : استأجره ، والعزيز حين تفرَّسَ فى يوسف فقال لامرأته : أكرمى مثواه .

وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة ، قال : لما ثقُلَ أبو بكر أشرَفَ على الناس من كُوَّة ، فقال : أيها الناس ، إنى قد عهدت عهداً ، أفترضون به؟ فقال الناس : رضينا ياخليفة رسول الله ، فقام على ، فقال : لانَرضى إلا أن يكون عمر ، قال : فإنه عمر .

وأخرج أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال : أىُّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم الاثنين ، قال : فإن مت من ليلتى فلاتنتظروا بى لغد ، فإنَّ أحبَّ الأيام والليالى إلىَّ اقربُهَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج مالك عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر نحلها جَدَاد عشرين وَسْقاً من ماله بالغابة ، فلما حضرته الوفاة قال : يابُنَيَّة ، والله ما من الناس أحد أحبُّ إلىَّ غنى منك ، ولا أعزّ عَلَىَّ فقراً بعدى منك ، وإنى كنت نحلتك جَدَاد عشرين وَسْقاً ، فلو كنت جددته واحترزته كان لك ، وإنما هو اليوم مالُ وارثٍ ، وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله ، فقالت : ياأبت ، والله لو كان كذا وكذا لتركته ، إنما هى أسماء ؛ فمن الأخرى ؟ قال : ذو بطن ابنة خارجة[1] ، أراها جارية ، وأخرجه ابن سعد ، وقال فى آخره : ذات بطن ابنة خارجة ، قد أُلقِىَ فى روعى أنها جارية ، فاستوصى بها خيراً ، فولدت أمّ كلثوم .

وأخرج ابن سعد عن عروة أن أبا بكر أوصى بخُمُس ماله ، وقال : آخذ من مالى ما أخذ الله من فىء المسلمين .

(١) يريد ما فى بطن امرأته ابنة خارجة .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : لأن أوصى بالخمس أحبّ إلىّ من أن أوصى بالربع ، وأن أوصى بالربع أحبّ إلىّ من أن أوصى بالثلث ، ومن أوصى بالثلث لم يترك شيئاً .

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن الضحاك أن أبا بكر وعليّاً أوْصَيا بالخمس من أموالهما لمن لا يرث من ذوى قرابتهما .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن عائشة رضى الله عنها قالت : والله ما ترك أبو بكر ديناراً ولا درهماً ضرب الله سكته .

وأخرج ابن سعد وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما ثقل أبو بكر تمثلتُ بهذا البيت :

لعمرك مايُغْنِي الثَّرَاء عن الفتى إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه ، وقال : ليس كذلك ، ولكن قولى : (وجاءت سكرةُ الموت بالحقّ ، ذلك ما كنت منه تَحِيدُ) ؛ انظروا ثَوْبَيَّ هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما ، فإن الحىّ أحْوَجُ إلى الجديد من الميت .

وأخرج أبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت على أبى بكر وهو فى الموت ، فقلت :

من لا يزال دمعه مقنعاً فإنه فى مرة مدفوق[1]

فقال : لا تقولى هذا ، ولكن قولى : (وجاءتْ سكرةُ الموتِ بالحقّ ، ذلك ما كنتَ منه تَحِيدُ) ثم قال : فى أىّ يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : يوم الإثنين ؛ قال : أرجو فيما بينى وبين الليل ، فتوفى ليلة الثلاثاء ، ودفن قبل أن يُصْبِح .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، قال : لما احتضر أبو بكر قعدت عائشة رضى الله عنها عند رأسه ، فقالت :

(١) المقنع : المحبوس ، ووقع فى النهاية « لابد يوما أنه يهراق »

وكل ذى إبل يوماً سيُوردها وكل ذى سَلَبٍ لابدّ مسلوب[1]

ففهمها أبو بكر ، فقال : ليس كذلك ياابنتاه ، ولكنه كما قال الله : (وجاءت سكرةُ الموت) الآية .

وأخرج أحمد عن عائشة - رضى الله عنها ! - أنها تمثلت بهذا البيت ، وأبو بكر يقضى :

وأبيَضَ يُسْتَسْقى الغَمَامُ بوجهه ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأرامل

فقال أبو بكر : ذاكِ رسولُ الله عليه الصلاة والسلام .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، عن عُبادة بن قيس ، قال : لما حضرت أبا بكر الوفاة قال لعائشة : اغسلى ثوبَىَّ هذين وكفنينى بهما ؛ فإنما أبوك أحد رجلين : إما مكسو أحسن الكسوة ، أو مسلوب أسوأ السلب .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن أبى مليكة أن أبا بكر أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عُمَيس ، ويُعينُها عبد الرحمن بن أبى بكر .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيّب أن عمر - رضى الله عنه - صلى على أبى بكر بين القبر والمنبر ، وكبّر عليه أربعاً .

وأخرج عن عروة ، والقاسم بن محمد أن أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فلما توفى حُفِر له ، وجعل رأسه عند كَتِفِ رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وألصق اللحد بقبر رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وأخرج عن ابن عمر قال : نزل فى حُفْرَةِ أبى بكر : عمر ، وطَلْحة ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن أبى بكر .

وأخرج من طرق عدة : أنه دفن ليلا .

وأخرج عن ابن المسيب أن أبا بكر لما مات ارتَجّتْ مكة ، فقال أبو قحافة :

(١) فى الأصل « وكل ذى إبل يوما موردها » تحريف .

ماهذا ؟ قالوا : مات ابنك ، قال: رُزْء جَليل ، مَنْ قام بالأمر بعدهُ ؟ قالوا : عمر ، قال : صاحبه .

وأخرج عن مجاهد أن أبا قُحافة ردَّ ميراثه من أبى بكر على ولد أبى بكر ، ولم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأياماً . ومات فى المحرم سنة أربَعَ عشرَةَ ، وهو ابن سبع وتسعين سنة .

قال العلماء : لم يل الخلافة أحد فى حياة أبيه إلا أبو بكر ، ولم يرث خليفةً أبوه إلا أبا بكر .

وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال · ولى أبو بكر سنتين وسبعة أشهر .

وفى تاريخ ابن عساكر بسنده عن الأصمعى قال : قال خُفَاف بن نَدْبة السُّلَمى يبكى أبا بكر :

ليس لحى فاعْلَمَنَّــــهُ بَقَا ... وكل دُنيـــا أمرها للفنا

والملك فى الأقوام مستودَعٌ ... عارية ؛ فالشرط فيـه الأَدَا

والمرء يسعى وله راصــــد ... تنـديه العين ونار الصـدا

يَهْرَمُ أو بقتــل أو يقهره ... يشكوه سُقْمٌ ليس فيـــه شِفَا

إنَّ أبا بكر هو الغيث إن ... لم تزرع الجوزاء بَقْــــلاً بما

تالله لا يدرك أيامــــه ... ذو مئزرٍ نَاشٍ ، ولا ذو رِدَا

مَنْ يَسْعَ كى يدرك أيامــه ... مجتهداً شـــدَّ بأرض فضا

فصــــل

فيما روى عنه من الحديث المسنَدِ

قال النووى فى تهذيبه : روى الصديق عن رسول الله عليه الصلاة والسلام مائة حديث واثنين وأربعين حـديثاً ، وسبب قلة روايته ـ مع تقـدم صحبته وملازمته النبي عليه الصلاة والسلام ـ أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها .

﴿ قلت ﴾ : وقد ذكر عمر رضى الله عنه فى حديث البيعة السابق أن أبا بكر لم يترك شيئاً أنزل فى الأنصار أو قد ذكره رسول الله عليه الصلاة والسلام فى شأنهم إلا ذكره ، وهذا أدلُّ دليلٍ على كثرة محفوظه من السنة ، وسَعَةِ علمه بالقرآن ، وروى عنه عمر [بن الخطاب] وعثمان [بن عفان] وعلى ، وابن عوف ، وابن مسعود ، وحُذَيفة ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وابن عمرو ، وابن عباس ، وأنس ، وزيد بن ثابت ، والبَرَاء بن عازب ، وأبو هريرة ، وعُقْبة بن الحارث ، وعبدالرحمن ابنُه ، وزيد بن أرْقَم ، وعبدالله بن مغفل ، وعقبة بن عامر الجهنى ، وعمران بن حُصَيْن ، وأبو بَرْزَة الأسلمى ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو موسى الأشعرى ، وأبو الطفيل الليثى ، وجابر بن عبد الله ، وبلال ، وعائشة ابنته ، وأسماء ابنته ، ومن التابعين أسلم مولى عمر ، وواسط البجلى ، وخلائق .

وقد رأيت أن أسْرُد أحاديثه هنا على وجه وجيز ، مبيناً عقب كل حديث من خَرَّجه ، وسأفردها بطرقها فى مسند إن شاء الله تعالى .

(الأول) حديث الهجرة الشيخان وغيرهما (الثانى) حديث البحر « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » الدارقطنى (الثالث) حديث « السواك مطهرة للفم مَرْضَاة للرب » أحمد (الرابع) حديث « أن رسول الله عليه الصلاة والسلام أكل كتفاً ثم صلى ولم يتوضأ » البزار ، وأبو يعلى (الخامس) حديث « لايتوضأَنَّ أحدكم من طعام أكله حل له أكله » البزار (السادس) حديث « نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن ضرب المصلين » أبو يعلى ، والبزار (السابع) حديث « إن آخر صلاة صلاها النبى عليه الصلاة والسلام خلفى فى ثوب واحد » أبو يعلى (الثامن) حديث « مَنْ سره أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عَبْدٍ » أحمد (التاسع) حديث « أنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام : علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى ، قال : قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى ؛ إنك أنت الغفور الرحيم » البخارى ، ومسلم

(العاشر) حديث «مَنْ صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفروا الله فى عهده ، فمن قتله طلبه الله حتى يكبه فى النار على وجهه » ابن ماجه (الحادى عشر) حديث «ماقبض نبى قط حتى يؤمه رجل من أمته » البزار (الثانى عشر) حديث « مامن رجل يُذْنِبُ ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلى ركعتين فيستغفر الله إلا غفر له » أحمد ، وأصحاب السنن الأربعة ، وابن حِبَّان (الثالث عشر) حديث « ماقبض الله نبياً إلا فى الموضع الذى يجب أن يدفن فيه» الترمذى (الرابع عشر) حديث «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» أبو يعلى (الخامس عشر) حديث « إن الميت يُنْضَحُ عليه الحميم ببكاء الحى » أبو يعلى (السادس عشر) «اتقُوا النار ولو بشق تمرة ؛ فإنها تُقيم العوج ، وتدفع ميتة السوء ، وتقع من الجائع موقعها من الشبعان » أبو يعلى (السابع عشر) حديث فرائض الصدقات بطوله ، البخارى وغيره (الثامن عشر) حديث عن ابن أبى مليكة قال: « كان ربما سقط الخُطَام من يد أبى بكر الصديق فيضرب بذراع ناقته فينيخها ، فقالوا له : أفلا أمرتنا نناولكه ؟ فقال : « إن حِبِّى رسول الله عليه الصلاة والسلام أمرنى أن لا أسأل الناس شيئاً ؟ » أحمد (التاسع عشر) حديث « أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام أسماء بنت عُمَيس حين نُفِست بمحمد بن أبى بكر أن تغتسل وتُهِلّ » البزار ، والطبرانى (العشرون) «سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام : أى الحج أفضل؟ فقال : العَجُّ والثَّجُّ » الترمذى وابن ماجه (الحادى والعشرون) حديث «أنه قبل الحجر وقال : لولا أنى رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقبلك ماقبلتك » الدارقطنى (الثانى والعشرون) حديث « أن رسول الله عليه الصلاة والسلام بعث ببراءة إلى أهل مكة: لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عُرْيَان »الحديث أحمد (الثالث والعشرون) حديث « مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على ترعة من ترع الجنة» أبو يعلى (الرابع والعشرون) حديث انطلاقه عليه الصلاة والسلام إلى دار أبى الهيثم بن التَّيِّهَان بطوله ، أبو يعلى »

(الخامس والعشرون) حديث «الذهب بالذهب مثلا بمثل ، والفضة بالفضة مثلا بمثل ، والزائد والمستزيد فى النار» أبو يعلى ، والبزار (السادس والعشرون) حديث «ملعونٌ من ضارَّ مؤمناً أو مَكَرَ به» الترمذى (السابع والعشرون) حديث «لا يدخل الجنة بخيل ولا خَبٌّ ولا خائن ولا سيىء الملكة ، وأول من يدخل الجنة المملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده» (الثامن والعشرون) حديث «الولاء لمن أعتق» الضياء المقدسى فى المختارة (التاسع والعشرون) حديث «لا نورَثُ ، ما تركناه صدقة» البخارى (الثلاثون) حديث «إن الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه جعلها للذى يقوم من بعده» أبو داود (الحادى والثلاثون) حديث «كُفرَ بالله مَنْ تبرأ من نسب وإن دق» البزار (الثانى والثلاثون) حديث «أنت ومالُكَ لأبيك» قال أبو بكر : وإنما يعنى بذلك النفقة ، البيهقى (الثالث والثلاثون) حديث «من أغبرَّتْ قدماهُ فى سبيل الله حرمهما الله على النار» البزار (الرابع والثلاثون) حديث «أمرت أن أقاتل الناس» الحديث، الشيخان وغيرهما (الخامس والثلاثون) حديث «نعم عبدُ الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد وسيف من سُيُوف الله سَلَّه الله على الكفار والمنافقين» أحمد (السادس والثلاثون) حديث «ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر» الترمذى (السابع والثلاثون) حديث «من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً مُحاباة فعليه لعنة الله لا يقبلُ الله منه صرفاً ولا عدلا حتى يدخله جهنم ، ومن أعطى أحداً حِمى الله فقد انتهك من حمى الله شيئاً بغير حقه فعليه لعنة الله» أحمد (الثامن والثلاثون) حديث قصة ماعز ورَجْمه، أحمد (التاسع والثلاثون) حديث «ما أَصَرَّ من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة» الترمذى (الأربعون) حديث «أنه عليه الصلاة والسلام شاور فى أمر الحرب» الطبرانى (الحادى والأربعون) حديث «لما نزلت مَنْ يعمل سوءاً يُجزَ به» الحديثَ ، الترمذى ، وابن حبان ، وغيرهما (الثانى والأربعون) حديث «إنكم تقرؤن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم)» الحديثَ ، أحمد ، والأربعة ، وابن حبّان (الثالث والأربعون)

حديث «ماظنُّكَ باثنين الله ثالثهما» الشيخان (الرابع والأربعون) حديث «اللهم طَعَنًا وطاعونًا» أبو يعلى (الخامس والأربعون) حديث «شَيَّبتنى هود» الحديثَ الدارقطنى فى العلل (السادس والأربعون) حديث «الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل» الحديثَ، أبو يعلى وغيره (السابع والأربعون) حديث «قلت: يارسول الله علمنى شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت» الحديثَ، الهيثم بن كليب فى مسنده، وهو عند الترمذى وغيره من مسند أبى هريرة (الثامن والأربعون) حديث «عليكم بلا إلهَ إلا الله والاستغفار؛ فإن إبليس قال: أهلكتُ الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إلهَ إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسَبُون أنهم مهتدون» أبو يعلى (التاسع والأربعون) حديث «لما نزلت (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) قلت: يارسول الله والله لا أكلمك إلا كأخى السِّرار» البزار (الخمسون) حديث «كل مُيَسَّر لما خُلِقَ له» أحمد (الأحد والخمسون) حديث «مَنْ كذب على متعمداً أو رَدَّ على شيئاً أمرت به فليتبوأ بيتاً فى جهنم» أبو يعلى (الثانى والخمسون) حديث «مانجاة هذا الأمر — الحديث — فى لا إله إلا الله» أحمد وغيره (الثالث والخمسون) «اُخرُج فنادِ فى الناس مَنْ شهد أن لا إلهَ إلا الله وجبت له الجنة، فخرجت فلقينى عمر» الحديثَ، أبو يعلى، وهو محفوظ من حديث أبى هريرة، غريب جداً من حديث أبى بكر (الرابع والخمسون) حديث «صنفان من أمتى لا يدخلان الجنة المرجئة والقدرية» الدارقطنى فى العلل (الخامس والخمسون) حديث «سَلُوا الله العافية» أحمد والنسائى وابن ماجه، وله من طرق كثيرة عنه (السادس والخمسون) حديث «كان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا أراد أمراً قال: اللهم خِرْ لى واخترلى» الترمذى (السابع والخمسون) حديث «دعاء الدَّيْن: اللهم فَارِج الهم» الحديثَ، البزار والحاكم (الثامن والخمسون) حديث «كل جسَد نبت من سُحْتٍ فالنار أوْلى به» وفى لفظ «لا يدخل الجنة جسدٌ غُذِىَ بحرام» أبو يعلى (التاسع والخمسون) حديث «ليس

شيء من الجسد إلا وهو يشكو ذَرَبَ اللسان» أبو يعلى (الستون) حديث «ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغفر فيها لكل بشر ماخلا كافراً أو رجلا فى قلبه شَحْناء» الدارقطنى (الأحد والستون) حديث «إن الدجال يخرج بالمشرق من أرض يقال لها خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المَجانُّ المُطْرَقَة» الترمذى، وابن ماجه (الثانى والستون) حديث «أُعْطِيتُ سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» الحديثَ، أحمد (الثالث والستون) حديث الشفاعة بطوله فى تردد الخلائق إلى نبى بعد نبى، أحمد (الرابع والستون) حديث «لو سَلَكَ الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادى الأنصار» أحمد (الخامس والستون) حديث «قريش وُلاةُ هذا الأمر، برُّهم تبعٌ لبَرِّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم» أحمد (السادس والستون) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بالأنصار عند موته وقال «اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم» البزار والطبرانى (السابع والستون) حديث «إنى لأعلمُ أرضاً يقال لها عمان، ينضح بناحيتها البحر: بها حيٌّ من العرب، لو أتاهم رسولى مارمَوْه بسهم ولا حجر» أحمد وأبو يعلى (الثامن والستون) حديث أن أبا بكر مرَّ بالحسَن وهو يلعب مع الغلمان، فاحتمله على رقبته، وقال: بأبى شبيه بالنبى ليس شبيهاً بعلى[1]، البخارى، وقال ابن كثير: وهو فى حكم المرفوع؛ لأنه فى قوة قوله إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يشبه الحسن (التاسع والستون) حديث «أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يزور أم أيمن» مسلم (السبعون) حديث قتل السارق فى الخامسة؛ أبو يعلى والديلمى (الحادى والسبعون) حديث قصة أُحُد، الطيالسى والطبرانى (الثانى والسبعون) حديث «بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئاً، ولا أرى شيئاً، فقلت: يارسول الله، ماالذى تدفع؟ قال: الدنيا، تطولت لى، فقلت:

---

(١) وهو فى مسند أحمد (رقم ٤٠) على هيئة بيت من مجزوء الرجز هكذا:

وا، بأبى شبه النبى ليس شبيهاً بعلى

إليك عنى ، فقالت لى : أما إنك لست بمدركى» البزار . هذا ما أورده ابن كثير فى مسند الصديق من الأحاديث المرفوعة، وقد فاته أحاديثُ أخرى فتتبعتها لتكملة العدة التى ذكرها النووى (الثالث والسبعون) حديث « اقتلوا القرد كائناً ما كان من الناس» الطبرانى فى الأوسط (الرابع والسبعون) حديث «انظروا دُورَ مَنْ تعمرون وأرض مَنْ تسكنون » وفى طريق« مَنْ تمشون» الديلمى (الخامس والسبعون). حديث «أكثروا من الصلاة علىَّ ؛ فإن الله وَكَّلَ بقبرى مَلَكاً ؛ فإذا صلى رجل من أُمَّتى قال لى ذلك الملك : إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة » الديلمى. (السادس والسبعون) حديث «الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ، والغسل يوم الجمعة كفارة» الحديث ، العقيلى فى الضعفاء (السابع والسبعون) حديث« إنما حَرُّ جهنم على أمتى مثل الحَمَّام» الطبرانى (الثامن والسبعون) حديث « إياكم والكذب ؛ فإن الكذب مجانب للإيمان» ابنُ لال فى مكارم الأخلاق (التاسع والسبعون) حديث «بَشِّرْ مَنْ شهد بَدْراً بالجنة » الدارقطنى فى الأفراد (الثمانون) حديث «الدَّين راية الله الثقيلة ، من ذا الذى يُطِيقُ حملها ؟ » الديلمى (الحادى والثمانون). حديث «سورة يس تدعى المعمة المطعمة» الحديث ، الديلمى ، والبيهقى فى الشعب (الثانى والثمانون) حديث «السلطانُ العادلُ المتواضعُ ظل الله ورُمحه فى الأرض ، ويرفع له فى كل يوم وليلة عَمَلُ ستين صديقاً» أبو الشيخ والعقيلى فى الضعفاء ، وابن حِبَّان فى كتاب الثواب (الثالث والثمانون) حديث « قال موسى لربه : ماجزاء مَنْ عَزَّى الثَّكْلى ؟ قال: أُظِلُّه فى ظلى» ابن شاهين فى الترغيب ، والديلمى. (الرابع والثمانون) حديث « اللهم أشدد الإسلام بعمر بن الخطاب » الطبرانى فى الأوسط (الخامس والثمانون) حديث« ماصِيدَ صَيد ولاعضدت عَضَاةٌ ولاقطعت وشيجة إلا بقلة التسبيح» ابن راهويه فى مسنده (السادس والثمانون) حديث«لو لم أبعث فيكم لبعث عمر » الحديث ، الديلمى (السابع والثمانون) حديث «لو اتَّجَرَ أهل الجنة لاتجروا بالبَزِّ» أبو يعلى (الثامن والثمانون) حديث «من خرج يدعو إلى

نفسه أو إلى غيره وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ فاقتلوه»
الديلمى فى التاريخ (التاسع والثمانون) حديث «مَنْ كتب عنى علماً أو حديثاً لم
يزل يكتب له الأجر ما بقى ذلك العلم أو الحديث» الحاكم فى التاريخ (التسعون)
حديث «مَنْ مشى حافياً فى طاعة الله لم يسأله الله يوم القيامة عما افترض عليه»
الطبرانى فى الأوسط (الحادى والتسعون) حديث «مَنْ سَرَّه أن يُظله الله من
فور جهنم، ويجعله فى ظله؛ فلا يكن على المؤمنين غليظاً، وليكُنْ بهم رحيماً»
ابن لال فى مكارم الأخلاق، وأبو الشيخ، وابن حِبَّان فى الثواب (الثانى
والتسعون) حديث «من أصبح ينوى لله طاعة كتب الله له أجر يومه وإن عصاه»
الديلمى (الثالث والتسعون) حديث «ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب»
الطبرانى فى الأوسط (الرابع والتسعون) حديث «لا يدخل الجنة مُقْتِر» الديلمى
ولم يسنده (الخامس والتسعون) حديث «لا تحقرَنَّ أحداً من المسلمين فإن صغير
المسلمين عند الله كبير» الديلمى (السادس والتسعون) حديث «يقول الله: إنْ
كنتم تريدون رحمتى فارحموا خَلْقِى» أبو الشيخ وابن حِبَّان والديلمى (السابع
والتسعون) حديث «سألت النبى عليه الصلاة والسلام عن الإزار، فأخذ بعضلة
الساق، فقلت: يارسول الله زدنى، فأخذ بمقدم العضلة، فقلت: زدنى، قال:
لاخير فيما هو أسفل من ذلك، قلت: هلكنا يارسول الله، قال: ياأبا بكر سَدِّدْ
وقارب تَنْجُ» أبو نعيم فى الحلية (الثامن والتسعون) حديث «كَفِّى وكفُّ على
فى العدل سواء» الديلمى وابن عساكر (التاسع والتسعون) حديث «لاتغفلُوا
التعوُّذَ من الشيطان، فإنكم إن لم تكونوا تَرَوْنَه فإنه ليس عنكم بغافل» الديلمى
ولم يسندهُ (المائة) حديث «مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة» الطبرانى
فى الأوسط (الحادى بعد المائة) حديث «من أكل من هذه البقلة الخبيثة فلا يقربَنَّ
مسجدَنا» الطبرانى فى الأوسط (الثانى والمائة) حديث رفع اليدين فى الافتتاح
والركوع والسجود والرفع، البيهقى فى السنن (الثالث والمائة) حديث «أنه عليه

الصلاة والسلام أهدى جملا لأبى جَهْلٍ » الإسماعيلى فى معجمه (الرابع والمائة) حديث « النَّظَرُ إلى علىّ عبادة » ابن عساكر .

فصـــل

فيما ورد عن الصِّدِّيق من تفسير القرآن

أخرج أبو القاسم البغوى عن ابن أبى مليكة قال : سُئل أبو بكر عن آية ، فقال : أىُّ أرضٍ تُسِعُنى أو أى سماء تظلنى إذا قلت فى كتاب الله مالم يُرِدِ الله ؟

وأخرج أبو عبيدة عن إبراهيم التَّيْمِي قال : سُئل أبو بكر عن قوله تعالى : (وفاكهةً وأَبّاً) ؟ فقال : أى سماء تُظِلّنى ، وأى أرض تُقِلّنى[1] إن قلت فى كتاب الله مالا أعلم ؟

وأخرج البيهقى وغيره عن أبى بكر أنه سئل عن الـكَلالة ؟ فقال: إنى سأقول فيها برأيى ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان : أراه ماخلا الولدَ والوالد ، فلما استخلف عمر قال : إنى لأستحيى أن أردّ شيئا قاله أبو بكر .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن الأسود بن هلال، قال: قال أبو بكر لأصحابه : ماتقولون فى هاتين الآيتين : (إنَّ الذين قالوا رَبُّنا الله ثم استقاموا) ، (والذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بظلم) ؟ قالوا : ثم استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة ، قال : لقد حملتموها على غير المحمل ، ثم قال: قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا فلم يميلوا إلى إلهٍ غيره ، ولم يلبسوا إيمانهم بشركٍ .

وأخرج ابن جرير عن عامر بن سعد البَجَلِيِّ عن أبى بكر الصِّدِّيق فى قوله تعالى : (للذينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وزيادَةٌ) قال : النظر إلى وَجْه الله تعالى .

وأخرج ابن جرير عن أبى بكر فى قوله تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال : قد قالها الناس ؛ فمن مات عليها فهو ممن استقام .

---

(١) هكذا هو المحفوظ بواو العطف ووقع فى الأصول «أو أى أرض تقلنى»

فصـــل

فيما رُوى عن الصِّدِّيق رضى الله عنه من الآثار الموقوفة قولا ، أو قضاء ، أو خطبة ، أو دعاء

أخرج اللالكائى فى السنة عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى أبى بكر فقال: أرأيت الزنا بقَدَر ؟ قال : نعم ، قال : فإن الله قدَّره علىَّ ثم يعذبنى ، قال : نعم يا ابن اللخناء ، أما والله لو كان عندى إنسان أمرت أن يَجَأ أنفك .

وأخرج ابن أبى شَيْبة فى مصنفه عن الزبير أن أبا بكر قال وهو يخطب الناس : يا معشر الناس ، أستحيُوا من الله ؛ فوالذى نفسى بيده إنى لأظل حين أذهب إلى الغائط فى الفضاء مُغطيًا رأسى استحياء من الله .

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن عمرو بن دينار قال: قال أبو بكر : استحيُوا من الله ؛ فوالله إنى لأدخل الكنيف فأسند ظهرى إلى الحائط حياء من الله .

وأخرج أبو داود فى سننه عن أبى عبد الله الصُّنَابِحِىّ أنه صلى وراء أبى بكر الصِّدِّيق المغربَ ، فقرأ فى الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورة من قصار المفصل ، وقرأ فى الثالثة (رَبَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعدَ إذْ هَدَيْتنا) الآية .

وأخرج ابن أبى خيثمة وابن عساكر عن ابن عُيَيْنة قال : كان أبو بكر إذا عَزَّى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبة ، وليس مع الجزع فائدة ، الموت أهوَنُ مما قبله ، وأشدّ مما بعده ، اذكروا فَقْدَ النبى عليه الصلاة والسلام تَصغُرْ مصيبتُكم ، وأعْظَمَ الله أجركم .

وأخرج ابن أبى شَيْبة والدارقطنى عن سالم بن عبيد - وهو صحابىّ - قال : كان أبو بكر الصديق يقول لى : قم بينى وبين الفجر حتى أتسحَّرَ .

وأخرج عن أبى قِلابة وأبى السفر قالا : كان أبو بكر الصديق يقول : أجِيفُوا الباب حتى نتسحرّ [1] .

---

(١) أجيفوا الباب : أى أغلقوه وردوه .

وأخرج البيهقي وأبو بكر زيادة النيسابوري في كتاب الزيادات ، عن حذيفة ابن أسيد قال : أدركت أبا بكر وعمر ومايُضَحِّيَانِ ، إرادة أن يستن بهما .

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال : شهدت على أبي بكر الصديق أنه قال: كُلُوا الطَّافي من السمك .

وأخرج الشافعي في الأم عن أبي بكر الصديق أنه كَرِهَ بيع اللَّحْم بالحيوان

وأخرج البخاري عنه أنه جعل الْجَدّ بمنزلة الأب ، يعني في الميراث .

وأخرج ابن أبي شَيْبة في مصنفه عن عطاء عن أبي بكر قال : الجد بمنزلة الأب مالم يكن أب دونه ، وابنُ الابن بمنزلة الابن مالم يكن ابنٌ دونه .

وأخرج عن القاسم أن أبا بكر أتى برجل انتَفَى من أبيه ، فقال أبو بكر : اضْرِبِ الرأس ؛ فإن الشيطان في الرأس .

وأخرج عن ابن أبي مالك قال : كان أبو بكر إذا صَلَّى على الميت قال :اللهم عبدك أسلَمَهُ الأهل والمال والعشيرة ، والذنب عظيم ، وأنت غفور رحيم .

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمر أن أبا بكر قَضَى بعاصم بن عمر بن الخطاب لأم عاصم ، وقال : ريحها وشمها ولطفها خير له منك .

وأخرج البيهقي عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل إلى أبي بكر فقال : إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله يجتاحه[1] ، فقال لأبيه: إنما لك من ماله ما يكفيك ، قال : ياخليفة رسول الله ، أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت ومالك لأبيك ؟ فقال : نعم ، وإنما يعني بذلك النفقة .

وأخرج أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أبا بكر وعمر كانا لايقتلان الْحُرّ بالعبد .

وأخرج البخاري عن ابن أبي مليكة عن جده أن رجلا عَضَّ يَدَ رجل فأندَرَ[2] ثَنِيَّتَهُ فأهْدَرَهَا أبو بكر .

(١) يجتاحه : يهلكه . (٢) أندر ثنيته : قلع سنه .

وأخرج ابن أبي شَيْبة والبيهقي عن عكرمة أن أبا بكر قضى في الأُذُن بخمس عَشْرَة من الإبل ، وقال : يُوارى شَيْنَها الشَّعْرُ والعمامة .

وأخرج البيهقي وغيره عن أبي عمران الجونى أن أبا بكر بعث جيوشاً إلى الشام ، وأمَّرَ عليهم يزيد بن أبي سفيان ، قال : إني مُوصيك بعشر خلال : لاتقتلوا امرأة ، ولا صبيًّا ، ولا كبيراً هرماً ، ولا تقطع شَجَراً مُثْمراً ، ولا تخربن عامراً ، ولا تعقر شاة ولا بعيراً إلا لمأكله ، ولا تغرقَنَّ نخلا ، ولا تحرقنَّه ، ولا تَغْلُلْ ، ولا تجبن .

وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي بَرْزَة الأسلمي ، قال : غضب أبو بكر من رجل فاشتدَّ غضبه جداً ، فقلت : ياخليفة رسول الله أضرب عنقه ؟ قال : ويلك ! ماهي لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج سيف في كتاب الفتوح عن شيوخه أن المهاجر بن أبي أمية – وكان أميراً على اليمامة – رفع إليه امرأتان مغنيتان غَنَّتْ إحداهما بشتم النبي عليه الصلاة والسلام فقطع يدها ونزع ثَنِيَّتها ، وغَنَّتِ الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها ، ونزع ثنيتها ؛ فكتب إليه أبو بكر : بلغني الذي فعلْتَ في المرأة التي تَغَنَّتْ بشتم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلولا ماسبقتني فيها لأمرتك بقتلها ؛ لأن حَدَّ الأنبياء ليس يشبه الحدود ؛ فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد ، أو معاهد فهو محارب غادر ، وأما التي تغنت بهجاء المسلمين : فإن كانت ممن يدعى الإسلام ، فأدبٌ وتعزيرٌ دون المثلة ، وإن كانت ذمية فلعمري لَمَا صفحت عنه من الشرك أعظم ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروهاً ، فاقبل الدَّعَة ، وإياك والمُثْلة في الناس ؛ فإنها مأثم ومنفرة إلا في قصاص .

وأخرج مالك والدارقطني عن صفية بنت أبي عبيد أن رجلا وقع على جارية بكر ، واعترف ، فأمر به فجلد ، ثم نَفَاهُ إلى فَدَك .

وأخرج أبو يعلى عن محمد بن حاطب قال : جيء إلى أبى بكر برجل قد سرق ، وقد قُطِعَتْ قوائمه ، فقال أبو بكر : ما أجد لك شيئاً إلا ماقضى فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك ؛ فإنه كان أعلم بك ، فأمر بقتله .

وأخرج مالك عن القاسم بن محمد أن رجلا من أهل اليمن أقْطَعَ اليدِ والرِّجْلِ قدم فنزل على أبى بكر ، فشكا إليه أن عامل اليمن ظلمه ، فكان يصلى من الليل ، فيقول أبو بكر : وأبيك مالَيْلُكَ بليل سارق ، ثم إنهم افتقدوا حُليا لأسماء بنت عُمَيس امرأة أبى بكر ، فجعل يطوف معهم ، ويقول : اللهم عليك بمن بَيَّتَ أهل هذا البيت الصالح ، فوجدوا الحليّ عند صائغ زعم أن الأقْطَعَ جاءه به ، فاعترف الأقطع أو شُهِدَ عليه ، فأمر به أبو بكر ، فقطعت يده اليسرى وقال أبو بكر : والله لدعاؤه على نفسه أشدُّ عندى عليه من سرقته .

وأخرج الدارقطنى عن أنس أن أبا بكر قطع فى مِجَنّ قيمته خمسة دراهم .

وأخرج أبو نُعيم فى الحلية عن أبى صالح قال : لما قدم أهل اليمن زَمَانَ أبى بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : هكذا كنا ، ثم قَسَتِ القلوب . قال أبو نُعيم : أى قويت واطمأنت بمعرفة الله تعالى .

وأخرج البخارى عن ابن عمر قال : قال أبو بكر : أرْقُبُوا محمداً عليه الصلاة والسلام فى أهل بيته .

وأخرج أبو عبيد فى الغريب عن أبى بكر قال : طُوبى لمن مات فى النأنأة أى فى أوّل الإسلام قبل تحرُّكِ الفتن .

وأخرج الأربعة ومالك عن قبيصة قال : جاءت الجدة إلى أبى بكر الصديق تسأله ميراثها ، فقال : مالك فى كتاب الله [شىء] وماعلمت لك فى سنة نبى الله عليه الصلاة والسلام شيئاً ، فارجعى حتى أسأل الناس ، فسأل الناس ، فقال

المغيرة بن شعبة : حضرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس ، فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة ، فأنفذه لها أبو بكر .

وأخرج مالك والدارقطني عن القاسم بن محمد : أن جدتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما أم أم وأم أب ، فأعطى الميراث لأم الأم ، فقال له عبد الرحمن ابن سهل الأنصاري ـ وكان ممن شهد بدراً ، وهو أخو بني حارثة ـ ياخليفة رسول الله ، أعطيت التي لو أنها ماتت لم يرثها ، فقسمه بينهما .

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن عائشة رضي الله عنها حديث امرأة رفاعة التي طلقت منه ، وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ، فلم يستطع أن يغشاها وأرادت العَوْدَ إلى رفاعة ، فقال لها رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا ، حتى تذوقي عُسَيْلته ويذوق عُسَيْلتك » وهذا القدر في الصحيح. وزاد عبدالرزاق فقعدَتْ ثم جاءته فأخبرته أنه قد مسها ، فمنعها أن ترجع إلى زوجها الأول، وقال : اللهم إن كان أتى بها أن ترجع إلى رفاعة فلا يتم لها نكاحه مرة أخرى ، ثم أتت أبا بكر وعمر في خلافتهما فمنعاها .

وأخرج البيهقي عن عقبة بن عامر أن عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة بعثاه بريداً إلى أبي بكر برأس بنان بطريق الشام، فلما قدم على أبي بكر أنكر ذلك، فقال له عقبة : ياخليفة رسول الله فإنهم يصنعون ذلك بنا، قال : أفيَسْتَنَّان بفارس والروم ، لايُحمل إليَّ رأسٌ ؟ إنما يكفي الكتاب والخبر .

وأخرج البخاري عن قيس بن أبي خازم قال : دخل أبو بكر على امرأة من أَحْمَسَ يقال لها : زينب ، فرآها لاتتكلم ، فقال : مالها لاتتكلم ؟ فقالوا : حَجَّتْ مصمتة ، قال لها : تكلمي ؛ فإن هذا لايحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت، فقالت : مَنْ أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين ، قالت : أي المهاجرين ؟

قال : من قريش ، قالت : من أى قريش ؟ قال : إنك لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت أئمتكم ، قالت : وما الأئمة ؟ قال : أو ما كان لقومك رؤس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت : بلى ، قال : فهم أولئك الناس .

وأخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنهـا قالت : كان لأبى بكر غـلام يخرج له الخَرَاجَ ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشىء ، فأكل منه أبو بكر ، فقـال له الغلام : تدْرِى ماهـذا ؟ قال أبو بكر : ماهو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية ـ وما أُحسِنُ الكهانة ، إلا أنى خدعته ـ فلقينى ، فأعطانى هذا الذى أكلتَ منه ، فأدخل أبو بكر يده ، فقاء كلَّ شىء فى بطنه .

وأخرج أحمد فى الزهد عن ابن سيرين قال : لم أعلم أحداً استقاء من طعام أكله غير أبى بكر ، وذكر القصة .

وأخرج النسائى عن أسلم أن عمر اطَّلَعَ على أبى بكر وهو آخِذٌ بلسانه ، فقال : هذا الذى أوردنى الموارد .

وأخرج أبو عبيد فى الغريب عن أبى بكر أنه مرَّ بعبد الرحمن بن عوف وهو يماظُّ جاراً له ، فقال له : لا تماظَّ جارك ، فإنه يبقى ويذهب عنك الناسُ . المُمَاظَّةُ : المنازعة والمخاصمة .

وأخرج ابن عساكر عن موسى بن عُقْبة أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول : الحمد لله رب العالمين ، أحمده وأستعينه ، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت فإنه قد دنا أجلى وأجلكم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسَلَه بالحق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً لينذر من كان حيًّا

ويحق القول على الـكافرين ، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضلّ ضلالاً مبينا ، أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذى شرع لـكم وهداكم به ، فإن جوامع هُدَى الإسلام بعد كلة الإخـــلاص السمع والطاعة لمن وَلَّاه الله أمركم ، فإنه من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح وأدّى الذى عليه من الحقّ ، وإياكم واتباع الهوى ، فقد أفلح من حُفظ من الهوى والطمع والغضب ، وإياكم والفخر ، وما فَخْرُ من خلق من تراب، ثم إلى التراب يعود، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حىّ وغداً ميت؟ فاعلموا يوماً بيوم ، وساعة بساعة، وتوقَّوْا دعاء المظلوم، وعُدُّوا أنفسكم فى الموتى ، واصبروا فإن العمل كله بالصبر ، واحذروا والحذر ينفع ، واعملوا والعمل يقبل، واحذروا ماحذّركم الله من عذابه ، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وافهموا وتَفَهَّمُوا ، واتّقُوا وتوقوا ، فإن الله قد بين لـكم ما أهلك به من كان قبلكم ، وما نَجَّى به من نجى من قبلكم ، قد بين لـكم فى كتابه حلاله وحرامه وما يحبُّ من الأعمال وما يكرهُ ، فإنى لا آلوكم ونفسى ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم ، فربَّكُمْ أطعتم ، وحَظَّكم حفظتم ، واغتبطتم ، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافلَ بين أيديكم تستوفوا لسلفكم ، وتُعْطَوْا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم إليها ، ثم تفكروا عباد الله فى إخوانكم وصحابتكم الذين مَضَوْا ، قد وردوا على ما قدَّموا فأقاموا عليه ، وحلوا فى الشقاء والسعادة فيما بعد الموت ، إن الله ليس له شريك ، وليس بينه وبين أحَدٍ من خلقه نَسَبٌ يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ؛ فإنه لا خير فى خير بعده النار ، ولا شرّ فى شر بعده الجنة . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولـكم ، وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن حكيم قال : خطبنا أبو بكر الصديق فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ؛ فإن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات، ويدعوننا رغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين) ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ولا تنقضي عجائبه ؛ فاستضيئوا بنوره ، وانتصحوا كتابه ، واستضيئوا منه ليوم الظلمة ، فإنه إنما خلقكم لعبادته ، ووكل بكم كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون ، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه ؛ فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بإذن الله ، سابقوا في آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فتردكم إلى أسوأ أعمالكم ؛ فإن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، ونسوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ؛ فالوحا الوحا ، ثم النجاء النجاء ، فإن وراءكم طالباً حثيثاً أمره سريع .

وأخرج ابن أبي الدنيا وأحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية عن يحيى بن أبي كثير أن أبا بكر كان يقول في خطبته : أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب ؟ قد تضعضع أركانهم حين أخنى بهم الدهر وأصبحوا في ظلمات القبور ! الوحا الوحا ثم النجاء النجاء .

وأخرج أحمد في الزهد عن سلمان قال : أتيت أبا بكر ، فقلت : اعهد إلي ، فقال : يا سلمان ، اتق الله واعلم أنه سيكون فتوح فلا أعرفن ما كان حظك منها ما جعلته في بطنك أو ألقيته على ظهرك ، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس ؛ فإنه يصبح في ذمة الله ، ويمسي في ذمة الله تعالى ؛ فلا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله فتخفر الله في ذمته فيكبك الله في النار على وجهك .

وأخرج عن أبي بكر رضى الله عنه قال : يُقْبَضُ الصالحون الأول فالأول حتى يبقى من الناس حُثَالة كحُثَالة التمر والشعير ، لا يُبَالِي الله بهم .

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن معاوية بن قُرة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يقول فى دعائه : اللهم اجعل خير عمرى آخِرَهُ ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يومَ لقائك .

وأخرج أحمد فى الزهد عن الحسن ، قال : بلغنى أن أبا بكر كان يقول فى دعائه : اللهم إنى أسألك الذى هو خيرٌ لى فى عاقبة الأمر ، اللهم اجعل آخر ماتعطينى من الخير رضوانَكَ والدرجات العلى من جنات النعيم .

وأخرج عن عرفجة قال : قال أبو بكر رضى الله عنه : مَن استطاع أن يبكى فليَبْك ، وإلا فليتباكَ .

وأخرج عن عزرة عن أبى بكر رضى الله عنه ، قال : أهلكهن الأحمران : الذهب ، والزعفران .

وأخرج عن مسلم بن يَسَار عن أبى بكر ، قال : إن المسلم لَيُؤْجَرُ فى كل شىء ، حتى فى النكبة وانقطاع شسْعِهِ ، والبضاعة تكون فى كمه فيفقدها فيفزع لها فيجدها فى غبنه .

وأخرج عن ميمون بن مهران، قال: أُتِى أبو بكر بغراب وافر الجناحين ، فقلبه ثم قال : ماصيد من صيد ولا عضدت من شجرة إلا [بما] ضَيَّعَتْ من التسبيح .

وأخرج البخارى فى الأدب وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن الصُّنَابحى أنه سمع أبا بكر يقول : إن دعاء الأخ لأخيه فى الله يستجاب .

وأخرج عبد الله فى زوائد الزهد عن عبيد بن عمير عن لبيد الشاعر أنه قدم على أبى بكر فقال : * ألا كلُّ شىء ماخلا الله باطل * فقال : صدقت ، فقال : * وكل نعيم لامحالة زائل * فقال : كذبت ، عند الله نعيم لا يزول ، فلما ولى قال أبو بكر : ربما قال الشاعر الكلمة من الحكمة .

فصـــل

فى كلماته الدالة على شدة خوفه من ربه

أخرج أبو أحمد الحاكم عن معاذ بن جبل قال: دخل أبو بكر حائطا ، وإذا بدبسى فى ظل شجرة ، فتنفس الصُّعَداء، ثم قال : طوبى لك ياطير ! تأكل من الشجر ، وتستظل بالشجر ، وتصير إلى غير حساب ، ياليت أبا بكر مثلك .

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعى ، قال : كان أبو بكر إذا مُدِح قال : اللهم أنت أعلم منى بنفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون ، واغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون .

وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى عمران الجونى، قال : قال أبو بكر الصديق: لوَدِدْتُ أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن .

وأخرج أحمد فى الزهد عن مجاهد ، قال : كان ابن الزبير إذا قام فى الصلاة كأنه عُود ، من الخشوع ، قال : وحدثت أن أبا بكر كان كذلك .

وأخرج عن الحسن قال : قال أبو بكر : والله لوددت أنى كنت هذه الشجرة تؤكل وتُعْضَد .

وأخرج عن قتادة قال : بلغنى أن أبا بكر قال : وددت أنى خَضِرَةٌ تأكلنى الدوابُّ .

وأخرج عن ضَمْرة بن حبيب قال : حضرت الوفاة ابناً لأبى بكر الصديق، فجعل الفتى يلحظ إلى وسادة ، فلما توفى قالوا لأبى بكر : رأينا ابنك يلحظ إلى وسادة ، فدفعوهُ عن الوسادة ، فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة ، فضرب أبو بكر بيده على الأخرى يُرَجِّع ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يافلان ما أحسب جلدك يتسع لها .

وأخرج عن ثابت البنانى أن أبا بكر كان يتمثل بهذا الشعر[1] :

لا تزال تنعى حبيباً حتى تكونه ... وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه

(١) هكذا وقع والذى بعد هذا لا يوافق وزنا من أوزان الشعر المعروفة .

وأخرج ابن سعد عن ابن سيرين قال : لم يكن أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أهْيَبَ لما لا يعلم من أبي بكر ، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهْيَبَ لما لا يعلم من عمر ، وإن أبا بكر نزلت فيه قضية ، فلم يجد لها في كتاب الله أصلا ، ولا في السُّنة أثراً ، فقال : أجتهد رأيي ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأً فمني وأستغفر الله .

فصـــــل

فيما ورد عنه من تعبير الرؤيا

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال : رأت عائشة رضي الله عنها كأنه وقع في بيتها ثلاثةُ أقمار ، فقصَّتْها على أبي بكر ـ وكان من أعْبَرِ الناس ـ فقال : إن صَدَقَتْ رؤياك ليدفَنَنَّ في بيتك خير أهل الأرض ثلاثاً ، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قال : ياعائشة هذا خير أقمارك .

وأخرج أيضاً عن عمر بن شرحبيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيتني أردفت غنم سود ثم أردفتها غنم بيض حتى ماتُرَى السودُ فيها ، فقال أبو بكر : يارسول الله ، أما الغنم السود فإنها العرب يُسْلِمُونَ ويكثرون ، والغنم البيض الأعاجم يسلمون حتى لا يرى العرب فيهم من كثرتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذلك عَبَرَهَا المَلَكُ سحراً » .

وله عن ابن أبي ليلى قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « رأيتني على بئر أنزع فيها ، فوردتني غنم سود ، ثم ردفها غنم عُفْر ، فقال أبو بكر : دعني أعْبُرْهَا » فذكر نحوه .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين قال : كان أعْبَرَ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر .

وأخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال : رأى رسولُ الله عليه الصلاة والسلام رؤيا ، فقصها على أبي بكر ، فقال : « رأيت كأني اسْتَبَقْتُ أنا وأنت درجة ،

فسبقتك بمرقاتين ونصف ، قال : يارسول الله يقبضك الله إلى مغفرة ورحمة ، وأعيش بعدك سنتين ونصفاً .

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه ، عن أبى قِلَابَةَ أن رجلا قال لأبى بكر الصديق : رأيت فى النوم أنى أبول دماً ، قال : أنت رجل تأتى امرأتك وهى حائض ؛ فاستغفر الله ولا تَعُدْ .

فائدة

أخرج البيهقى فى الدلائل عن عبدالله بن بريدة ، قال : بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فى سَرِيَّةٍ فيهم أبو بكر وعمر ، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو ألا ينوروا ناراً ، فغضب عمر ، فهمَّ أن يأتيه ، فنهاه أبو بكر ، وأخبره أنه لم يستعمله رسولُ الله عليه الصلاة والسلام عليك إلا لعلمه بالحرب ، فهدأ عنه .

وأخرج البيهقى من طريق أبى معشر عن بعض مشيختهم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « إنى لأؤمِّرُ الرجل على القوم فيهم مَنْ هو خير منه لأنه أيقظ عيناً وأَبْصَرُ بالحرب » .

فصـــل

وأخرج خليفة بن خياط وأحمد بن حنبل وابن عساكر عن يزيد بن الأصم « أن النبى عليه الصلاة والسلام قال لأبى بكر : أنا أكبر أوأنت ؟ قال : أنت أكبر وأكرم وأنا أَسَنُّ منك » مرسل غريب جداً ، فإن صح عُدَّ هذا الجواب من فرط ذكائه وأدبه ، والمشهور أن هذا الجواب للعباس ، وقد وقع أيضاً لسعيد ابن يربوع ، أخرجه الطبرانى ، ولفظه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أينا أكبر ؟ قال : أنت أكبر وأخْيَرُ منى ، وأنا أَقْدَمُ » .

وأخرج أبو نعيم أن أبا بكر قيل له : ياخليفة رسول الله ألا تستعمل أهل بدر ؟ قال : إنى أرى مكانهم ، ولكنى أكره أن أدنسهم بالدنيا .

وأخرج أحمد فى الزهد عن إسماعيل بن محمد أن أبا بكر قَسَمَ قسما فَسَوَّى فيه

بين الناس ، فقال له عمر : تسوى بين أصحاب بدر وسواهم من الناس ؟ فقال أبو بكر : إنما الدنيا بلاغ ، وخير البلاغ أوسعه ، وإنما فضلهم في أجورهم .

فصـــل

أخرج أحمد في الزهد عن أبي بكر بن حفص قال : بلغني أن أبا بكر كان يصوم الصيف ويُفطِر الشتاء .

وأخرج ابن سعد عن حيان الصائغ ، قال : كان نقش خاتم أبي بكر « نعم القادر الله » .

﴿ فائدة ﴾ أخرج الطبراني عن موسى بن عقبة قال: لا نعلم أربعة أدركوا النبي عليه الصلاة والسلام وأبناؤهم إلا هؤلاء الأربعة : أبو قحافة ، وابنه أبو بكر الصديق ، وابنه عبد الرحمن ، وأبو عتيق بن عبد الرحمن واسمه محمد .

وأخرج ابن مَنْدَه وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو أبي بكر .

﴿ فائدة ﴾ أخرج ابن سعد والبزار بسند حسن عن أنس قال : كان أسَنَّ أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام أبو بكر الصديق، وسُهَيْل بن عمرو بن بَيْضَاء.

﴿ فائدة ﴾ أخرج البيهقي في الدلائل عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما كان عام الفتح خرجت ابنة لأبي قُحافة فلقيتها الخيل – وفي عنقها طَوْقٌ من وَرِق – فاقتطعه إنسان من عُنُقها، فلما دخل النبي عليه الصلاة والسلام المسجد قام أبو بكر وقال : أنشد بالله والإسلام طَوْقَ أختي ، فوالله ما أجابه أحد ، ثم قال الثانية فما أجابه أحد، ثم قال : يا أخته احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة اليوم في الناس لقليل.

﴿ فائدة ﴾ رأيت بخط الحافظ الذهبي: من كان فَرْدَ زمانه في فنه : أبو بكر الصديق في النسب، عمر بن الخطاب في القوة في أمر الله، عثمان بن عفان في الحياء، عليٌّ في القضاء ، أُبَيُّ بن كعب في القراءة ، زيد بن ثابت في الفرائض، أبو عبيدة ابن الجراح في الأمانة ، ابن عباس في التفسير ، أبو ذر في صِدْق اللهجة ،

خالد بن الوليد فى الشجاعة ، الحسن البصرى فى التذكير ، وَهْب بن مُنَبِّه فى القَصَص،ابن سيرين فى التعبير،نافع فى القراءة ، أبو حنيفة فى الفقه ، ابن إسحاق فى المغازى ، مُقَاتِل فى التأويل،الكلبى فى قصص القرآن ، الخليل فى العروض، فُضَيْل بن عياض فى العبادة ، سيبويه فى النحو ، مالك فى العلم ، الشافعى فى فقه الحديث ، أبو عُبَيْدة فى الغريب ، على بن المدينى فى العلل ، يحيى بن مَعِين فى الرجال ، أبو تمام فى الشعر ، أحمد بن حنبل فى السُّنَّة ، البخارى فى نقد الحديث ، الجُنَيْدُ فى التصوف ، محمد بن نصر المروزى فى الاختلاف ، الجُبَّائى فى الاعتزال ، الأشعرى فى الكلام ، محمد بن زكريا الرازى فى الطبِّ ، أبو معشر فى النجوم ، إبراهيم الكرمانى فى التعبير ، ابن نُبَاتَة فى الخُطَب ، أبو الفرج الأصبهانى فى المحاضرة ، أبو القاسم الطبرانى فى العوالى ، ابن حزم فى الظاهر ، أبو الحسن البكرى فى الكذب ، الحريرى فى مقاماته ، ابن مَنْده فى سَعَة الرحلة ، المتنبى فى الشعر ، الموصلى فى الغناء،الصولى فى الشطرنج ، الخطيب البغدادى فى سرعة القراءة ، على بن هلال فى الخط ، عطاء السليمى فى الخوف، القاضى الفاضل فى الإنشاء،الأصمعى فى النوادر،أشْعَبُ فى الطمع،مَعْبَد فى الغناء، ابن سينا فى الفلسفة .

ـــــ عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه

عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن قُرْط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى،أمير المؤمنين،أبو حفص، القرشى ، العَدَوىّ،الفاروق أسلم فى السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة ، قاله الذهبى .

وقال النووى : ولد عمر بعد الفيل بثلاثَ عَشْرَةَ سنة ، وكان من أشراف قريش ، وإليه كانت السِّفارة فى الجاهلية،فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم - أو بينهم وبين غيرهم - بعثوه سفيراً:أى رسولا ، وإذا نافرهم مُنَافرأوفاخرهم مفاخِر بعثوه منافراً أو مفاخراً .

وأسلم قديماً بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وقيل : بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة، وقيل : بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، فما هو إلا أن أسلم فظهر الإسلام بمكة وفرح به المسلمون .

قال : وهو أحد السابقين الأولين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار النبي عليه الصلاة والسلام ، وأحد كبار علماء الصحابة وزُهَّادهم .

رُوِيَ له عن النبي عليه الصلاة والسلام خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً. روى عنه عثمان بن عفان، وعلي [بن أبي طالب] وطَلْحَة [بن عبيدالله]، وسعد [بن أبي وَقّاص]، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود ، وأبو ذر، وعمرو بن عبسة، وابنه عبدالله ، وابن عباس، وابن الزبير، وأنس ، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، والبَرَاء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، وخلائق آخرون من الصحابة وغيرهم ، رضي الله عنهم ! .

أقول : وأنا ألخص هنا فصولا فيها جملة من الفوائد تتعلق بترجمته .

فصل

في الأخبار الواردة في إسلامه

أخرج الترمذي عن ابن عمر «أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: اللهم أعِزَّ الإسلام بأحَبِّ هذين الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام» وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود وأنس رضي الله عنهم .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس« أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم أعِزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة » وأخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي بكر الصديق ، وفي الكبير من حديث ثَوْبَان .

وأخرج أحمد عن عمر قال: خرجت أتعرَّضُ رسول الله عليه الصلاة والسلام،

فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن،فقلت : والله هذا شاعر كما قالت قريش ، فقرأ (إنه لقول رسول كريم،وماهو بقول شاعر،قليلا ماتؤمنون) الآيات ، فوقع فى قلبى الإسلام كلَّ موقع .

وأخرج ابن أبى شيبة عن جابر قال : كان أول إسلام عمر أن عمر قال: ضَرَبَ أختى المخاضُ[1] ليلا ، فخرجت من البيت ، فدخلت فى أستار الكعبة ، فجاء النبى عليه الصلاة والسلام،فدخل الحِجْرَ وعليه بَتَّان[2] ، وصلى لله ماشاءالله، ثم انصرف،فسمعت شيئاً لم أسمع مثله،فخرج ، فاتبعته،فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت: عمر ، فقال : ياعمر ماتَدَعُنِى لا ليلا ولا نهاراً ؟ فخشيت أن يدعو علىَّ ، فقلت: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسول الله،فقال : ياعمر ، أَسِرَّهُ،قلت:لاوالذى بعثك بالحق لأُعْلِنَنَّه كما أعلنت الشِّرْكَ .

وأخرج ابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقى فى الدلائل عن أنس رضى الله عنه قال : خرج عمر متقلداً سيفه،فلقيه رجل من بنى زُهْرة ، فقال : أين تعمد ياعمر؟ فقال : أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زُهْرَةَ وقد قتلت محمداً ؟ فقال : ما أراك إلا قد صَبَأْتَ ، قال : أفلا أدلك على العجب،إن خَتَنَكَ[3] وأختك قد صَبَأا وتركا دينك ، فمشى عمر ، فأتاهما وعندهما خَبَّاب، فلما سمع بحس عمر توارى فى البيت ، فدخل ، فقال : ماهذه الهَيْنَمَة[4]؟وكانوا يقرءون طٰه ، قالا:ماعدا حديثاً تحدَّثناه بيننا ، قال : فلعلكما قد صبأتما،فقال له خَتَنُهُ[3] : ياعمر،إن كان الحق فى غير دينك،فوثب عليه عمر،فوطئه وطأشديداً، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها،فنفحها نفحة بيده، فدمَّى وجهها ، فقالت-وهى غضبى - : وإن كان الحق فى غير دينك،إنى أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فقال عمر:أعطونى الكتاب الذى هو عندكم فأقرأه - وكان عمر

(١) المخاض : ألم الولادة . (٢) البت : كساء من صوف غليظ .
(٣) ختنه : هنا : زوج أخته . (٤) الهينمة : الصوت الخفى .

يقرأ الكتاب ـ فقالت أخته : إنك رِجْسٌ ، وإنه لايمسّه إلا المطهرون [فقم فاغتسل أو توضأ] فقام فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب ، فقرأ طه حتى انتهى إلى : (إننى أنا الله لا إلٰه إلا أنا فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى) ، فقال عمر : دُلُّونى على محمد ، فلما سمع خَبَّاب قول عمر خرج ، فقال : أبشر يا عمر ، فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام لك ليلة الخميس : « اللهمَّ أعِزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب ، أو بعمرو بن هشام » ، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام فى أصل الدار التى فى أصل الصَّفَا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار ، وعلى بابها حمزة وطلحة وناس ، فقال حمزة : هذا عمر ؛ إن يُرِدِ الله به خيراً يُسْلِمْ ؛ وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً ، وقال : والنبى صلى الله عليه وسلم داخل يُوحى إليه ، فخرج حتى أتى عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف ، فقال : ماأنت بمنتهٍ ياعمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ماأنْزَلَ بالوليد بن المغيرة ، فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله .

وأخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الدلائل عن أسلم قال : قال لنا عمر : كنتُ أشَدَّ الناس على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فبينا أنا فى يوم حار بالهاجرة فى بعض طرق مكة إذ لقينى رجل فقال : عجباً لك ياابن الخطاب ، إنك تزعم أنك وأنك ، وقد دخل عليك الأمرُ فى بيتك ، قلت : وماذاك ؟ قال : أختك قد أسلمت ، فرجعت مُغْضَباً حتى قرعت الباب ، قيل : مَنْ هذا ؟ قلت : عمر ، فتبادَرُوا فاختفوا منى ، وقد كانوا يقرؤن صحيفة بين أيديهم تركوها ونَسُوها ، فقامت أختى تفتح الباب ، فقلت : ياعدوة نفسها أصَبَأتِ ؟ وضربتها بشىء كان فى يدى على رأسها ، فسال الدمُ وبكت ، فقالت : ياابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد صبأت ، قال : ودخلت حتى جلست على السرير ، فنظرت إلى الصحيفة فقلت : ماهذا ؟ ناولينيها ، قالت : لست من أهلها

إنك لاتطهر من الجنابة ، وهذا كتاب لايمسُّه إلا المطهرون ، فما زلت بها حتى ناولتنيها ففتحتها فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذُعِرْتُ منه ، فألقيت الصحيفة ، ثم رجعت إلى نفسى فتناولتها فإذا فيها : (سبح لله مافى السموات والأرض) فذعرت فقرأت إلى (آمنوا بالله ورسوله) فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله، فخرجوا إلىَّ مبادرين وكبروا وقالوا : أبشر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال : « اللهم أعِزَّ دينك بأحب الرجلين إليك : إما أبو جهل بن هشام ، وإما عمر » ودلونى على النبى عليه الصلاة والسلام فى بيت بأسفل الصفا ، فخرجت حتى قرعت الباب ، فقالوا : مَنْ ؟ قلت : ابن الخطاب ، وقد علموا شدتى على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فما اجترأ أحد بفتح الباب حتى قال عليه الصلاة والسلام : افتحوا له ، ففتحوا لى فأخذ رجلان بعضدىَّ حتى أتيا بى النبىَّ عليه الصلاة والسلام ، فقال : خَلّوا عنه ، ثم أخذ بمجامع قميصى وجذبنى إليه ثم قال : أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهْدِهْ فتشهدت ، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة ، وكانوا مستخفين ، فلم أشأ أن أرى رجلا يضرب ويضرب إلا رأيته ، ولا يصيبنى من ذلك شىء فجئت إلى خالى أبى جهل بن هشام ، وكان شريفاً ، فقرعت عليه الباب فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت : ابن الخطاب ، وقد صَبَأْتُ ، فقال : لاتفعل، ثم دخل وأجاف الباب دونى، فقلت : ماهذا بشىء فذهبت إلى رجل من عظماء قريش فناديته فخرج إلىَّ ، فقلت له مثل مقالتى لخالى وقال لى مثل ماقال خالى ، فدخل وأجاف الباب دونى ، فقلت : ماهذا بشىء إن المسلمين يُضْرَبُونَ وأنا لاأضرب، فقال لى رجل : أتحبُّ أن يُعلم بإسلامك ؟ قلت : نعم ، قال : فإذا جلس الناس فى الحِجْرِ فأتِ فلانا ، لرجل لم يكن يكتم السر ، فقل له فيما بينك وبينه : إنى قد صبأت ، فإنه قَلَّ مايكتم السر ، فجئت وقد اجتمع الناس فى الحِجْرِ ، فقلت فيما بينى وبينه : إنى قد صبأت ، قال : أو قد فعلت ؟ قلت : نعم ، فنادى بأعلى صوته : إن

أبن الخطاب قد صبأ[1] ، فبَادَرُوا إلىَّ ، فما زلت أضربهم ويضربوننى، واجتمع علىَّ الناسُ ، فقال خالى : ماهذه الجماعة ؟ قيل : عمر قد صبأ[1] ، فقام على الحِجْر فأشار بكمه : ألا إنى قد أجرْتُ ابن أختى ، فتكشَّفوا عنى ، فكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يُضْرب ويَضْرب إلا رأيته ، فقلت : ماهذا بشىء قد يصيبنى ، فأتيت خالى ، فقلت : جِوَارُكَ رَدٌّ عليك ، فما زلت أَضْرِب وأُضْرَب حتى أعز الله الإسلام .

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس - رضى الله عنهما قال : سألت عمر [رضى الله عنه] : لأىّ شىء سميت الفاروق ؟ فقال : أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام ، فخرجت إلى المسجد ، فأسرع أبو جهل إلى النبى عليه الصلاة والسلام يسبُّه ، فأخبر حمزة ، فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التى فيها أبو جهل - فاتكأ على قوسه مقابل أبى جهل ، فنظر إليه ، فعرف أبو جهل الشرَّ فى وجهه ، فقال : مالك يا أبا عمارة ؟ فرفع القوس ، فضرب بها أخْدَعَه فقطعه ، فسالت الدماء ، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشرّ ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُختَفٍ فى دار الأرْقَم المخزومى فانطلق حمزة ، فأسلم ، فخرجْتُ بعده بثلاثة أيام ، فإذا فلان [بن فلان] المخزومى ، فقلت [له] : أرَغِبْتَ عن دين آبائك واتَّبعت دين محمد ؟ فقال : إن فعلتُ فقد فعله مَنْ هو أعظم عليك حقاً منى ، قلت : ومن هو ؟ قال : أختك وخَتَنك ، فانطلقت [فوجدت الباب مغلقاً ، وسمعت] همهمة [ففتح لى الباب] ، فدخلت ، فقلت : ماهذا [الذى أسمع عندكم ؟ قالوا : ماسمعتَ شيئاً ، فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس خَتَنى ، فضربته [ضربة] فأدميته ، فقامت إلىَّ أختى ، فأخذت برأسى ، وقالت : قد كان ذلك على رغم أنفك ، فاستحييت حين رأيتُ الدِّماء ، فجلستُ وقلت : أرُونى هذا الكتاب ، فقالت [أختى] : إنه

---

(١) صبأ فلان : خرج من دين إلى دين .

لايمسُّهُ إلا المطهَّرُون [فإن كنت صادقاً فقم واغتسل] ، فقمت فاغتسلت [وجئت فجلست] ، فأخرجوا إليَّ صحيفة فيها (بسم الله الرَّحمن الرحيم) فقلت: أسماء طيبة طاهرة (طٰه ماأنزلنا عليكَ القرآنَ لِتشقى) إلى قوله (له الأسماء الحسنى) قال : فتعظمت في صدري ، وقلت : من هذا فرَّتْ قريش ، فأسلمتُ وقلتُ : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فإنه في دار الأرْقَمِ ، فأتيتُ [الدار] ، فضربتُ الباب ، فاستجمع القوم ، فقال لهم حمزة : مالكم ؟ قالوا : عمر ، قال : [وإن كان] عمر ، أفتحوا له الباب ؛ فإن أقبل قبلنا منه ، وإن أدبر قتلناه ، فسمع ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فخرج ، فتشهد عمر ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة ، قلت : يارسول الله ألسْنا على الحق ؟ قال : بلى ، قلت : ففيم الإخفاء ؟ فخرجنا صَفَّيْنِ أنا في أحدهما وحمزة في الآخر ، حتى دخلنا المسجد ، فنظرت قريش إليَّ وإلى حمزة ، فأصابتهم كآبة شديدة [لم يصبهم مثلها] فسماني رسول الله عليه الصلاة والسلام « الفاروق » يومئذٍ ؛ لأنه أظهر الإسلام وَفَرَّقَ بين الحق والباطل .

وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال : قلت لعائشة : مَنْ سَمَّى عمر الفاروق ؟ قالت : النبي عليه الصلاة والسلام .

وأخرج ابن ماجة والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أسلم عمر نزل جبريل ، فقال : يامحمد ، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر .

وأخرج البزارُ والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أسلم عمر قال المشركون : قد انتصف القوم اليوم منا ، وأنزل الله : (ياأيها النبيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤْمِنِينَ) .

وأخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : مازلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر .

وأخرج ابن سعد والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمامته رحمة ، ولقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصلى إلى البيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلَّيْنا .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال : لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً ، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً .

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول من جَهَرَ بالإسلام عمر بن الخطاب ، وإسناده صحيح حسن .

وأخرج ابن سعد عن صُهَيْب قال : لما أسلم عمر رضى الله عنه أظهر الإسلام ودعا إليه عَلاَنية ، وجلسنا حول البيت حَلَقاً ، وطُفْنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتى به .

وأخرج ابن سعد عن أسلم مولى عمر قال : أسلم عمر فى ذى الحجة [من] السنة السادسة من النبوة ، وهو ابن ستّ وعشرين سنة .

فصـــل

فى هجرته رضى الله عنه

أخرج ابن عساكر عن علىّ قال : ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمر ابن الخطاب ؛ فإنه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه وتَنَكّبَ[1] قوسه ، وانتضى[2] فى يده أسهُماً ، وأتى الكعبة وأشرافُ قريش بفنائها ، فطاف سبعاً ، ثم صلى ركعتين عند المَقَام ، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة ، فقال : شاهَتِ[3] الوجوه ،

(١) تنكب قوسه : وضعها فى منكبه .
(٢) انتضى السهم : أخرجه من الكنانة ، فجعله فى يده .
(٣) شاهت الوجوه : قبحت .

من أراد أن تثكله أمه[1]، وييتم ولده، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد.

وأخرج عن البراء رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، ثم ابن أم مكتوم، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، فقلنا: ما فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ قال: هو على أثري، ثم قدم النبي عليه الصلاة والسلام، وأبو بكر رضي الله عنه معه.

قال النووي: شهد عمر مع رسول الله عليه الصلاة والسلام المشاهد كلها، وكان ممن ثبت معه يوم أحد.

فصل

في الأحاديث الواردة في فضله

غير ما تقدم في ترجمة الصديق رضي الله عنه

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرتك، فوليت مدبراً » فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يارسول الله؟.

وأخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: « بينا أنا نائم شربت - يعني اللبن - حتى أنظر الري يجري في أظفاري، ثم ناولته عمر، قالوا: فما أولته يارسول الله؟ قال: العلم ».

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص؛ فمنها مايبلغ الثدي، ومنها مايبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولته يارسول الله؟ قال: الدين ».

---

(١) ثكلته أمه: فقدته.

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وَقّاص قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام: « ياابن الخطاب ، والذى نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكاً فَجّاً قط إلا سلك فجّاً غيرَ فَجِّكَ[1] » .

وأخرج البخارى عن أبي هريرة قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحَدَّثون ، فإن يكن فى أمتى أحدٌ فإنه عمر » ـ أى مُلْهَمُونَ .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « إن الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه » . قال ابن عمر : « وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال ، إلا نزل القرآن على نحو ماقال عمر » .

وأخرج الترمذى ، والحاكم وصححه ، عن عُقْبَة بن عامر قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « لو كان بعدى نبيّ لكان عمر بن الخطاب » . وأخرجه الطبرانى عن أبي سعيد الخدرى ، وعصمة بن مالك . وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر .

وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبى عليه الصلاة والسلام « إنى لأنظرُ إلى شياطين الجنّ والإنس قد فرّوا من عمر » .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبيّ بن كعب قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « أولُ من يصافحه الحقُّ عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة » .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي ذرّ قال : سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « إن الله وضع الحقّ على لسان عمر يقول به » .

واخرج أحمد والبزار عن أبي هريرة قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: « إنّ الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه » . وأخرجه الطبرانى من حديث

---

(١) ـ بفتح الفاء وتشديد الجيم ـ الطريق .

عمر بن الخطاب ، وبلال ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعائشه ـ رضى الله عنهم !ـ وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر .

وأخرج ابن منيع فى مسنده عن علىّ رضى الله عنه قال : كنا أصحابَ محمد لانَشُكُّ أن السكينة تنطق على لسان عمر .

وأخرج البزار عن ابن عمر قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام ، « عمر سِرَاجُ أهل الجنة » . وأخرجه ابن عساكر من حديث أبى هريرة ، والصَّعْب ابن جَثَّامة .

وأخرج البزار عن قُدامة بن مظعون ، عن عمه عثمان بن مظعون ، قال: قال النبى عليه الصلاة والسلام : « هذا غَلَق الفتنة ، وأشار بيده إلى عمر ، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغَلَق ماعاش هذا بين أظهركم » .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جاء جبريل إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، فقال : أقْرِىء عمرَ السلامَ ، وأخبره أن غضَبه عِزٌّ ، وَرِضاهُ حكم » .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضىَ الله عنها أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « إن الشيطان يَفْرَقُ[1] من عمر » .

وأخرج أحمد من طريق بريدة أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « إنَّ الشيطان ليفرق[1] منك ياعمر » .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « مافى السماء مَلَكٌ إلا وهو يُوَقِّرَ عمر ، ولا فى الأرض شيطان إلا وهو يَفْرَقُ من عمر[1] » .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى

(١) فرق يفرق فرقاً ـ بوزن فرح ـ أى خاف .

عليه الصلاة والسلام : « إنّ الله باهى بأهل عَرَفَة عامة[1] ، وباهى بعمر خاصة » وأخرج فى الكبير مثله من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

وأخرج الطبرانى والدّيْلَمى عن الفضل بن العباس قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « الحق بعدى مع عمر حيث كان » .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر ، وأبى هريرة رضى الله عنه ، قالا : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « بينا أنا نائم ، رأيتنى على قَليبٍ[2] عليها دَلْوٌ ، فنزعت منها إلى ماشاء الله ، ثم أخذها أبو بكر فنزع ذَنُوبًا أو ذَنُوبَيْن[3] ، وفى نَزْعِهِ ضعف ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر [بن الخطاب] فاستقى فاستحالت فى يده غَرْبًا[4] ، فلم أرَ عَبْقَرِيًّا من الناس يفرى فَرْيَه[5] حتى رَوِىَ الناس ، وضَرَبُوا بِعَطَنٍ » .

قال النووى فى تهذيبه : قال العلماء : هذا إشارة إلى خلافة أبى بكر وعمر ، وكثرة الفتوح ، وظهور الإسلام فى زمن عمر .

وأخرج الطبرانى عن سديسة قالت : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خَرَّ لوجْهِهِ » وأخرجه الدارقطنى فى الأفراد من طريق سديسة عن حفصة .

وأخرج الطبرانى عن أبىّ بن كعب قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « قال لى جبريل : ليَبْكِ الإسلام على موت عمر » .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أبْغَضَ عمر فقد أبغضنى ، ومَنْ أحَبَّ عمر فقد أحبنى ، وإن الله باهى بالنـاس عَشِيَة عرفة عامة ، وباهى بعمر خاصة ، وإنه لم يبعث الله نبياً إلا كان فى أمته مُحَدَّث ، وإن يكن فى أمتى منهم أحَدٌ فهو عمر ، قالوا : يانبى

(١) باهى : فاخر (٢) القليب : البئر (٣) الذنوب : الدلو
(٤) الغرب ــ بالفتح ــ الدلو العظيمة (٥) يفرى فريه : يعمل مثل مايعمل

الله ، كيف محدث ؟ قال ، تتكلم الملائكة على لسانه » إسناده حسن .

فصــــل

فى أقوال الصحابة والسلف فيه

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ماعلى ظهر الأرض رجل أحبُّ إلىّ من عمر ، أخرجه ابن عساكر .

وقيل لأبى بكر فى مرضه : ماذا تقول لربك وقد وَلَّيْتَ عمر ؟ قال : أقول له وَلَّيت عليهم خيرهم . أخرجه ابن سعد .

وقال علىّ رضى الله عنه : إذا ذكر الصالحون فَحَيَّهَلاً بعمر ، ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر . أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

وقال ابن عمر رضى الله عنه : مارأيت أحداً قط بعد النبى صلى الله عليه وسلم من حين قُبض أَحَدَّ ولا أَجْوَدَ من عمر . أخرجه ابن سعد .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لوأن علم عمر وضع فى كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لَرَجَحَ علم عمر بعلمهم ، ولقد كانوا يَرَوْنَ أنه ذهب بتسعة أعشار العلم . أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والحاكم .

وقال حذيفة رضى الله عنه : كأن علم الناس كان مدسوساً فى حِجْر عمر .

وقال حُذيفة : والله ماأعرف رجلا لاتأخذه فى الله لومة لائم إلا عمر .

وقالت عائشة رضى الله عنها ــ وذكرت عمر ــ كان والله أَحْوَذِيّاً نسيجَ وَحْدِه .

وقال معاوية رضى الله عنه : أما أبو بكر فلم يُرِد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما نحن فتمرَّغنا فيها ظهراً لبطن . أخرجه الزبير بن بكار فى الموفقيات .

وقال جابر رضى الله عنه : دخل علىٌّ على عمر ــ وهو مُسَجًّى ــ فقال : رحمة الله عليك ! مامِنْ أحد أحبُّ إلىّ أن ألقى الله بما فى صحيفته بعد صحبة النبى عليه الصلاة والسلام من هذا المُسَجى . أخرجه الحاكم .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا ذكر الصالحون فَحَيْهَلاً بعمر ، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا فى دين الله تعالى . أخرجه الطبرانى والحاكم .

وسئل ابن عباس عن أبى بكر ، فقال : كان كالخير كله ؛ وسئل عن عمر ، فقال : كأن كالطير الحَذِرِ الذى يرى أن له بكل طريق شَرَكاً يأخذه ، وسئل عن علىّ فقال : مُلِيء عَزْماً وعلماً ونجدة . أخرجه فى الطيوريات .

وأخرج الطبرانى عن عمير بن ربيعة أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار : كيف تجد نعتى ؟ قال : أجد نعتك قرناً من حديد ، قال : وماقرن من حديد ؟ قال : أمير شديد لاتأخذه فى الله لومة لائم ، قال : ثم مَهْ ؟ قال : ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة ، قال : ثم مَهْ ؟ قال : ثم يكون البلاء .

وأخرج أحمد والبزار والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : فضل عمر بن الخطاب الناس بأربع : بذكر الأسرى يوم بدر ، أمر بقتلهم فأنزل الله (لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) الآيَةَ ، وبذكر الحجاب ، أمر نساء النبى صلى الله عليه وسلم أن يَحْتَجِبْنَ ، فقالت له زينب : وإنك علينا ياابنَ الخطاب والوَحْيُ ينزل علينا فى بيوتنا فأنزل الله (فَإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً) ، الآية وبدعوة النبى عليه الصلاة والسلام : «اللهمَّ أيِّدِ الإسلام بعمر» وبرأيه فى أبى بكر كان أول مَنْ بايعه .

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال : كنا نُحَدَّث أن الشياطين كانت مُصَفَّدَةً فى إمارة عمر ، فلما أُصيب بُثَّتْ .

وأخرج عن سالم بن عبد الله قال : أبطأ خبر عمر على أبى موسى فأتى امرأة فى بطنها شيطان ، فسألها عنه ، فقالت : حتى يجيئنى شيطانى ، فجاء ، فسألته عنه ، فقال : تركته مؤتزراً بكساء يَهْنَأ إبلَ الصدقة ، وذاك رجل لايراه شيطان إلاّ خرَّ لمنخريه ، الملكُ بينَ عينيه ، ورُوح القُدُس ينطق بلسانه .

فصل

قال سُفْيان الثَّوْرِي : مَنْ زعم أن علياً كان أحقَّ بالولاية من أبى بكر وعمر

فقد أخطأ ، وخَطَّأ أبا بكر وعمر ، والمهاجرين والأنصار .

وقال شريك : ليس يُقَدِّمُ علياً على أبى بكر وعمر أحدٌ فيه خير .

وقال أبو أسامة : أتدرون مَنْ أبو بكر ، وعمر ؟ هما أبو الإسلام وأمُّهُ .

وقال جعفر الصادق : أنا برىء ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير .

فصـــل

فى موافقات عمر رضى الله عنه

قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين .

أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال : كان عمر يَرَى الرأى فينزل به القرآن .

وأخرج ابن عساكر عن علىّ قال : إن فى القرآن لَرَأْياً من رأى عمر .

وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً : ماقال الناسُ فى شىء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو مايقول عمر .

وأخرج الشيخان عن عمر قال . وافقتُ ربى فى ثلاث ،قلت : يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلًّى ، فنزلت (واتخذوا مِنْ مَقَامِ إبراهيمَ مُصَلًّى) وقلت : يارسول الله يدخل على نسائك البرُّ والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبى عليه الصلاة والسلام فى الغيرة ، فقلت : عسى ربه إن طلقكنّ أن يُبْدِلَهُ أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت كذلك .

وأخرج مُسلم عن عمر قال : وافقتُ ربى فى ثلاث : فى الحجاب ، وفى أسارى بدر ، وفى مقام إبراهيم ، ففى هذا الحديث خصلة رابعة[1] .

وفى التهذيب للنووى : نزل القرآن بموافقته فى أسرى بدر ، وفى الحجاب وفى مقام إبراهيم ، وفى تحريم الخمر ؛ فزاد خَصْلَةً خامسة ، وحديثها فى السنن ومستدرك الحاكم أنه قال : اللهم بَيِّنْ لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تحريمها .

---

(١) اتفق مع ماقبله فى الحجاب وفى مقام إبراهيم وانفرد هذا بأسارى بدر وانفرد السابق بقصة الغيرة ، فكان من مجموعهما أربع . فهذا هو المراد وكذلك فيما بعده .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربي في أربع ، نزلت هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سُلالةٍ من طين) الآية ، فلما نزلت قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين) فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة ، وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته في التفسير المسند .

ثم رأيت في كتاب «فضائل الإمامين» لأبي عبد الله الشيباني قال : وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً ، فذكر هذه الستة .

وزاد سابعاً قصةَ عبد الله بن أُبيّ ، قلت : حديثها في الصحيح عنه ، قال : لما توفي عبد الله بن أُبيّ دُعِي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فقمت حتى وقفت في صدره ، فقلت : يارسول الله ، أو على عدو الله بن أُبيّ القائل يوم كذا كذا ؟ فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت (ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً) الآية .

وثامناً : (يسألونك عن الخمر) الآية .

وتاسعاً : (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة) الآيةَ ، قلت : هما مع آية المائدة خَصْلة واحدة ، والثلاثة في الحديث السابق .

وعاشراً : لما أكثر رسول الله عليه الصلاة والسلام من الاستغفار لقوم قال عمر : سواء عليهم ، فأنزل الله (سواء عليهم أستغفرت لهم) الآية ، قلت : أخرجه الطبراني عن ابن عباس .

الحادي عشر : لما استشار عليه الصلاة والسلام الصحابة في الخروج إلى بدر أشار عمر بالخروج ، فنزلت (كما أخرَجَكَ ربك من بيتك بالحق) الآية .

الثاني عشر : لما استشار عليه الصلاة والسلام الصحابة في قصة الإفك ، قال عمر : مَنْ زوجكها يارسول الله ؟ قال : الله ، قال : أفتظن أن ربك دلَّس عليك فيها ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! فنزلتْ كذلك .

الثالث عشر : قصته فى الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه ، وكان ذلك مُحَرَّماً فى أول الإسلام ، فنزل (أحل لكم ليلة الصيام) الآية ، قلت : أخرجه أحمد فى مسنده .

الرابع عشر : قوله تعالى : (من كان عدوا لجبريل) الآية . قلت : أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة ، وأقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن يهودياً اتى عمر ، فقال : إن جبريل الذى يذكره صاحبكم عدواننا ، فقال له عمر : من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ، فنزلت على لسان عمر .

الخامس عشر : قوله تعالى : (فلاوربك لايؤمنون) الآية ، قلت : أخرج قصتها ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى الأسود ، قال: اختصم رجلان إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقضى بينهما ، فقال الذى قضى عليه : رُدَّنَا إلى عمر بن الخطاب ، فأتيا إليه ، فقال الرجل : قضى لى رسول الله عليه الصلاة والسلام على هذا ، فقال : رُدَّنَا إلى عمر ، فقال : أكذاك ؟ قال : نعم ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما فخرج إليهما مشتملا على سيفه ، فضرب الذى قال : « ردنا إلى عمر » فقتله ، وأدبر الآخر ، فقال : يارسول الله ، قتلَ عمرُ - والله - صاحبى ، فقال : ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن ، فأنزل الله (فلا وربك لايؤمنون) الآية ، فأهْدَرَ دَمَ الرجل وبرىء عمر من قتله ، وله شاهد موصول أوردته فى التفسير المسند .

السادس عشر : الاستئذان فى الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائماً ، فقال : اللهم حَرِّم الدخول ، فنزلت آية الاستئذان .

السابع عشر : قوله فى اليهود : إنهم قوم بُهتٌ .

الثامن عشر: قوله تعالى : (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قلت : أخرج قصتها ابن عساكر فى تاريخه عن جابر بن عبد الله ، وهى فى أسباب النزول .

التاسع عشر : رفع تلاوة (الشيخ والشيخة إذا زنيا) الآية .

العشرون : قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان : أفي القوم فلان ؟ «لانجيبنه» فوافقه النبي عليه الصلاة والسلام ، قلت : أخرج قصته أحمد في مسنده .

قال : ويضم إلى هذا ماأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب « الرد على الجهمية » من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال : ويل لملك الأرض من ملك السماء ، فقال عمر : إلا من حاسب نفسه ، فقال كعب : والذي نفسي بيده إنها في التوراة لتابعتها ، فخر عمر ساجدا .

ثم رأيت في الكامل لابن عدى من طريق عبدالله بن نافع — وهو ضعيف عن أبيه عن عمر أن بلالا كان يقول — إذا أذن — : أشهد أن لا إله إلا الله ، حى على الصلاة ، فقال له عمر : قل في أثرها : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال النبي الصلاة والسلام : قل كما قال عمر .

فصل

في كراماته رضي الله عنه

أخرج البيهقي وأبو نعيم ، كلاهما في دلائل النبوة ، واللالكائي في شرح السنة والديرعاقولي في فوائده ، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء ، والخطيب في رواة مالك عن نافع عن ابن عمر ، قال : وجه عمر جيشاً ، ورأس عليهم رجلا يدعى سارية ، فبينما عمر يخطب جعل ينادى : ياسارية الجبل ، ثلاثاً ، ثم قدم رسول الجيش ، فسأله عمر ، فقال : ياأمير المؤمنين هزمنا ، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادى : ياسارية الجبل ، ثلاثاً ، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل ، فهزمهم الله ، قال : قيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك ، وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم ، قال ابن حجر في الإصابة : إسناده حسن .

وأخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر ، قال : كان عمر يخطب يوم الجمعة ، فعرض في خطبته أن قال : ياسارية الجبل ، من استرعى

الذئب ظلم ، فالتفت الناسُ بعضُهم لبعض ، فقال لهم علي : لَيَخْرُجَنَّ مما قال ، فلما فرغ سألوه ، فقال : وقع في خَلَدِي أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد ، وإن جاوزوا هلكوا ، فخرج مني ماتزعمون أنكم سمعتموه ، قال : فجاء البشير بعد شهر ، فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم، قال : فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا .

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن عمرو بن الحارث قال : بينما عمر [بن الخطاب] على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال : ياسارية الجبل ، مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته ، فقال بعض الحاضرين : لقد جُنَّ ، إنه لمجنون ، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه ، فقال : [لشدَّ ماألومُهُمْ عليك] إنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً ، بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح : ياسارية الجبل ، أي شيء هذا ! قال : إني والله ماملكت ذلك ، رأيتهم يقاتلون عند جبل يُؤْتَوْنَ من بين أيديهم ومن خلفهم ؛ فلم أملك أن قلت « ياسارية الجبل » ليلحقوا بالجبل ، فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه : إن القوم لقُونا يوم الجمعة ، فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة [ودار حاجب الشمس] سمعنا منادياً ينادي : ياسارية الجبل مرتين ، فلحقنا بالجبل ، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم ، فقال أولئك الذين طعنوا عليه : دَعُوا هذا الرجل فإنه مصنوع له .

وأخرج أبو القاسم بن بشران في فوائده من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال : قال عمر بن الخطاب لرجل : مااسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممن ؟ قال من الحرقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : الحرة ، قال : بأيها ؟ قال : بذات لَظًى ، فقال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا ، فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا .

وأخرج مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد نحوه ، وأخرجه ابن دريد في الأخبار المنثورة ، وابن الكلبي في الجامع ، وغيرهم .

وقال أبو الشيخ فى كتاب العظمة : حدثنا أبو الطيب ، حدثنا على بن داود ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، عمن حدثه ، قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا : يا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنَّةً لا يجرى إلا بها ، قال : وماذاك ؟ قالوا : إذا كان إحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل ، فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون أبداً فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيراً ، حتى هَمُّوا بالجلاء ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب له أنْ قد أصبت بالذى قلت ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وبعث بطاقة فى داخل كتابه ، وكتب إلى عمرو : إنى قد بعثت إليك ببطاقة فى داخل كتابى فألقها فى النيل ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها ، فإذا فيها : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تَجْرِ ، وإن كان الله يُجْرِيكَ فأسأل الواحد القهار أن يجريك ، فألقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم ، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة ، فقطع الله تلك السُّنة عن أهل مصر إلى اليوم .

وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب ، قال : إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول : احبس هذه ، ثم يحدثه بالحديث فيقول : احبس هذه ، فيقول له : كل ما حدثتك حق إلا ما أمرتنى أن أحبسه .

وأخرج عن الحسن قال : إن كان أحد يعرف الكذب إذا حُدِّث به فهو عمر بن الخطاب .

وأخرج البيهقى فى الدلائل عن أبى هدبة الحمصى قال : أخبر عمر بأن أهل العراق قد حَصَبوا أميرهم[1] فخرج غضبان ، فصلى فسها فى صلاته ، فلما سلم قال :

---

(١) حصبوه : رموه بالحصباء ، وهى صغار الحجارة .

اللهم إنهم قد لبسوا على فالبس عليهم ، وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية : لا يقبل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم ، قلت : أشار به إلى الحجاج ، قال ابن لهيعة : وما وُلِدَ الحجاج يومئذ .

فصـــل

في نبذ من سيرته

أخرج ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال : كنا جلوساً بباب عمر ، فمرت جارية ، فقالوا : سُرِّيَّةُ أمير المؤمنين ، فقال : ما هي لأمير المؤمنين بسُرية[1] ، ولا تحل له ، إنها من مال الله ، فقلنا : فماذا يحل له من مال الله تعالى ؟ قال : إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حُلَّتين : حلة للشتاء ، وحلة للصيف ، وما أحجُّ به وأعتمر ، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعدُ رجلٌ من المسلمين .

وقال خزيمة بن ثابت : كان عمر إذا استعمل عاملا كتب له ، واشترط عليه أن لا يركب برْذَوْناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات ، فإن فعل فقد حلّت عليه العقوبة .

وقال عكرمة بن خالد وغيره : إن حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا عمر ، فقالوا : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق ، قال : أكلكم على هذا الرأي ؟ قالوا : نعم ، قال : قد علمت نصحكم ، ولكني تركت صاحبيَّ على جادة[2] ، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل .

قال : وأصاب الناس سَنَة[3] ، فما أكل عامئذٍ سَمْناً ، ولا سميناً .

وقال ابن مليكة : كلم عتبة بن فرقد عمر في طعامه ، فقال : ويحك ، آكل طيباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها ؟

وقال الحسن : دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً ، فقال : ما هذا ؟

(١) السرية : الجارية المملوكة (٢) الجادة : الطريق (٣) السنة : المجاعة .

قال : قَرِمْنَا إليه[١] ، قال : أو كلما قَرِمْتَ إلى شيء أَكَلْتَه ؟ كفى بالمرء سَرَفاً أن يأكل كل ما اشتهى .

وقال أسلم : قال عمر : لقد خطر على قلبي شهوة السمك الطرى ، قال : فرحل يرفا[٢] راحلته ، وسار أربعاً مقبلا ، وأربعاً مدبراً ، واشترى مِكْتَلاً ، فجاء به ، وعمد إلى الراحلة ، فغسلها ، فأتى عمر ، فقال : انطلق حتى أنظر إلى الراحلة ، فنظر وقال : أنسيت أن تغسل هذا العرق الذى تحت أذنيها ؟ عَذَّبت بهيمة فى شهوة عمر ؟ ! لا والله لا يذوق عمر مِكْتَلَكَ .

وقال قتادة : كان عمر يلبس - وهو خليفة - جبةً من صوف مرقوعة بعضها بأَدَمٍ ، ويطوف فى الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ويمر بالنُّكْثِ[٣] والنوى فيلتقطه ويلقيه فى منازل الناس ينتفعون به .

وقال أنس : رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميصه وقال أبو عثمان النهدى : رأيت على عمر إزاراً مرقوعاً بأَدَمٍ ، وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : حججت مع عمر ، فما ضرب فُسطاطاً ، ولا خِباء ، كان يلقى الكساء والنِّطع على الشجرة ويستظل تحته ، وقال عبد الله بن عيسى[٤] : كان فى وجه عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء ، وقال الحسن : كان عمر يمر بالآية من وِرْده فيسقط حتى يُعَاد[٥] منها أياماً ، وقال أنس : دخلت حائطاً[٦] فسمعت عمر يقول ، وبينى وبينه جدار : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، بَخٍ بَخٍ ، والله لتتقين الله يا ابنَ الخطابِ أو ليعذبنَّكَ الله ، وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال : ليتنى كنت هذه التبنة يا ليتنى لم أكُ شيئاً ، ليت أمى لم تلدنى . وقال عبيد الله ابن عمر بن حفص : حمل عمر بن الخطاب قِرْبَةً على عنقه فقيل له فى ذلك ، فقال : إن نفسى أعجبتنى فأردت أن أذلها ، وقال محمد بن سيرين : قدم صِهْرٌ لعمر عليه ،

(١) القرم - بالتحريك - شدة الشهوة إلى اللحم (٢) يرفا : اسم غلام كان لعمر
(٣) النكث - بالكسر - الغزل المنقوض (٤) كذا وفى تاريخ الذهبى «بن عنس»
(٥) يعاد ؛ من العيادة ؛ وهى زيارة المريض خاصة (٦) الحائط : البستان .

فطلب أن يعطيه من بيت المال، فانتهره عمر ، وقال : أردتَ أن ألقى الله مَلِكاً خائناً[1] ؟ ثم أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم ، وقال النخعي : كان عمر يتَّجر وهو خليفة ، وقال أنس : تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرَّمادة[2] وكان قد حرم على نفسه السمن فنقَر بطنه بأصبعه وقال : إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس ، وقال سفيان بن عيينة : قال عمر بن الخطاب : أحَبُّ الناس إليَّ مَنْ رَفَع إليَّ عيوبي ، وقال أسلم : رأيت عمر بن الخطاب يأخذ بأذن الفرس ، ويأخذ بيده الأخرى أذنه ، ثم ينزل على مَتْن الفرس ، وقال ابن عمر : ما رأيت عمر غضب قط فذُكِرَ الله عنده أو خوف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد ، وقال بلال لأسلم : كيف تجدون عمر ؟ فقال : خير الناس ؛ إلاَّ أنه إذا غضب فهو أمر عظيم ، فقال بلال : لو كنتُ عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه ، وقال الأحوص بن حكيم عن أبيه : أُتي عمر بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلهما ، وقال : كل واحد منهما أدم ، أخْرَجَ هذه الآثار كلها ابن سعد .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال عمر : هان شيء أُصْلِحُ به قوماً أن أبدلهم أميراً مكان أمير .

فصـــل

في صفته رضي الله عنه

أخرج ابن سعد والحاكم عن زِرّ قال : خرجت مع أهل المدينة في يوم عيد فرأيت عمر يمشي حافياً شيخاً أصْلَع آدَمَ أعْسَرَ طُوَالا مشرفاً على الناس كأنه على دابة ، قال الواقدي : لا يعرف عندنا أن عمر كان آدَمَ ، إلا أن يكون رآه عام الرَّمادة ؛ فإنه كان تغير لونه حين أكل الزيت .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه وصف عمر فقال : رجل أبيض تعلوه حمرة طُوَال أصْلَع أشْيَبُ .

(١) في تاريخ الذهبي « ملكا جابيا » ، وانظر ص ١٤٠ الآتية .

(٢) هو عام أصاب الناس فيه مجاعة ، وذلك في سنة ١٧ من الهجرة . انظر ص ١٣٢ .

وأخرج عن عبيد بن عمير قال : كان عمر يفوق الناسَ طولاً .

وأخرج عن سَلَمة بن الأكوع قال : كان عمر رجلا أعْسَرَ [يَسَرَ] يعنى يَعتمل بيديه جميعاً .

وأخرج ابن عساكر عن أبى رجاء العُطاردى قال : كان عمر رجلا طويلا جسيما أصلع شديد الصَّلَع أبيض شديد الحمرة ، فى عارضيه خفة ، سَبَلَته كبيرة ، وفى أطرافها صُهْبة(١) .

وفى تاريخ ابن عساكر من طرقٍ أن أم عمر بن الخطاب : حَنْتَمة بنت هشام بن المغيرة أختُ أبى جهل بن هشام ؛ فكان أبو جهل خاله .

فصـــل

فى خلافته رضى الله عنه

ولِيَ الخلافة بعهد من أبى بكر فى جمادى الآخرة سنة ثلاثَ عشْرَةَ .

قال الزهرى : استخلف عمر يوم توفى أبو بكر وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة ، أخرجه الحاكم ، فقام بالأمر أتم قيام ، وكثرت الفتوح فى أيامه .

ففى سنة أرْبَع عشرَةَ فتحت دمشق ما بين صلح وعَنْوَة ، وحمص ، وبعلبك صلحاً ، والبصرة والأبُلَّة ، كلاهما عَنْوَة .

وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح ، قاله العسكرى فى الأوائل .

وفى سنة خمس عشرة فتحت الأردن كلها عَنْوَة إلاّ طبرية ، فإنها فتحت صلحاً ، وفيها كانت وقعة اليَرْمُوكِ والقادسية .

قال ابن جرير : وفيها مَصَّر سعد الكوفةَ ، وفيها فَرَضَ عمر الفروض ، ودوَّنَ الدواوين ، وأعطى العطاء على السابقة .

وفى سنة ستّ عشْرَةَ فتحت الأهواز والمدائن وأقام بها سعد الجمعة فى إيوان كسرى ، وهى أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك فى صفر ، وفيها كانت وقعة جَلُولاء وهزم فيها يَزْدجِرْدُ بن كسرى وتقهقر إلى الرى ، وفيها فتحت تكريت ، وفيها

---

(١) السبلة ـ بالتحريك ـ طرف الشارب ، والصهبة : سواد فى حمرة .

سار عمر ففتح بيت المقدس وخطب بالجابية خطبته المشهورة ، وفيها فتحت قِنَّسْرِين عَنْوة ، وحلب ، وأنطاكية ، ومنبج صلحاً ، وسَرُوج عنوة ، وفيها فتحت قرقيسياء صلحاً وفى ربيع الأول كتب التاريخ من الهجرة بمشورة على .

وفى سنة سبع عشرة زاد عمر فى المسجد النبوى ، وفيها كان القحط بالحجاز ، وسمى عام الرَّمادة ، واستسقى عمر للناس بالعباس .

أخرج ابن سعد عن نيار الأسلمى أن عمر لما خرج يستسقى خرج وعليه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج عن ابن عون قال : أخذ عمر بيد العباس ثم رفعها ، وقال : اللهم إنا نتوسَّلُ إليك بعم نبيك أن تُذهب عنا المحل(1) ، وأن تسقينا الغيث ، فلم يبرحوا حتى سُقُوا ، فأطبقت السماء عليهم أياماً ، وفيها فتحت الأهواز صلحاً .

وفى سنة ثمانَ عشرةَ فتحت جند يسابور صلحاً ، وحلوان عنوة ، وفيها كان طاعون عَمَوَاس ، وفيها فتحت الرها ، وسميساط عنوة ، وحرّان ، ونصيبين ، وطائفة من الجزيرة عنوة - وقيل : صلحاً - والموصل ونواحيها عَنْوَةً .

وفى سنة تسع عشرةَ فتحت قيسارية عَنْوَةً .

وفى سنة عشرين فتحت مصر عنوة ، وقيل : مصر كلها صلحاً إلا الإسكندرية فعنوة ، وقال على بن رباح : المغرب كله عنوة ، وفيها فتحت تستر ، وفيها هلك قيصر عظيم الروم ، وفيها أَجْلَى عمر اليهود عن خَيْبَر وعن نَجْرَان ، وقسم خيبر ووادى القرى .

وفى سنة إحدى وعشرين فتحت الإسكندرية عنوة ، ونهاوند ، ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة ، وبَرْقَة وغيرها .

وفى سنة اثنتين وعشرين فتحت أذربيجان عنوة وقيل : صلحاً ، والدِّيْنَورُ عنوة وما سبذان عنوة ، وهمذان عنوة ، وطرابلس المغرب ، والرى ، وعسكر ، وقومس

(1) المحل - بالفتح - القحط والجدب ، وذلك بسبب احتباس المطر .

وفى سنة ثلاث وعشرين كان فتح كرمان ، وسجستان ، ومكران ، من بلاد الجبل ، وأصبهان ونواحيها .

وفى آخرها كانت وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه بعد صدوره من الحج شهيداً قال سعيد بن المسيب : لما نفرَ عمر من منى أناخ بالأبطح ، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم كبرت سنى ،وضعفت قوتى ،وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مُضيع ولا مُفرط ، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل ، أخرجه الحاكم .

وقال أبو صالح السمان : قال كعب الأحبار لعمر : أجِدُكَ فى التوراة تقتل شهيداً ، قال : وأنى لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب ؟

وقال أسلم : قال عمر : اللهم أرزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك ، أخرجه البخارى .

وقال معدان بن أبى طلحة: خطب عمر فقال : رأيت كأن ديكا نقرَنى نقرة أو نقرتين وإنى لا أراه إلا حضور أجلى ، وإن قوماً يأمرونى أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ، فإن عجل بى أمر فالخلافة شُورَى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو رَاضٍ عنهم ، أخرجه الحاكم

قال الزهرى : كان عمر رضى الله عنه لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع ، ويستأذنه أن يدخل المدينة ، ويقول : إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس ، إنه حداد نقاش نجار ، فأذِنَ له أن يرسله إلى المدينة ، وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر ، فجاء إلى عمر يشتكى شدة الخراج ، فقال: ما خراجك بكثير ، فانصرف ساخطاً يتذمر ، فلبث عمر ليالى ثم دعاهُ فقال: ألم أُخبَرْ أنك تقول : لو أشاء لصنعت رَحًى تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابساً وقال : لأصنعنَّ لك رحى يتحدث الناس بها ، فلما ولَّى قال عمر لأصحابه : أوعدنى العبد آنفاً ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين ، نِصَابُهُ فى وسطه ، فكمن بزاوية من زوايا المسجد

في الغَلَس، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يُوقِظُ الناس للصلاة ، فلما دنا منه طَعَنَه ثلاث طعنات ، أخرجه ابن سعد .

وقال عمرو بن ميمون الأنصاري : إن أبا لؤلؤة عبدَ المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان ، وطعن معه اثنى عشر رجلا مات منهم ستة ، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوباً ، فلما اغتم فيه قتَلَ نفسه .

وقال أبو رافع : كان أبو لؤلؤة عبد للمغيرة يصنع الأرحاء ، وكان المغيرة يستغله[1] كل يوم أربعة دراهم ، فلقى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إن المغيرة قد أثقَلَ عليّ ، فكلِّمه فقال : أحسِنْ إلى مولاك - ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه - فغضب ، وقال : يسع الناس كلهم عدله غيري ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجراً وشحذه وسمّه ، وكان عمر يقول « أقيموا صفوفكم » قبل أن يكبر ، فجاء فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته ، فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلا معه فمات منهم ستة ، وحمل عمر إلى أهله ، وكادت الشمس تطلع ، فصلى عبد الرحمن ابن عوف بالناس بأقصر سورتين وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه[2] فلم يتبين ، فسقوه لبناً فخرج من جرحه فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت ، فجعل الناس يُثْنُونَ عليه ويقولون : كنت وكنت ، فقال : أما والله لَوددت أنني خرجت منها كَفَافاً لا عليّ ، ولا لي ، وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلمت لي ، وأثنى عليه ابن عباس فقال : لو أن لي طِلاَعَ الأرض ذهباً لافتديت به من هَوْلِ المطلع ؛ وقد جعلتها شُورَى في عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وأمر صُهَيْباً أن يصلي بالناس ، وأجّلَ الستة ثلاثاً ، أخرجه الحاكم .

وقال ابن عباس : كان أبو لؤلؤة مجوسياً .

(١) يستغله : يأخذ منه غلة وذلك نظير إذنه له في مزاولة الصناعة والاتجار .
(٢) في تاريخ الذهبي « فخرج من جوفه » .

وقال عمرو بن ميمون : قال عمر : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام ، ثم قال لابنه : يا عبدالله أنظر ما علىّ من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين[1] ألفاً أو نحوها ، فقال : إن وَفَى مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فاسأل فى بنى عَدِىّ ، فإن لم تَفِ أموالهم فاسأل فى قريش ، أذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيْه، فذهب إليها فقالت : كنت أريده ـ تعنى المكان ـ لنفسى ، ولأوثرنّه اليوم على نفسى ، فأتى عبدالله فقال : قد أذنت ، وقيل له : أوصِ يا أمير المؤمنين واستخلف ، قال : ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فسمى الستة وقال : يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له فى الأمر شيء ، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ؛ فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة . ثم قال: أوصى الخليفةَ من بعدى بتقوى الله، وأوصيه بالمهاجرين والأنصار، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً ، فى مثل ذلك من الوصية، فلما توفى خرجنا به نمشى ، فسلم عبدالله بن عمر وقال : عمر يستأذن ، فقالت عائشة : أدخلوه ، فأدخل فوضع مع صاحبيْه .

فلما فرغوا من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبدالرحمن بن عوف : أجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمرى إلى على ، وقال سعد : قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن ، وقال طلحة : قد جعلت أمرى إلى عثمان ، قال : فخلا هؤلاء الثلاثة ، فقال عبد الرحمن : أنا لا أريدها ، فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه ؟ والله عليه والإسلام لينظرن أفضلَهم فى نفسه وليحرص على صلاح الأمة ، فسكت الشيخان على وعثمان ، فقال عبد الرحمن : أجعلوه إلىّ والله علىّ لا آلوكم عن أفضلكم ، قالا : نعم ، فخلا بعلى وقال : لك من القدم فى الإسلام والقرابة من النبى عليه الصلاة والسلام ما قد علمت ، الله عليك لئن أمّرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن ؟ قال : نعم ، ثم خلا بالآخر فقال له كذلك ، فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه على .

(١) فى تاريخ الذهبى « ستة وثلاثين ألفاً أو نحوها » .

وفى مسند أحمد عن عمر أنه قال : إن أدركنى أجلى وأبو عبيدة بن الجراح حى استخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لكل نبى أميناً ، وأمينى أبو عبيدة بن الجراح » فإن أدركنى أجلى — وقد توفى أبو عبيدة — استخلفت معاذ بن جبل ، فإن سألنى ربى : لم استخلفته ؟ قلت : سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول : « إنه يحشر يوم القيامة بين يدى العلماء نبذة » وقد ماتا فى خلافته .

وفى المسند أيضاً عن أبى رافع أنه قيل لعمر عند موته فى الاستخلاف ، فقال : قد رأيت من أصحابى حرصاً سيئاً ، ولو أدركنى أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبى حذيفة ، وأبو عبيدة بن الجراح .

أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة ، ودفن يوم الأحد مستهلَّ المحرم الحرام ، وله ثلاث وستون سنة ، وقيل : ست وستون سنة ، وقيل : إحدى وستون ، وقيل : ستون ، ورجّحه الواقدى ، وقيل : تسع وخمسون ، وقيل : خمس أو أربع وخمسون ، وصلى عليه صُهَيْبٌ فى المسجد .

وفى تهذيب المزنى : كان نقش خاتم عمر : « كفى بالموت واعظاً يا عمر »

وأخرج الطبرانى عن طارق بن شهاب قال : قالت أم أيمن يوم قتل عمر : اليوم وَهَى الإسلام[1] .

وأخرج عبد الرحمن بن يسار قال : شهدت موت عمر بن الخطاب ، فانكسفت الشمس يومئذ ، رجاله ثقات .

فصـــل

فى أوّليّاتِ عمر رضى الله عنه

قال العسكرى : هو أول من سمى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سنّ قيام شهر رمضان ، وأول من

(١) وهى : ضعف .

عسّ بالليل[1] ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وأول من حرّم المُتعة ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، وأول من أتخذ الديوان ، وأول من فتح الفتوح ومَسَحَ السواد ، وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر أيلة إلى المدينة ، وأول من أحتبس صدقةً فى الإسلام[2] ، وأول من أعال الفرائض[3] ، وأول من أخذ زكاة الخيل ، وأول من قال : أطال الله بقاءك ! قاله لعلى ، وأول من قال : أيدك الله ! قاله لعلى ، هذا آخر ماذكره العسكرى .

وقال النووى فى تهذيبه :هو أول من اتخذ الدِّرة، وكذا ذكره ابن سعد فى الطبقات ، قال : ولقد قيل بعده : لَدِرَّةُ عمر أهْيَبُ من سيفكم ، قال: وهو أول من استقضى القُضَاة فى الأمصار ، وأول من مَصَّر الأمصار : الكوفة ، والبصرة ، والجزيرة ، والشام ، ومصر ، والموصل .

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد قال: مرّ علىُّ بن أبى طالب على المساجد فى رمضان وفيها القناديل فقال : نور الله على عمر فى قبره كما نور علينا فى مساجدنا !

فصل — قال ابن سعد : اتخذ عمر دار الدقيق ، فجعل فيها الدقيق ، والسَّويق ، والتمر ، والزبيب ، وما يحتاج إليه : يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق مايصلح من ينقطع به ، وهدّم المسجد النبوى ، وزاد فيه ووسّعه وفرشه بالحَصْباء ، وهو الذى أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام ، وأخرج أهْلَ نجران إلى الكوفة ، وهو الذى أخر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم ؛ وكان ملصقاً بالبيت .

فصل

فى نبذ من أخباره وقضاياه

أخرج العسكرى فى الأوائل ، والطبرانى فى الكبير ، والحاكم ، من

(١) عس: طاف يتفقد أحوال الناس (٢) يريد أول من وقف شيئاً يتصدق بغلته (٣) الفرائض : المواريث ، وعولها : زيادة مجموع الفرائض على التركة ، فينقص سهم كل ذى سهم بنسبته من الواحد الصحيح .

طريق ابن شهاب ، أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حَثْمَة لأيّ شيء كان يكتب « من خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام » في عهد أبي بكر؟ ثم كان عمر كتب أولا « من خليفة أبي بكر » فَمَنْ أوّلُ من كتب « من أمير المؤمنين » ؟ فقال : حدثتني الشفاء ـ وكانت من المهاجرات ـ أن أبا بكر كان يكتب « من خليفة رسول الله » وكان عمر يكتب « من خليفة خليفة رسول الله » حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جَلْدَيْنِ يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث إليه لبيد بن ربيعة ، وعديّ بن حاتم ، فقدما المدينة ، ودخلا المسجد ، فوجدا عمرو بن العاص ، فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال عمرو : أنتما والله أصبتما اسمه ، فدخل عليه عمرو ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما بدا لك في هذا الاسم ؟ لتَخرُجَنّ مما قلت ، فأخبره ، وقال : أنت الأمير ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ .

وقال النووي في تهذيبه : سماه بهذا الإسم عديّ بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق ، وقيل : سماه به المغيرة بن شُعْبة ، وقيل : إن عمر قال للناس : أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فسمى أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله ، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها .

وأخرج ابن عساكر عن معاوية بن قُرّة قال : كان يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله ، فلما كان عمر بن الخطاب أرادوا أن يقولوا : خليفة خليفة رسول الله ، قال عمر : هذا يطول ، قالوا : لا ، ولكنا أمّرناك علينا ، فأنت أميرنا ، قال : نعم ، أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فكتب « أمير المؤمنين » .

وأخرج البخاري في تاريخه ، عن ابن المسيب قال : أول من كتب التاريخ عمر ابن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته . فكتب لستّ عشرة من الهجرة بمَشُورَةِ عليّ .

وأخرج السلفي في الطيوريات بسند صحيح ، عن ابن عمر ، عن عمر أنه أراد أن يكتب السنن ، فاستخار الله شهراً ، فأصبح وقد عزم له ، ثم قال : إني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً ، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله .

وأخرج ابن سعد عن زاذان عن سلمان أن عمر قال له : أملِكٌ أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل ، أو أكثر ، ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة ، فاستعبر[1] عمر .

وأخرج عن سفيان بن أبي العرجاء قال قال عمر بن الخطاب : والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك ؟ فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم ، فقال قائل : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً ، قال : ماهو ؟ قال : الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا في حق ، وأنت بحمد الله كذلك ؛ والملكُ يعسف الناس[2] ، فيأخذ من هذا ويعطي هذا ، فسكت عمر .

وأخرج عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ! ـ قال : ركب عمر فرساً ، فانكشف ثوبه عن فخذه ، فرأى أهلُ نجران بفخذه شامةً سوداء ، فقالوا : هذا الذي نجد في كتابنا أنه يُخرجنا من أرضنا .

وأخرج عن سعد الجاري أن كعب الأحبار قال لعمر : إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة .

وأخرج عن أبي معشر قال : حدثنا أشياخنا أن عمر قال : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جَبْرِيَّةَ فيها ، وباللين الذي لا وَهْنَ فيه .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن حكيم بن عُمَير قال : كتب عمر بن الخطاب : ألا لا يجلدنَّ أميرُ جيش ولا سَرِيَّةٍ أحداً الحَدَّ حتى يطلع الدَّرْبَ ؛ لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي قال : كتب قَيْصَرُ إلى عمر بن الخطاب : إن رسلي أتتني من قِبَلِكَ فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة شيء من الشجر، تخرج مثل آذان الحمير ، ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ ، ثم تخضر ، فيكون كالزمرد الأخضر ، ثم تحمرُّ فيكون كالياقوت الأحمر ، ثم يَيْنَعُ فينضج فيكون

(١) استعبر : بكى . (٢) يعسف الناس : يظلمهم ويقسو عليهم .

أطيب فالوذج أكل ، ثم ييبس فيكون عِصْمَةً للمقيم وزاداً للمسافر ؟ فإن تكن رسلى صدقتنى فلا أدرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة ، فكتب إليه عمر : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم ، إن رُسُلك قد صدقوك ، هذه الشجرة عندنا هى الشجرة التى أنبتها الله على مريم حين نُفِسَتْ بعيسى ابنها ، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله . فإن (مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ) الآية .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر أمر عُمّاله فكتبوا أموالهم ، منهم سعد بن أبى وقّاص ، فشاطرهم عمر فى أموالهم ، فأخذ نصفاً وأعطاهم نصفاً .

وأخرج عن الشعبى أن عمر كان إذا استعمل عاملا كتب ماله .

وأخرج عن أبى أمامة بن سهل بن حُنَيْف قال : مكث عمر زماناً لا يأكل من مال بيت المال شيئاً ، حتى دخلت عليه فى ذلك خصاصة ، فأرسل إلى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فاستشارهم ، فقال : قد شغلت نفسى فى هذا الأمر ، فما يصلح لى منه ؟ فقال على : غداء وعشاء ، فأخذ بذلك عمر .

وأخرج عن ابن عمر أن عمر حجّ سنة ثلاث وعشرين فأنفق فى حجّته ستة عشر ديناراً ، فقال : ياعبد الله ، أسرفنا فى هذا المال .

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن قتادة والشعبى قالا : جاءت عمر امرأة فقالت : زوجى يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال عمر : لقد أحسنت الثناء على زوجك ، فقال كعب بن سوّار : لقد شكتْ ، فقال عمر : كيف ؟ قال : تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب ، قال : فإذ قد فهمت ذلك فاقض بينهما ، فقال : ياأمير المؤمنين أحلّ الله له من النساء أربعا ؛ فلها من كل أربعة أيام يوم ، ومن كل أربع ليال ليلة .

وأخرج عن ابن جريج قال : أخبرنى من أصدّقه أن عمر بينا هو يطوف سمع امرأة تقول

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه وأرّقنى أن لا خليل الاعبه[1]

---

(١) معنى البيتان ضمن أبيات برواية أخرى فى ص ١٣٩ .

فلولا حـــذار الله لاشيء مثله لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر : مالكِ ؟ قالت : أغزيتَ زوجي منذ أشهر ، وقد اشتقت إليه، فقال : أردتِ سوءاً ؟ قالت : معاذ الله ، فقال : فاملكي عليك نفسك ، فإنما هو البريد إليه ، فبعث إليه ، ثم دخل على حفصة فقال : إني سائلك عن أمر قد أهمني فافرجيه عني ؟ كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟ فخفضت رأسها واستحيت ، قال : فإن الله لايستحيي من الحق ، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر ، وإلا فأربعة أشهر ، فكتب عمر أن لاتحبس الجيوش فوق أربعة أشهر .

وأخرج عن جابر بن عبد الله أنه جاء إلى عمر يشكو إليه مايلقى من النساء، فقال عمر : إنا لنجدُ ذلك ، حتى إني لأريد الحاجة فتقول لى : ماتذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن[1] ، فقال له عبدالله بن مسعود : أمابلغك أن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله خُلُقَ سارة ، فقيل له : إنها خلقت من ضلع ، فالبسها على ما كان فيها مالم تر عليها خربة في دينها ؟

وأخرج عن عِكْرِمَة بن خالد قال : دخل ابنٌ لعمر بن الخطاب عليه وقد تَرَجَّل ولبس ثياباً حساناً ، فضربه عمر بالدِّرَّة حتى أبكاه ، فقالت له حفصة : لم ضربته ؟ قال : رأيته قد أعجبته نفسه ، فأحببت أن أصغرها إليه .

وأخرج عن معمر عن ليث بن أبي سليم أن عمر بن الخطاب قال : لاتُسَمُّوا الحكم ولا أبا الحكم ؛ فإن الله هو الحكم ، ولا تسموا الطريق السكة .

وأخرج البيهقي في شُعَب الإيمان عن الضحاك قال : قال أبو بكر : والله لوددت أني كنت شجرة إلى جنب الطريق ، فمر عليّ بعيرٌ فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدَرَدَني ثم أخرجني بَعْراً ، ولم أكن بشراً ؛ فقال عمر : ياليتني كنت كَبْشَ أهلي سَمَّنُوني مابدا لهم حتى إذا كنت كأسمن مايكون زارهم مَنْ يُحِبُّونَ، فذبحوني لهم ، فجعلوا بعضي شِوَاء وبعضي قَدِيداً ، ثم أكلوني ، ولم أكن بشراً .

---

(١) لعل الأصل (أما تذهب إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي البختري قال : كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر ، فقام إليه الحسين بن علي رضي الله عنه ، فقام : أنزل عن منبر أبي ، فقال عمر : منبر أبيك لا منبر أبي ، مَنْ أمرك بهذا ؟ فقام عليّ فقال : والله ما أمره بهذا أحد ، أما لأوجعنّك يا غُدَرُ ، فقال : لا توجع ابن أخي ، فقد صدق ، منبر أبيه ، إسناده صحيح .

وأخرج الخطيب في أدب الراوي عن مالك من طريقه عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يتنازعان في المسألة بينهما حتى يقول الناظر : إنهما لا يجتمعان أبداً ، فما يفترقان إلا على أحسنه وأجمله .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : أول خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فقد ابتليت بكم وابتليتم بي ، وخُلِّفْتُ فيكم بعد صاحبيَّ ؛ فمن كان بحضرتنا باشَرْنَاهُ بأنفسنا ، ومن غاب عنا ولّيناه أهل القوة والأمانة ، ومن يحسن نَزِدْهُ حسناً ، ومن يسيء نعاقبه ، ويغفر الله لنا ولكم .

وأخرج عن جبير بن الحويرث أن عمر بن الخطاب رضي عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان ، فقال له عليّ : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ، ولا تمسك منه شيئاً ، وقال عثمان : أرى مالا كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يعرف مَنْ أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يلتبس الأمر ، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين قدْ جئْتُ الشام فرأيت ملوكها قد دَوَّنُوا ديواناً ، وجنَّدوا جنوداً ، فَدَوِّنْ ديواناً وجنِّد جنوداً ، فأخذ بقوله ، فدعا عَقِيلَ بن أبي طالب ، ومَخْرَمَة بن نَوْفل ، وجُبَيْر بن مُطْعِم — وكانوا من نُسَّاب قريش — فقال : اكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوا فبدءوا ببني هاشم ، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة ، فلما نظر فيه عمر قال : ابدءوا بقرابة النبي عليه الصلاة والسلام الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : دَوَّن عمر الديوان فى المحرم سنة عشرين

وأخرج عن الحسن قال : كتب عمر إلى حُذَيفة : أن أعطِ الناس أعطيتهم وأرزاقهم ، فكتب إليه : إنا قد فعلنا وبقى شىء كثير ، فكتب إليه عمر : إنه فيؤهم الذى أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر ، اقسمه بينهم .

وأخرج ابن سعد عن جبير بن مُطعِم قال: بينا عمر واقف على جبل عرفة سمع رجلا يصرخ ويقول : ياخليفة الله ، فسمعه رجل آخر وهم يعتافون[1] فقال: مالك فك الله لهوتك ؟ فأقبلتُ على الرجل فصحت عليه ، فقال جبير : فإنى الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها إذ جاءت حصاة عائرة[2] ففتقت رأس عمر ، فقصدت فسمعت رجلا من الجبل يقول: أشعرت ورب الكعبة ، لا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبداً ، قال جبير : فإذا هو الذى صرخ فينا بالأمس ، فاشتد ذلك علىّ .

وأخرج عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين إذ صدرنا عن عرفة مررت بالمحصب فسمعت رجلا على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين ؟ فسمعت رجلا آخر يقول : ههنا كان أمير المؤمنين ، فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته فقال :

عليك سلامٌ من إمام ، وباركت ... يدُ الله فى ذاك الأديم المُمَزَّقِ

فمن يسعَ أو يركبْ جناحَىْ نعامةٍ ... ليدرك ماقدَّمتَ بالأمس يُسبَقِ

قضيت أموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائقَ فى أكمامها لم تُفتَّقِ

فلم يتحرك ذلك الراكب ولم يدر من هو ، فكنا نتحدث أنه من الجن ؛ فقدِمَ عمر من تلك الحجة فُطعِنَ بالخنجر ، فمات .

وأخرج عن عبد الرحمن بن أبزى عن عمر أنه قال : هذا الأمر[3] فى أهل بدر مابقى منهم أحد ، ثم فى أهل أحد مابقى منهم أحد ، وفى كذا وكذا ، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شىء .

(١) يعتافون : من العيافة، وهى زجر الطير ، وهى من معارف العرب فى جاهليتهم

(٢) عائرة : لايدرى من رماها . (٣) هذا الأمر : يريد به الخلافة .

وأخرج عن النخعي أن رجلا قال لعمر : ألا تستخلف عبد الله بن عمر؟ فقال: قاتلك الله ! والله ما أردتَ الله بهذا ، أستخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته ؟.

وأخرج عن شدّاد بن أوس عن كعب قال: كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر ، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه ، وكان إلى جنبه نبي يُوحَى إليه، فأوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول له: اعهد عَهْدَكَ ، واكتب إليّ وصيتك ؛ فإنك ميت إلى ثلاثة أيام ، فأخبره النبي بذلك ، فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير ، ثم جاء إلى ربه ، فقال : اللهم إن كنت تعلم أني كنت أعْدِلُ في الحكم ، وإذا اختلفت الأمور اتبعت هُدَاك وكنت وكنت ، فَزِدْ في عمري حتى يكبر طفلي وتربو أمتي ، فأوحى الله إلى النبي أنه قد قال كذا وكذا ـ وقد صدق ـ وقد زِدْتُه في عمره خمس عشرة سنة ، ففي ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته ، فلما طُعن عمر قال كعب : لئن سأل عمر ربه ليبقينه الله ، فأخبر بذلك عمر، فقال : اللهم اقبضني إليك غير عاجز ولا مَلُوم .

وأخرج عن سليمان بن يسار أن الجن ناحت على عمر .

وأخرج الحاكم عن مالك بن دينار قال : سُمع صوت بجبل تبالة حين قتل عمر رضي الله عنه :

لِيَبْكِ على الإسلام مَنْ كان باكيا   فقد أوشكوا صَرْعَى وما قَدُمَ العهدُ[1]
وأدبرت الدُّنيا وأدبر خيرها   وقد مَلّها من كان يوقن بالوَعْدِ

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن أبي راشد البصري قال : قال عمر لابنه: اقتصدوا في كفني ؛ فإنه إن كان لي عند الله خير أبدلني ما هو خير منه، وإن كنت على غير ذلك سَلَبني فأسرَعَ سلبي ، واقتصدوا في حُفْرَتي ؛ فإنه إن كان لي عند الله خير أوسَعَ لي فيها مدّ بصري ، وإن كنت على غير ذلك ضيقها عليّ حتى تختلف

(١) في هذين البيتين الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروي ، وغير عجيب ذلك ؛ لأنه من شعر الجن !!

أضلاعى ، ولا تُخرِجْ معى امرأة ، ولا تُزَكونى بما ليس فىّ ؛ فإن الله هو أعلم بى ، فإذا خرجتم فأسرِعُوا فى المشى ؛ فإنه إن كان لى عند الله خير قدمتمونى إلى ما هو خير لى ، وإن كنت على غير ذلك ألقيتم عن رقابكم شرًا تحملونه .

فصل

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس ، أن العباس قال : سألت الله حَوْلاً بعد ما مات عمر أن يرينيه فى المنام ، فرأيته بعد حول وهو يسلت العرق عن جبينه فقلت : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين ! ما شأنك ؟ فقال : هذا أوانُ فَرَغْتُ ، وإن كاد عرش عمر ليهدّ لولا أنى لقيت رءوفًا رحيمًا .

وأخرج أيضًا عن زيد بن أسلم ، أن عبد الله بن عمرو بن العاص رأى عمر فى المنام ، فقال : كيف صنعت ؟ قال : متى فارقتكم ؟ قال : منذ اثنتى عشرة سنة ، قال : إنما أفلتُّ الآنَ من الحساب .

وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : سمعت رجلا من الأنصار يقول : دعوتُ الله أن يُرِيَنِى عمر فى المنام ، فرأيته بعد عشر سنين ، وهو يمسح العرق عن جبينه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما فعلت ؟ قال : الآن فرغت ، ولولا رحمة ربى لهلكت .

وأخرج الحاكم عن الشعبى ، قال : رَثَتْ عاتكةَ بنت زيد بن عمرو بن نفَيْلٍ عمر ، فقالت :

عينُ جودى بعبرةٍ ونحيب ... لا تَمَلِّى على الإمام الصَّليب[1]
فجعتْنِى المنونُ بالفارس المُعْلَمِ يوم الهياج والتأنيب[2]
عصمة الدين والمُعِينُ على الدهر وغيث الملهوف والمكروب[3]
قل لأهل الضَّرَّاء والبؤس : مُوتُوا ... إذ سقتنا المنون كأسَ شَعُوبِ[4]

(١) فى الطبرى « الإمام النجيب » . (٢) وفيه « الهياج والتلبيب » .
(٣) وفيه « المتاب والمحروب » . (٤) وفيه « لأهل السراء والبؤس » .

فصــــل في عثمان بن عفان (1)

فيمن مات من الصحابة ـ رضي الله عنهم ! ـ في أيامه

مات في أيام عمر رضي الله عنه من الأعلام ، عُتْبة بن غَزْوان ، والعَلاء بن الحَضْرَميّ ، وقيس بن السَّكَن ، وأبو قُحافة والد الصديق رضي الله عنه ، وسعد بن عُبادة ، وسهيل بن عمرو ، وابن أم مكتوم المؤذن ، وعياش بن أبي ربيعة وعبد الرحمن أخو الزبير بن العوّام ، وقيس بن أبي صَعْصَعة ، أحدُ مَنْ جمع القرآن ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه أبو سفيان ، ومارية أم السيد إبراهيم ، وأبو عُبَيْدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، ويزيد ابن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حَسَنة ، والفضل بن العباس ، وأبو جَنْدَل ابن سهيل ، وأبو مالك الأشعري ، وصفوان بن المُعطَّل ، وأُبيّ بن كعب ، وبلال المؤذِّن ، وأسيد بن الحضير ، والبراء بن مالك أخو أنس ، وزينب بنت جحش ، وعياض بن غَنْم ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وخالد بن الوليد ، والجارود سيد بني عبد القيس ، والنعمان ابن مُقَرِّن ، وقتادة بن النعمان ، والأقرع ابن حابس ، وسَوْدة بنت زَمْعَة ، وعويم بن ساعدة ، وغَيْلان الثقفي ، وأبو مِحْجَن الثقفي ، وخلائق آخرون من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ! .

عثمان بن عفان ، رضي الله عنه

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب ، القرشي ، الأموي [المكّيّ ، ثم المدني] أبو عمرو ، ويقال : أبو عبد الله ، وأبو ليلى .

وُلد في السنة السادسة من الفيل ، وأسلم قديماً ، وهو ممن دعاه الصِّدِّيقُ إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين : الأولى إلى الحبشة ، والثانية إلى المدينة .

وتزوّج رُقية بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ النبوّة ، وماتت عنده في ليالي غزوة بدر ، فتأخّر عن بدر لتمريضها بإذن رسول صلى الله عليه وسلم ، وضرب له بسهمه وأجره ؛ فهو معدود في البدريين بذلك .

وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دَفَنُوها بالمدينة ، فزوّجه رسول الله عليه الصلاة والسلام بعدها أختَها أمّ كلثوم ، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة .

قال العلماء : ولا يعرف أحد تزوّج بنتَيْ نبيّ غيره ، ولذلك سمي ذا النورين ، فهو من السابقين الأوّلين ، وأوّلُ المهاجرين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله - عليه الصلاة والسلام ! - وهو عنهم راضٍ ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ، بل قال ابن عباد : لم يجمع القرآن من الخلفاء إلا هو[1] ، والمأمون .

وقال ابن سعد : استخلفه رسول الله عليه الصلاة والسلام على المدينة في غزوته إلى ذات الرّقاع ، وإلى غَطَفَان .

روى لهُ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام مائة حديث ، وستة وأربعون حديثاً .

روى عنه زيد بن خالد الجُهَنيُّ ، وابن الزبير ، والسائبُ بن يزيد ، وأنس ابن مالك ، زيد بن ثابت ، وسلمة بن الأكوع ، وأبو أمامة الباهلي ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعبدالله بن مُغَفَّل ، وأبو قتادة ، وأبو هريرة ، وآخرون من الصحابة ، رضي الله عنهم ! وخلائق من التابعين [منهم : أبَانُ بن عثمان ، وعبيد الله بن عدى ، وحُمْرَان ، وغيرهم] .

أخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : ما رأيتُ أحداً من

(1) المراد لم يجمعه حفظاً عن ظهر قلب ، أو لم يجمعه في مصحف . والا فإن السابق إلى جمع القرآن بعضه إلى بعض هو أبو بكر الصديق الخليفة الأول ، رضي الله تعالى عنه .

أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كان إذا حدّث أتمّ حديثاً ، ولا أحسن من عثمان بن عفان ، إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث .

وأخرج عن محمد بن سيرين قال : كان أعلمهم بالناسك عثمان ، وبعده ابن عمر .

وأخرج البيهقي في سننه ، عن عبد الله بن عمر بن أبانَ الجعفي قال : قال لي خالي حسين الجعفي : تدري لم سمى عثمان ذا النورين ؟ قلت : لا ، قال : لم يجمع بين بنتي نبيّ منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان ، فلذلك سمى ذا النورين .

وأخرج أبو نعيم عن الحسن قال : إنما سمى عثمان ذا النورين ؛ لأنه لا نعلم أحداً أغلقَ بابه على ابنتي نبيّ غيره .

وأخرج خيثمة في فضائل الصحابة ، وابن عساكر عن عليّ بن أبي طالب أنه سئل عن عثمان ؟ فقال : ذاك امرؤ يُدْعَى في الملأ الأعلى « ذا النورين » كان ختنَ رسول الله عليه الصلاة والسلام على ابنتيه[1] .

وأخرج الماليني بسند فيه ضعف ، عن سهل بن سعد قال : قيل لعثمان « ذو النورين » لأنه ينتقل من منزل إلى منزل في الجنة ، فتبرق له بَرْقتَيْن ؛ فلذلك قيل له ذلك .

وقال : إنه كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو ، فلما كان الإسلام وَلَدت له رُقَيّةُ عبدَ الله ، فاكتنى به .

وأمه : أرْوَى بنتُ كرِيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس [ابن عبد مناف] وأمها : أمّ حكيم البيضاء بنتُ عبد المطلب بن هاشم ، توأمة أبي رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأمّ عثمان بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) الختن — بالتحريك — هنا : زوج بنت الرجل .

قال ابن إسحاق : وكان أوّلَ الناس إسلاماً بعد أبى بكر ، وعلىٌّ ، وزيد ابن حارثة .

وأخرج ابن عساكر من طرق أن عثمان كان رجلا رَبْعَةً : ليس بالقصير، ولا بالطويل ، حسن الوجه ، أبيض مُشْرَباً حمرة ، بوجهه نكتات جُدَرى ، كثير اللحية ، عظيم الكراديس ، بعيد مابين المنكبين ، خَدْلَ الساقين ، طويل الذراعين ، شعره قد كسا ذراعيه ، جَعْدَ الرأس ، أصلع ، أحسن الناس ثغراً ، جُمَّته أسفل من أذنيه ، يَخْضِب بالصفرة ، وكان قد شد أسنانه بالذهب .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حزم المازنى قال : رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحْسَنَ وجهاً منه .

وأخرج عن موسى بن طلحة قال : كان عثمان بن عفان أجمل الناس .

وأخرج ابن عساكر عن أسامة بن زيد قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزل عثمان بصَحْفة فيها لحم، فدخلت ، فإذا رقية رضى الله عنها جالسة ، فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ، ومرة أنظر إلى وجه عثمان ، فلما رجعت سألنى رسولُ الله عليه الصلاة والسلام ، قال لى : دَخَلْتَ عليهما ؟ قلت : نعم ، قال: فهل رأيت زوجاً أحسن منهما ؟ قلت : لا يارسول الله .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِىّ ، قال : لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية ، فأوْثَقَهُ رباطاً ، وقال: تَرْغب عن ملة آبائك إلى دينٍ مُحْدَثٍ ؟ والله لا أدعك أبداً حتى تدع ما أنت عليه ، فقال عثمان : والله لا أدعه أبداً ، ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صَلاَبته فى دينه تركه .

وأخرج أبو يعلى عن أنس ، قال : أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة

بأهله عثمان بن عفان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط .

وأخرج ابن عدى عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته أم كلثوم قال لها : إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد .

وأخرج ابن عدى ، وابن عساكر عن ابن عمر قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : إنا نُشَبِّهُ عثمان بأبينا إبراهيم .

فصل

فى الأحاديث الواردة فى فضله ، غير ماتقدم

وأخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جَمَعَ ثيابه حين دخل عثمان وقال : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ! »

وأخرج البخارى عن أبى عبد الرحمن السلمى أن عثمان حين حُوصِرَ أشرف عليهم ، فقال : أَنْشُدُكم بالله ، ولا أنشد إلا أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ جَهَّزَ جيش العُسْرَة فله الجنة ؟ فجهزتهم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ حفر بئر رُومةَ فله الجنة ؟ فحفرتُها ، فصدَّقوه بما قال .

وأخرج الترمذى عن عبد الرحمن بن خَبَّاب قال : شهدت النبي عليه الصلاة والسلام وهو يحث على جيش العُسْرة فقال عثمان بن عفان : يارسول الله عليَّ مائة بَعيرٍ بأحلاسها وأقتابها[1] فى سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان : يارسول الله عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ، ثم حض على الجيش فقال عثمان : يارسول الله عليَّ ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ، فنزل

(١) الأحلاس : جمع حلس ـ بالكسر ـ وهو البرذعة التى توضع تحت الرحل ، والأقتاب : جمع قتب ـ بالتحريك ـ وهو إكاف على قدر سنام البعير .

رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يقول : ماعلى عثمان ماعَمِلَ بعد هذه شيء .

وأخرج الترمذى عن أنس ، والحاكم وصححه ، عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ قال : جاء عثمان إلى النبى عليه الصلاة والسلام بألف دينار حين جهز جيش العُسْرَة فنثرها فى حجره ، فجعل رسول الله عليه الصلاة والسلام يقلبها ويقول : ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم ، مرتين .

وأخرج الترمذى عن أنس قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسولَ رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى أهل مكه ، فبايع الناسُ ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إن عثمان بن عفان فى حاجة الله وحاجة رسوله ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى ؛ فكانت يد رسول الله عليه الصلاة والسلام لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال : يقتل فيها هذا مظلوماً ، لعثمان .

وأخرج الترمذى ، والحاكم وصححه ، وابن ماجه ، عن مرة بن كعب قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها ؛ فمر رجل مُقَنَّع فى ثوب فقال : هذا يومئذ على الهدى ، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت إليه بوجهى فقلت : هذا ؟ قال : نعم .

وأخرج الترمذى والحاكم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ياعثمان ! إنه لعل الله يُقَمِّصُكَ قميصاً ؛ فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى » .

وأخرج الترمذى عن عثمان أنه قال يوم الدار : إن النبى صلى الله عليه وسلم عهد إلى عهداً ؛ فأنا صابر عليه .

وأخرج الحاكم عن أبى هريرة قال : اشترى عثمانُ الجنةَ من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين : حيث حفر بئر رُومَةَ ؛ وحيث جهز جيش العُسْرَة .

وأخرج ابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « عثمان من أشبه أصحابى بى خُلُقًا ».

وأخرج الطبرانى عن عِصْمَة بن مالك قال: لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « زَوِّجُوا عثمان، لو كان لى ثالثة لزوجته، وما زوجته إلا بالوحى من الله ».

وأخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال: سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول لعثمان: « لو أن لى أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة ».

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: مَرَّ بى عثمان وعندى مَلَكٌ من الملائكة فقال: « شهيد يقتله قومه، إنا نستحى منه ».

وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر أن النبى عليه الصلاة والسلام قال: « إن الملائكة لتستحى من عثمان كما تستحى من الله ورسوله ».

وأخرج ابن عساكر عن الحسن أنه ذكر عنده حياء عثمان، فقال: إن كان لَيَكُونُ فى جوف البيت - والباب عليه مُغْلَق - فيضع ثوبه ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه.

كُتُبُ الرسول (ﷺ) إلى الملوك للدعوة إلى الإسلام

إن الإسلام دين عالمى ، فكتابه ذكر للعالمين ، ودعوته للناس كافة ، ورسوله رحمة للعالمين .

ومن أجل هذا ، أرسل رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – البعوث والكتب للملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام .. وعندما أراد الرسول (ﷺ) أن يرسل الرسل إلى الملوك ، ليدعوهم إلى الإسلام ، قيل له : يارسول الله إن الملوك لا يقرأون كتابا إلا مختوما فاتخذ رسول الله (ﷺ) – يومئذ – خاتما من فضة فصه منه نقشه ثلاثة أسطر : محمد رسول الله ، وختم به الكتب .. وإليك نماذج من هذه الكتب :



كتاب الرسول (ﷺ) إلى النجاشى

كان عمرو بن أُمية الضَّمْرى أول رسول بعثه رسول الله (ﷺ) إلى النجاشى ، وكتب إليه كتابين يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن ..

فأخذ كتاب رسول الله (ﷺ) فوضعه على عينيه ونزل من سريره على الأرض تواضعا .

ثم أسلم ، وشهد شهادة الحق ، وقال : «لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته» وكتب إلى رسول الله (ﷺ) بإجابته وتصديقه وإسلامه — على يَدَى جعفر بن أبى طالب — لله رب العالمين .

وأما الكتاب الثانى : فكتبه يطلب فيه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عُبيد الله بن جحش الأسدى فتنصر هناك ومات وأمره رسول الله (ﷺ) فى الكتاب أن يبعث إليه بمَنْ قِبَلَهُ من أصحابه ويحملهم ففعل ، فزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وأصدق عنه أربعمائة دينار ، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم ، وحملهم فى سفينتين مع عمرو بن أمية الضَّمْرى ، ودعا بِحُقٍّ من عاجٍ فجعل فيه كتابَى رسولِ الله (ﷺ) ، وقال : «لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها»[1] .

لقد كان تقدير النجاشى لكتابَى رسول الله (ﷺ) واضحا وعظيما ، حيث وضع الرسالة على عينيه ونزل من سريره ، حبا وإكبارا واحتراما ، وأجاب دعوته إلى الإسلام وصدق ..

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ١٥ طبع دار التحرير بالقاهرة .

ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت . لا ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت . نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال[1] ينال منا وننال منه قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها . وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله . وسألتك هل من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك : أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك : أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حين يتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته[2] القلوب ، وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق

---

(١) سجال : نوب . (٢) البشاشة : انشراح الصدر والفرح

ـ فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت
نه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه
مت[1] لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه .

دعا بكتاب رسول الله (ﷺ) الذى بعث به دحية إلى عظيم بصرى
إلى هرقل فقرأ . فإذا فيه :

الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ،
على من اتبع الهدى أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم
يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[2] .

﴿... يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ
أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا
بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا
مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾[3] .

أبو سفيان : فلما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده
صخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا . فقلت لأصحابى حين أخرجنا لقد
أمر[4] ابن[5] أبى كبشة أنه يخافه ملك بنى الأصفر ، فمازلت موقنا أنه
سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

(١) تجشمت : تكلفت الوصول إليه . (٢) الأريسيون : الفلاحون أو اليهود والنصارى أو الملوك .
(٣) آل عمران : ٦٤ . (٤) أمر : عظم .
(٥) يريد النبى (ﷺ) لأن أبا كبشة أحد أجداده وعادة العرب إذا انتقصت نسبته إلى جد غامض قيل هو جده
لأمه وقيل من قبل أبيه وقيل أبوه من الرضاعة .

كتاب رسول الله (ﷺ) إلى قيصر

أرسل عليه الصلاة والسلام دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتابا وأمره أن يدفعه إلى عظيم بُصرى ليدفعه إلى قيصر ، فدفعه عظيم بُصرى إليه وهو يومئذ بحمص وقيصر - يومئذ - ماض فى نذر كان عليه إن ظهرت الروم على فارس أن يمشى حافيا من قسطنطينية إلى إيلياء فقرأ الكتاب[1] :

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[2] ،

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾[3].

وسأورد قصة هذا الكتاب ، كما أوردها الإمام البخارى فى صحيحه، ثم أعقب بالتعليق عليها والشرح .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) الأريسيون : الفلاحون أو اليهود والنصارى أو الملوك .

(٣) آل عمران : ٦٤ .

الاستدلال المنصف عن صدق النبوة :

إن كل من أنصف في بحثه عن الإسلام ، والتزم جانب الحق والصواب ، لابد وأن ينتهى به فكره إلى الحقيقة من أقرب طريق ، فشواهد هذا الدين من الوضوح بمكان بحيث لا تحتاج إلى طول معاناة ، ودلائل هذه الرسالة الخاتمة أوضح من الشمس في رائعة النهار .

وفي هذه القصة العميقة ، من قصص السنة والسيرة ، ما يطلعنا على جانب من جوانب الاستدلال المنصف على صدق النبوة وحقيقتها .

قال الإمام البخاري رحمه الله : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال : أخبرنا شعيب عن الزهري قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد[1] فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء[2] فدعاهم في مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : فقلت أنا أقربهم نسبا . فقال : أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه . فوالله لولا الحياء من أن يأثروا[3] على كذبا لكذبت عنه ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلت : بل

(١) من مدة صلح الحديبية . (٢) إيلياء : المراد به بيت المقدس .
(٣) أن يأثروا : أن ينقلوا .

وكان ابن الناطور[1] – صاحب إيلياء وهرقل – أسقفا على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوما خبيث النفس ، فقال بطارقته : قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء[2] ينظر في النجوم . فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ، فلا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود . فبينا هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله (ﷺ) فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو ؟ فنظروا إليه ، فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب ؟ فقال : هم يختتنون . فقال هرقل : هذا ملك – وفي رواية ملك – هذه الأمة قد ظهر ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حمص فلم يرم[3] حمص – أي لم يبرحها – حتى أتاه كتاب من صاحبه . يوافق رأى هرقل على خروج النبي (ﷺ) وأنه نبي ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له[4] بحمص – والدسكرة هي القصر الذي حوله بيوت – ثم أمر بأبوابها فغلقت .

ثم اطلع فقال : يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا[5] حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت . فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم علي . وقال : إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل .

---

(١) صاحب البستان .
(٢) حزاء : كاهن .
(٣) فلم يرم : لم يبرح .
(٤) الدسكرة : القصر الذي حوله بيوت .
(٥) حاصوا : نفروا .

ية محاورة هرقل لأبى سفيان . ومساءلته له عن أحوال النبى (ﷺ)
لها أهميتها وقيمتها ، وهذا الحديث يمثل جانبا من منهج الدعوة إلى
هو إرسال الكتب إلى الملوك ، ودعوتهم إلى الدين الذى جاء به
(ﷺ) .. كما يمثل جانبا آخر من علامات النبوة ، وكيف يصل
ستنير إلى الحق . ويعرف عن طريق الاستنتاج الصحيح أن صاحب
بوة مرسل من ربه .

هرقل حين جاءه كتاب الرسول (ﷺ) قرأه ، وأراد أن يصل إلى
من أقوم طريق ، وإنما طلب هرقل أن يسأل أقربهم نسبا بالرسول
لأنه هو الذى يكون أكثر معرفة بأحواله ، والاطلاع على شئونه
باطنا أكثر من غيره ولأن البعيد عنه لا يؤمن أن يقدح فى نسبه بخلاف
، ثم أكد الأمر لأصحابه فقال لهم : إن كذبنى فكذبوه ، أى لا
منه ، كما أنه جعل أصحابه خلفه ، ليكون تكذيبهم له — إن كذب —
أيسر ، ولئلا يستحيوا أن يواجهوه فإن المقابلة بالكذب وجها لوجه
أمور الصعبة ، وفى قول أبى سفيان : فوالله لولا الحياء من أن يأثروا
كذبا لكذبت عليه . فى هذا دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب
عن الشرع السابق أو بالعرف .

بعد أن أدار هرقل تلك المحاورة الدقيقة ، وانتهى من الأسئلة المحكمة ،
جابة التى فهمها وعرف جوانب ما تدل عليه ، كون صورة استنتجها
ه السليم ، مع أنه لم تكن له معرفة بالرسول (ﷺ) من قبل ، ومع هذا
كانت صورة صحيحة ، رتب نتائجها على مقدمات سليمة .

لقد استنتج هرقل بالسؤال عن نسب الرسول (ﷺ) وأنه فيهم ذو نسب
الرسول على حق ، فإن الرسل تبعث فى نسب قومها ، فهم يبعثون فى

أفضل أنسابهم وأشرفها فذلك أبعد عن انتحال الباطل ، لأن الإنسان الذى يتمتع بالشرف وأصالة المعدن – غالبا – لا يميل إلى انتحال الباطل ؛ وليس فى حاجة إليه ، كما أنه يكون أقرب إلى انقياد الناس له ، وإخبار هرقل بذلك كان عن العلم المقرر عنده فى الكتب السالفة .

كما استنتج صدق الرسالة والرسول من أنه لم يقل هذا القول أحد قبله حتى يقال أنه متأس به ، وأنه ليس من آبائه من ملك حتى يقال إنه يطلب ملك أبيه .. وأنه غير متهم بالكذب قبل ذلك ، فلم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله كيف !! وهو المعروف بالصادق الأمين وقد عرف بالصدق وسائر الفضائل قبل البعثة وبعدها .. كما استنتج صدق الرسول (ﷺ) عن طريق اتباع الضعفاء له لأن أتباع الرسل أهل تواضع وأنهم يزيدون وهو أمر الإيمان حين يتم ، وأن من دخل فى الإسلام لا يرجع عنه بعد أن ذاق حلاوته وخالطت بشاشته قلبه ، فإن الذين يخلصون فى إيمانهم يستشعرون حلاوة الإيمان فلا يتزعزعون ولا ينحرفون عنه مهما كان حولهم من اضطهاد ، ومهما نزل بهم من عذاب ، وهذا بلال كم كان يقاسى ما يقاسى فى الصحراء المحرقة والعذاب الأليم ، فما كان يزيد عن قوله أحد أحد ، وما زاده الاضطهاد إلا إيمانا وتثبيتا . كما استنتج من عدم الغدر بأنه رسول إذ أن الرسل لا تغدر ، لأنهم لا يطلبون حظا من حظوظ الحياة الدنيا التى لا يبالى طلابها بالغدر ، بخلاف أهل الآخرة وطلابها فإنهم أوفياء أمناء لا يخونون ولا يغدرون .

ثم كان الاستنتاجان الأخيران بالسؤال عن قتالهم له وكيفيته وأنهم قاتلوه وأن الحرب بينهم وبينه سجال ، وهذا شأن الرسل عليهم السلام تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وإنما يبتليهم «الله» تعالى بذلك ، ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وما بذلوه من أقصى ما فى [illegible] فى طاعة [illegible]

أما ما أمرهم به : فهو أن يعبدوا «الله» ولا يشركوا به شيئا ، وأما ما نهاهم عنه فهو ينهاهم عن عبادة الأوثان ، ويأمرهم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة وأخيرا يصل هرقل إلى النتيجة الهامة ، والنظرة البعيدة الثاقبة ، لمنزلة هذا الرسول وما لدعوته من مستقبل عظيم ، هذه النتيجة نلمسها في قوله : (فإن كان ما تقول حقا ، فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه) . والمراد بموضع قدميه : هو بيت المقدس أو أنه كناية عن الشام كله .

وهنا نصل إلى درجة المعرفة التى بلغها هرقل ، لقد كان يعلم الحقيقة ، وهى أن النبى مرسل من ربه ، ولكنه خاف على نفسه وعلى ملكه ، وهل يمكن أن يكون ؟ نقول : لا إنه لا ينهض عذرا له ، فقد عرف الرجل أن الرسول (ﷺ) ، إلا أنه رغب فى استمرار الرياسة ، وخاف على ملكه ، فآثر ذلك على الإسلام ، ولكن الرجل لو فطن لقول الرسول (ﷺ) فى الكتاب «أسلم تسلم» ووعى ما يترتب على الإسلام من السلامة دنيا وأخرى لكان سالما من كل ما يخافه ولكن الهدى هدى «الله» .

ويمكن أن نستنبط من هذه القصة بعض العبر والنتائج الهامة منها : صدق الرسول (ﷺ) وحقيقة الرسالة ، وكثرة العلامات التى دلت على الرسول (ﷺ) فى الكتب السابقة والعلامات المذكورة فى هذه القصة منها ما يتعلق بشخص الرسول (ﷺ) ، ومنها ما يتعلق بشأن أتباعه المؤمنين السابقين ، ومنها ما يتعلق بشأن دعوته .

كما يستنبط وجوب العمل بخبر الواحد حيث أنه بعث الكتاب مع دحية ، ووجوب الدعوة إلى الإسلام والعمل على نشرها ودعوة غير المسلمين للدخول فى الإسلام .

- وأن من اهتدى وكان سببا فى هداية غيره آتاه «الله» أجره مرتين ، ومن ضل وكان سبباً فى إضلال غيره كان عليه إثمه وإثم من تبعه .

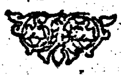
- وبهذا المنطق العاقل يمكن لكل إنسان أن يستعمل عقله الذى منحه «الله» إياه وأن ينظر إلى تلك الصورة المعتدلة التى كونها هرقل عن شخصية الرسول (ﷺ) ويستطيع أن يزن بعقله وفكره أمر الرسول والرسالة يمكن لكل عاقل ممن لم يؤمن أن ينظر بإنصاف وفهم لحقيقة هذا الدين فإنه لاشك حين ينصف فى بحثه وفكره سيهتدى إلى الإسلام ، فهو الدين القيم الذى ارتضاه «الله» لعباده .



كتاب رسول الله (ﷺ) إلى كسرى

يعث رسول الله (ﷺ) عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى يدعوه
الإسلام ، وكتب معه كتابا ، قال عبد الله : فدفعت إليه كتاب رسول
(ﷺ) ، فقرئ عليه ، ثم أخذه فمزقه ، فلما بلغ ذلك رسول الله
ﷺ) قال : «اللهم مزق ملكه» .

وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين
هذا الرجل الذى بالحجاز فليأتيانى بخبره . فبعث باذان قهرمانه ورجلا
ر ، وكتب معهما كتابا ، فقدما المدينة فدفعا كتاب باذان إلى النبى (ﷺ)
سم رسول الله (ﷺ) ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد وقال : «ارجعا
ى يومكما هذا حتى تأتيانى الغد فأخبركما بما أريد» فجاءاه الغد ، فقال
ا : «أبلغا صاحبكما أن ربى قد قتل ربه كسرى فى هذه الليلة لسبع
اعات مضت منها وهى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى
نة سبع وأن الله تبارك وتعالى سلط عليه ابنه شيرويه فقتله» فرجعا إلى باذان
لك فأسلم هو والأبناء الذين باليمن .



كتاب رسول الله (ﷺ) إلى المقوقس

بعث رسول الله (ﷺ) حاطب بن أبى بلتعة اللخمى إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتابا فلما وصله الكتاب قرأه وجعله فى حُقّ من عاج وختم عليه : ودفعه إلى جاريته ، وكتب إلى النبى (ﷺ) : قد علمت أن نبيا قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعث إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها ، ولم يزد على هذا ولم يسلم فقبل رسول الله (ﷺ) هديته ، وأخذ الجاريتين «مارية» أم إبراهيم بن رسول الله (ﷺ) وأختها «شيرين» وبغلة بيضاء..

هذه بعض الكتب التى بعث بها رسول الله (ﷺ) إلى الملوك يدعوهم فيها ويدعو قومهم وأتباعهم إلى الإسلام ، مشيرا إلى مبادئ الإسلام .. وكان (ﷺ) سمحا وعظيما فى دعوته وأسلوبه ، متبعا المنهج الربانى الذى أمره رب العزة سبحانه وتعالى فيه بالدعوة حين قال :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١).

فكان عليه الصلاة والسلام يخاطبهم بأسلوبه الرقيق الحكيم لاعنف فى دعوته ولا تهديد ، بل الأدب العالى والزوق الرفيع وصدق «الله» إذ يقول فيه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢) .

---

(١) سورة النحل : ١٢٥ . (٢) سورة القلم : ٤ .

الوفود

لقد كانت سنة تسع من الهجرة النبوية تسمى بسنة الوفود ، حيث فتح
سبحانه وتعالى على رسوله صلوات الله وسلامه عليه مكة المكرمة فأقبل
وفود العرب من كل ناحية .

وقويت الدولة الإسلامية ، وعرف العرب جميعا أنه لا طاقة لهم بحرب
ل الله (ﷺ) ، فدخلوا فى دين الله أفواجا ، كما قال الحق سبحانه وتعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾[1]

وإليك نماذج من هذه الوفود :



قدوم وفد مُزَيْنَةَ على رسول الله (ﷺ)

روينا[1] من طريق البيهقي عن النعمان بن مُقَرِّن قال : «قدمنا على رسول الله (ﷺ) أربعمائة رجل من مزينة ، فلما أردنا أن ننصرف قال : ياعمر ، زَوِّد القومَ ، فقال : ما عندى إلا شيء من تمر ، ما أظنه يقع من القوم موقعًا . قال : انطلق فزودهم ، قال : فانطلق بهم عمر فأدخلهم منزله ، ثم أصعدهم إلى عِلِّيَة . فلما دخلنا إذا فيها من التمر مثل الجمل الأورق ، فأخذ القوم منه حاجتهم . قال النعمان : فكنت فى آخر من خرج ، فنظرت ، فما أفقد موضع تمرة من مكانها» .



(١) زاد المعاد لابن القيم جـ٣ ص٧٦ طبع مطبعة السنة المحمدية .

.وم وفد دوس على رسول الله (ﷺ) قبل ذلك بخيبر

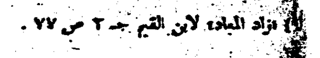
قال ابن إسحاق وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يُحدث : أنه قدم مكة
رسول الله (ﷺ) بها . فمشى إليه رجال من قريش – وكان الطفيل رجلا
يفًا ، شاعرًا لبيًا – قالوا له : إنك قدمت بلادنا ، وإن هذا
رجل – وهو الذي بين أظهرنا – فرّق جماعتنا ، وشتّت أمرنا . وإنما قوله
السحر ، يُفرّقُ به بين المرء وابنه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه .
إنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد حلّ علينا ، فلا تكلمه ، ولا تسمع
نه . قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتَ أن لا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه ،
حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفًا[1] ، فَرَقًا[2] من أن
بلغني شيء من قوله .قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله (ﷺ)
قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت قريبا منه ، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض
قوله ، فسمعت كلامًا حسنًا ، فقلت في نفسي : واثُكلَ أمّياه ، والله إني
رجل لبيب شاعر ، ما يخفى عليّ الحسَن من القبيح . فما يمنعني أن أسمع
من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان ما يقول حسنا قبلت ، وإن كان قبيحًا
تركت ؟ قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله (ﷺ) إلى بيته فتبعته ،
حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت : يامحمد ، إن قومك قد قالوا لي
كذا وكذا ، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددتُ أذني بكُرْسُف ؛
لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسْمِعَنيه ، فسمعت قولا حسنًا ، فاعرضْ
عليّ أمرك . فعرض عليّ رسول الله (ﷺ) ، وتلا عليّ القرآن ، فلا والله
ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرًا أعدل منه . فأسلمت وشهدت

---

(١) الكُرْسُف : القطن .
(٢) فرَقًا : خوفا .

شهادة الحق . وقلت : يانبى الله ، إنى امرؤ مُطاع فى قومى ، وإنى راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله لى أن يجعل لى آية تكون عونًا لى عليهم فيما أدعوهم إليه . فقال : «اللهم اجعل له آية» . قال : فخرجت إلى قومى ، حتى إذا كنت بثَنِيَّة تطلعنى على الحاضر : وقع نور بين عينَىَّ مثل المصباح . قال : قلت : اللهم فى غير وجهى ، إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثْلَة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم . قال : فتحول فوقع فى رأس سوطى كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط إليهم من الثنية ، حتى جئتهم وأصبحت فيهم . فلما نزلت أتانى أبى – وكان شيخا كبيرا – فقلت : إليك عنى ياأبت ، فلست منى ، ولست منك . قال : ولِمَ يابنى ؟ قلت : قد أسلمت ، وتابعت دين محمد (ﷺ) . قال : يابنى فدينى دينك . قال : فقلت : اذهب فاغتسل وَطَهِّر ثيابك ، ثم تَعَالَ حتى أُعلمك ما علمت . قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ، ثم جاء ، فعرضت عليه الإسلام فأسلم ، ثم أتتنى صاحبتى ، فقلت لها : إليك عنى ، فلستُ منك ولستِ منى . قالت : لِمَ بأبى أنت وأمى ؟ قلت : فرق الإسلام بينى وبينك ، أسلمت ، وتابعت دين محمد (ﷺ) قالت : فدينى دينك . قال : قلت : فاذهبى فاغتسلى ففعلت ، ثم جاءت ، فعرضت عليها الإسلام فأسلمت . ثم دعوت دَوْسًا إلى الإسلام فأبطئوا علىَّ ، فأتيت رسول الله (ﷺ) ، فقلت : يارسول الله ، إنه قد غلبنى على دوس الزنا ، فادع الله عليهم ، فقال : «اللهم اهْدِ دَوْسًا» . ثم قال : «ارجع إلى قومك ، فادعهم إلى الله وارفق بهم» . فرجعت إليهم ، فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله . ثم قدمت على رسول الله (ﷺ) ورسول الله بخيبر . فنزلت المدينة بسبعين – أو ثمانين – بيتًا من دوس ، ثم لحقنا برسول الله بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين» .

ابن إسحاق : فلما قبض رسول الله (ﷺ) ، وارتدت العرب خرج
يل مع المسلمين ، حتى إذا فرغوا من طليحة ، ثم سار مع المسلمين إلى
ة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فقال لأصحابه : إنى قد رأيت رؤيا
بروها لى : رأيت أن رأسى قد حلق ، وأنه قد خرج من فمى طائر ،
امرأة لقيتنى فأدخلتنى فى فرجها ، ورأيت أن ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ،
رأيته حُبِسَ عنى . قالوا : خيراً رأيت . قال : أما والله ، إنى قد أولتها .
: وما أولتها ؟ قال : أما حلق رأسى فوضعه ، وأما الطائر الذى خرج
فمى فروح ، وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تحفر فألقى
. وأما طلب ابنى إياى وحبسه عنى : فإنى أراه سيجهد لأن يصيبه من
شهادة ما أصابنى . فقتل الطفيل شهيداً باليمامة ، وجرح ابنه جرحاً شديداً ،
قتل عام اليرموك شهيداً فى زمن عمر رضى الله عنه[1] .



[1] زاد المعاد لابن القيم جـ ٢ ص ٧٧ .

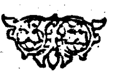
قدوم وفد الأزد على رسول الله (ﷺ)

ذكر أبو نعيم فى كتاب «معرفة الصحابة» والحافظ أبو موسى المدينى من حديث أحمد بن أبى الحَوارى قال : سمعت أبا سليمان الدارانى قال : حدثنى علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى قال : حدثنى أبى جدّى سويد بن الحرث قال: «وَفَدْتُ سابعَ سبعةٍ من قومى على رسول الله (ﷺ) . فلما دخلنا عليه وكلمناه : أعجبه مارآى من سَمْتنا وزِيِّنا . فقال : «ماأنتم ؟» قلنا : مؤمنون . فتبسم رسول الله (ﷺ) . وقال : «إن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟» قلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس منها أمرتنا بها رسلك : أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلّقنا بها فى الجاهلية ، فنحن عليها الآن ، إلا أن تكره منها شيئاً . فقال رسول الله (ﷺ) : «وما الخمس التى أمَرَتْكم بها رُسُلى أن تؤمنوا بها ؟» قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت . قال : «وما الخمس التى أمرتكم أن تعملوا بها ؟» قلنا : أمرتنا أن نقول : لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ، ونَصُومَ رمضان ، ونَحُجَّ البيت الحرام ، مَن استطاع إليه سبيلا . فقال : «وما الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية ؟» قلنا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق فى مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء . فقال رسول الله (ﷺ) : حكماء علماء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء» ثم قال : «وأنا أزيدكم خمسا ، فتتم لكم عشرون خصلة ، إن كنتم كما تقولون : فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ، ولا تنافسوا فى شىء أنتم عنه غدا تزولون ، واتقوا الله الذى إليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارْغَبُوا فيما عليه تَقْدُمُونَ وفيه تُخَلَّدُون» فانصرف القوم من عند رسول الله (ﷺ) ، وحفظوا وصيته ، وعملوا بها» .

قدوم وفد تجيب

وقدم عليه (ﷺ) وفد تجيب – وهم من السكون – ثلاثة عشر رجلا – قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم . فسُرّ رسول الله (ﷺ) بهم ، وأكرم نزلهم ، وقالوا : يارسول الله ، سُقْنا إليك حق الله فى أموالنا . فقال رسول الله (ﷺ) : «ردوها فاقسموها على فقرائكم» قالوا : يارسول الله ، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا . فقال أبو بكر : يارسول الله ، ما وفد من العرب بمثل ماوَفَد به هذا الحىُّ من تجيب . فقال رسول الله (ﷺ) : «إن الهُدَى بيد الله عز وجل . فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان» وسألوا رسول الله (ﷺ) أشياء ، فكتب لهم بها ، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن ؟ فازداد رسول الله (ﷺ) فيهم رغبة ، وأمر بلالا أن يُحسن ضيافتهم . فأقاموا أياما ، ولم يطيلوا اللُّبث . فقيل لهم : «ما يُعْجِلكم ؟» فقالوا : نرجع إلى مَنْ وراءنا ، فنخبرهم برؤيتنا رسول الله (ﷺ) ، وكلامنا إياه ، وما ردَّ علينا . ثم جاءوا إلى رسول الله (ﷺ) يودعونه ، فأرسل إليهم بلالا ، فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود . ثم قال: «هل بقى منكم أحد ؟» قالوا : نعم ، غلام خلفناه على رحالنا ، وهو أحدثنا سنًّا . قال : «أرسلوه إلينا» فلما رجعوا إلى رحالهم ، قالوا للغلام : انطلق إلى رسول الله فاقض حاجتك منه ، فإنا قد قضينا حوائجنا منه ، وودعناه . فأقبل الغلام حتى أتى رسول «الله» ، فقال : يا رسول الله ، إنى امرؤ من بنى أَبْذَى – يقول : من الرهط الذين أتوك آنفا – فقضيت حوائجهم ، فاقض حاجتى يارسول «الله» ، قال : «وما حاجتك ؟» قال : إن حاجتى ليست كحاجة أصحابى ، وإن كانوا قدموا راغبين فى الإسلام ، وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم . وإنى و «الله» ما أعملنى

من بلادى إلا أن تسأل «الله» عز وجل أن يغفر لى ويرحمنى ، وأن يجعل غناى فى قلبى ، فقال رسول الله (ﷺ) ، وأقبل على الغلام : «اللهم اغفر له وارحمه ، واجعل غناه فى قلبه» ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم . ثم وافوا رسول الله (ﷺ) فى الموسم بمنى سنة عشر ، فقالوا : نحن بنو أبذى ، فقال رسول الله (ﷺ) : «ما فعل الغلام الذى أتانى معكم ؟» قالوا : يارسول الله ، ما رأينا مثله قط ، وما حُدثنا بأقنع منه بما رزقه الله ، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ، ولا التفت إليها . فقال رسول الله (ﷺ) : «الحمد لله ، إنى لأرجو أن يموت جميعًا» فقال رجل منهم : أو ليس يموت الرجل جميعًا يارسول الله ؟ فقال رسول الله : «تتشعب أهواؤه وهمومه فى أودية الدنيا ، فلعل أجله أن يدركه فى بعض تلك الأودية فلا يبالى الله عز وجل فى أيها هلك» قالوا : فعاش ذلك الغلام فينا على أفضل حال وأزهده فى الدنيا ، وأقنعه بما رزق . فلما تُوفى رسولُ الله (ﷺ) ، ورجَع مَن رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام فى قومه ، فذكَّرهم «الله» والإسلامَ فلم يرجع منهم أحد . وجعل أبو بكر الصدِّيق يَذْكُرُه ويسألُ عنه ، حتى بلغه حاله ، وما قام به ، فكتب إلى زياد بن لبيد يُوصِيه به خيرًا .



قدوم عدى بن حاتم

أما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب
أشد كراهية لرسول الله (ﷺ) حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرءا
ا وكنت نصرانيا ، وكنت أسير فى قومى بالمرباع[1] فكنت فى نفسى
دين وكنت ملكا فى قومى ، لما كان يصنع بى . فلما سمعت برسول الله
ﷺ) كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى ، راعيا لإبلى : لا أبالك ، أعدد
من إبلى أجمالا ذللا[2] سمانا ، فاحتبسها قريبا منى ، فإذا سمعت بجيش
د قد وطئ هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال :
ى . ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإنى قد
ت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت :
ب إلى أجمالى ، فقربها فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل
ى من النصارى بالشام ، فسلكت الجوشية ، ويقال : الحوشية فيما قال
هشام وخلفت بنتا[3] لحاتم فى الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها .

وتخالفنى خيل لرسول الله (ﷺ) ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ،
م بها على رسول الله (ﷺ) ، فى سبايا من طيئ وقد بلغ رسول الله (ﷺ)
ى إلى الشام ، قال : فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت
بايا تحبس فيها فمر بها رسول الله (ﷺ) ، فقامت إليه ، وكانت امرأة
زلة ، فقالت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن على من
عليك . قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار

(1) أى آخذ ربع الغنيمة وكذلك كان يفعل الرؤساء فى الجاهلية .
(2) الذلل : السهل .
(3) قال السهيلى : اسمها سفانة لأنه لا يعرف له بنت سواها .

من الله ورسوله ؟ ، مت : ثم مضى رسول الله (ﷺ) وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مر بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس : قالت : حتى إذا كان بعد من الغد مر بى ، وقد يئست منه ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه ، قالت : فقمت إليه ، فقلت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد ، فامنن على من الله عليك ، فقال (ﷺ) : وقد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنينى . فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : على بن أبى طالب (رضوان الله عليه) ، وأقمت حتى قدم ركب من بلى أو قضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام ، قالت : فجئت رسول الله (ﷺ) فقلت : يارسول الله ، قد قدم رهط من قومى ، لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله (ﷺ) ، وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فوالله إنى لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظعينة[1] تصوب إلى تؤمنا قال : فقلت ابنة حاتم ، فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسحلت[2] تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت : أى أخية ، لا تقولى إلا خيرا ، فوالله ما لى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت ، قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فلن تذل فى عز اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت و والله إن هذا لرأى .

إسلام عدى :

قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله (ﷺ) المدينة ، فدخل

(١) الظعينة : المرأة فى الهودج .   (٢) انسحلت : أخذت تلوم .

، وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : «من الرجل» ، فقلت :
ى بن حاتم ، فقام رسول الله (ﷺ) ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه
لد بى إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا
مه فى حاجتها ، قال : قلت فى نفسى والله ما هذا بملك ، قال : ثم مضى
ول الله (ﷺ) حتى إذا دخل بى بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا ،
تها إلى فقال : «اجلس على هذه» ، قال : قلت : بل أنت ، فاجلس
يها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله (ﷺ)
أرض ، قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : «إيه
عدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا ؟» قال : قلت : بلى ، قال : «أو لم تكن
ير فى قومك بالمرباع» قال : قلت : بلى ، قال : «فإن ذلك لم يكن يحل
فى دينك» قال : قلت : أجل والله ، قال : وعرفت أنه نبى مرسل ،
لم ما يجهل ، ثم قال : «لعلك ياعدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين
ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد
ن يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم
قلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها
حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك
ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور
البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم» قال : فأسلمت .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، و«والله» لتكونن ،
قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج
من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكونن الثالثة
ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه .[1]

(1) سيرة ابن هشام جـ٢ ص ٣٦ : ط الكاو .

وفد عبد القيس

قال البخاري : حدثنا على بن الجعد قال : أخبرنا شعبة :

عن أبي جمرة قال : كنت أقعد مع ابن عباس . يجلسني على سريره فقال : أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي ، فأقمت معه شهرين ثم قال : إن وفد عبد القيس ، لما أتوا النبي (ﷺ) قال :
« مَنِ القومُ ، أو مَنِ الوفد ؟ » .

قالوا : ربيعة ، قال : « مَرحبًا بالقومِ ، أو بالوفدِ ، غير خَزَايا وَلاَ نَدَامَى » فقالوا : يا رسول الله ، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة ، وسألوه عن الأشربة . فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع .

أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : أتدرُونَ مَا الإيمانُ بالله وَحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شَهَادَةُ أن لاَ إله إلاَّ الله . وأنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله ، وَإقَامِ الصَّلاَة ، وَإيتاء الزَّكَاةِ ، وصِيام رَمَضَانِ ، وأن تُعطُوا مِنَ المغنم الخمس .

ونهاهم عن أربع : الحنتم[1] والدباء[2] والنقير[3] والمزفت وربما قال المقير[4] ، وقال : احفظوهن ، وأخبروا بهن من وراءكم » .

---

(١) الحنتم : جرار خضر . (٢) الدباء : القرع اليابس أي الوعاء منه .
(٣) النقير : جذع ينقر وسطه . (٤) المقير : المطلى بالقار وهو الزفت .

لقد حقق الله تعالى النصر والفتح للدعوة الإسلامية ، بعد جهاد طويل ، جد فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . وجاهد أصحابه والمسلمون جهاد ، فدعوا للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجاهدوا فى «الله» جهاده ، بالنفس وبالمال وبالدعوة والكلمة ، حتى تم النصر والفتح من الله العزيز الحكيم .

ولما تم فتح مكة ، وفرغ رسول الله (ﷺ) من تبوك ، وأسلمت ثقيف ، ضربت إليه وفود العرب من كل مكان ، قال ابن إسحاق : حدثنى أبو عبيده أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود ، حيث وفد على رسول الله (ﷺ) وفود كثيرة ، يتعلمون منه ، ويأخذون عنه ، ويدخلون فى دين الله أفواجا ..

ومن هذه الوفود : وفد عبد القيس ، وكانت مساكنهم بالبحرين وما والاها من أطراف العراق . ووفد عبد القيس هؤلاء تقدموا قبائلهم مهاجرة إلى رسول الله (ﷺ) ، وكانوا أربعة عشر راكبا ، الأشج العصرى منهم .. وهو المنذر بن عائذ ، ومنهم منقذ بن حيان .. وروى ابن منده من طريق هود العصرى عن جده لأمه قال : بينا رسول الله (ﷺ) يحدث أصحابه ، إذ قال لهم : «سيطلع لكم من هذا الوجه ركب هم خير أهل المشرق» فقام عمر ، فلقى ثلاثة عشر راكبا .. فيجمع بين هذه الرواية والسابقة بأن يكون أحد المذكورين غير راكب أو مرتدفا . وأما ما رواه الدولابى وغيره من طريق أبى خيرة الصباحى قال : كنت فى الوفد الذين أتوا رسول الله (ﷺ) من وفد عبد القيس وكنا أربعين رجلا .. فيجمع بين هذه الرواية وبين الرواية الأخرى ، بأن الثلاثة عشر كانوا رؤوس الوفد ، ولهذا كانوا ركبانا ، وكان الباقون أتباعا ..

أما عن سبب وفودهم : فهو أن منقذ بن حيان أحد بنى غنم بن وديعة ، كان متجره إلى يثرب فى الجاهلية ، فشخص إلى يثرب ، بملاحف وتمر من هجر ، بعد هجرة النبى (ﷺ) ، فبينا منقذ بن حيان قاعد ، إذ مر به النبى (ﷺ) فنهض منقذ إليه فقال النبى (ﷺ) : «أمنقذ بن حيان ، كيف جميع هيئتك وقومك ؟» ثم سأله عن أشرافهم رجل رجل ، يسميهم بأسمائهم ، فأسلم منقذ ، وتعلم سورة الفاتحة واقرأ باسم ربك ، ثم رحل قبل هجر ، فكتب النبى (ﷺ) معه إلى جماعة عبد القيس كتابا ، فذهب به ، وكتمه أياما ، ثم اطلعت عليه امرأته ، وهى بنت المنذر بن عائذ ، والمنذر هو الأشج ، سماه رسول الله (ﷺ) به لأثر كان فى وجهه .. وكان منقذ (رضى الله عنه) يصلى ويقرأ ، فأنكرت امرأته ذلك ، فذكرته لأبيها المنذر فقالت : أنكرت بعلى منذ قدم من يثرب ، إنه يغسل أطرافه ويستقبل الجهة – تعنى القبلة – فيحنى ظهره مرة ، ويضع جبينه مرة ، ذلك ديدنه منذ قدم ، فتلاقيا فتجاريا ذلك ، فوقع الإسلام فى قلبه ، ثم سار الأشج إلى قومه عصر ومحارب بكتاب رسول الله (ﷺ) ، فقرأه عليهم فوقع الإسلام فى قلوبهم وأجمعوا على السير إلى رسول الله (ﷺ) ، فسار الوفد ، فلما دنوا إلى المدينة ، قال النبى (ﷺ) لجلسائه : «أتاكم وَفدُ عبدِ القَيسِ ، خير أهلِ المشرقِ ، وفيهم الأشجُّ العصرى غير ناكثين ولا مبدلين ولا مرتابين» . فلما أتو النبى ﷺ قال : «مَنِ القومُ أو مَنِ الوفدُ ؟» قالوا : ربيعة ، قال : «مرحبًا بالقوم أو بالوفد ، غير خزايا ولا ندامى» .. أى أنهم لا يصيبهم الخزى فقد أسلموا طائعين من غير حرب أو سبى يخزيهم ويفضحهم ، وإذا كان هذا شأنهم فى الدنيا ، فإنهم فى الآخرة لا تلحقهم الندامة ولا الحسرة ، وفى هذا القول النبوى الحكيم بشراى لهم بالخير العاجل ، والآجل ، لأن الندامة إنما تكون فى العاقبة فإذا انتفت ثبت ضدها . ثم وضحوا لرسول الله (ﷺ) موقفهم

وأنهم لا يستطيعون الوصول إليه إلا فى شهر حرام من الأشهر الحرم وهى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وذلك خوفا من أعدائهم الكفار ، وفى رواية الإمام مسلم : « وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر فلا نخلص إليك إلا فى شهر حرام ، فمرنا بأمر نعمل به وندعو إليه من وراءنا » وكان أعداؤهم لا يتعرضون إليهم فى هذه الأشهر ، كما كانت عادة العرب من تعظيم الأشهر الحرم ، وامتناعهم من القتال فيها ، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع ، أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمانُ بِاللهِ وَحْدَهُ ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «شَهَادَةُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَن تُعطُوا مِنَ المَغنَمِ الخُمسَ» ولكننا إذا نظرنا إلى الأمور التى أمر بها وجدناها خمسا لا أربعا ، وأظهر ما أجيب به عن ذلك أنه أمرهم بالأربع التى وعدهم بها ثم زادهم خامسة وهى : أداء الخمس ، لأنهم كانوا مجاورين لكفار مضر فكانوا أهل جهاد وغنائم . وقيل : أنه لم يذكر الحج فى هذا الحديث ، لكونه لم يكن نزل فرضه . « ونهاهم عن أربع عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت وربما قال المقير .. » أما الدباء : فهو القرع اليابس أى الوعاء منه . وأما الحنتم فأقوى الآراء فيه أنه : جرار خضر . وأما النقير : فهو جذع ينقر وسطه .. وأما المقير : فهو المطلى بالقار وهو الزفت والمراد النهى عن الانتباذ فى هذه الأربعة بأن يجعل فى الماء حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب ، وخصت هذه بالنهى لأنه يسرع إليها الإسكار فيها ، فيصير حراما نجسا وتبطل ماليته .. وجاء فى بعض الروايات بيان ما يترتب عليه من الإسكار ، وما يترتب على الإسكار من المفاسد قالوا : يا نبى الله ما علمك بالنقير ؟ قال : «بلى جذع تنقرونه فتقذفون فيه من القطيعاء» ، قال سعيد : أو قال من التمر ثم تصبون فيه من الماء حتى إذا سكن غليانه شربتموه حتى أن أحدكم

أو أن أحدهم ليضرب ابن عمه بالسيف ، قال : وفى القوم رجل أصابته جراحة كذلك ، قال : وكنت أخبأها حياء من رسول الله (ﷺ) .

ومعلوم أنه – صلوات الله وسلامه عليه – لم يستوعب لهم جميع الأوامر وجميع النواهى ، وذلك لأنهم سألوه أن يخبرهم بما يدخلون به الجنة فاقتصر لهم على ما يمكنهم فعله فى الحال ولم يقصد إعلامهم بجميع الأحكام التى تجب عليهم فعلا وتركا . واقتصر فى المنهيات على الانتباذ فى الأوعية مع أن فى المنهيات ما هو أشد فى التحريم من الانتباذ ، لكن اقتصر عليها . لكثرة تعاطيهم لها . ومن هذه القصة يستنبط :

أن الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال من القول والعمل ويستنبط وجوب أداء الخمس من الغنيمة وأنه من الإيمان . وفى القصة – كذلك – : النهى عن الانتباذ فى هذه الأوعية قال العلامة ابن القيم : وهل تحريمه باق أو منسوخ ؟ على قولين . وهما روايتان عن أحمد ، والأكثرون على نسخه بالحديث الذى رواه مسلم :

« .. **وَكُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الأَوْعِيَةِ فَانْتَبِذُوا فِيمَا بَدَا لَكُمْ وَلاَ تَشْرَبُوا مُسْكِرًا** » ومن قال بأحكام أحاديث النهى، وأنها غير منسوخة قال : هى أحاديث تكاد تبلغ التواتر ، فى تعددها ، وكثرة طرقها ، وحديث الإباحة فرد فلا يبلغ مقاومتها ، وسر المسألة : أن النهى عن الأوعية المذكورة من باب سد الذرائع ، إذ الشراب يسرع إليه الإسكار فيها .

وفى القصة مدح صفتى الحلم والأناة ، وأن الله يحبهما وضدهما الطيش والعجلة ، وهما خلقان مذمومان مفسدان للأخلاق والأعمال .. واستنباط مدح الحلم والأناة ، مأخوذ من بعض الروايات الأخرى ، فعند مسلم :

« وقال نبى الله (ﷺ) لأشج عبد القيس : **إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا**

ورسوله : الحِلْمُ والأناة » وسبب قول النبى (ﷺ) ذلك له : ما جاء
حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة ، بادروا إلى النبى (ﷺ) وأقام الأشج
رحالهم ، فجمعها ، وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه ، ثم أقبل إلى النبى
(ﷺ) فقربه النبى (ﷺ) وأجلسه إلى جانبه ثم قال لهم النبى (ﷺ) :
« تبايعُونَ عَلَى أَنْفُسِكُم وَقَوْمِكُم » فقال القوم : نعم . فقال الأشج :
يا رسول الله ، إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشد عليه من دينه نبايعك
أنفسنا ، وترسل من يدعوهم فمن اتبعنا كان منا ، ومن أبى قاتلناه ،
: « صَدَقْتَ ، إن فِيكَ خَصْلَتَين » الحديث .. فالأناة على هذا هى :
منه حتى نظر فى مصالحه ولم يعجل ، والحلم : هذا القول الذى قاله الدال
صحة عقله ، وجودة نظره للعواقب .

ولا يخالف هذا ما روى أنه لما قال رسول الله (ﷺ) للأشج : إنَّ فِيكَ
خصلتين .. قال : يا رسول الله ، كانا فىَّ أم حدثا ؟ قال : « بل قديم » ،
: قلت : الحمد لله الذى جبلنى على خُلقين يُحِبُّهما .

كما يستنبط من القصة : وفادة الرؤساء والأشراف إلى الأئمة عند الأمور
مهمة ، وتقديم الاعتذار بين يدى المسألة وفيها : بيان مهمات الإسلام وأركانه
سوى الحج ، وفيها استعانة العالم فى تفهم الحاضرين والفهم عنهم ببعض
أصحابه كما فعله ابن عباس (رضى الله عنهما) . وفى القصة أيضا : جواز الثناء
على الإنسان فى وجهه إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب ونحوه ، وأما النهى عن
المدح فى الوجه ، فهو فى حق من يخاف عليه الفتنة .

وفى بعض روايات القصة من التفصيل ما يفيد وصف الأشج بالحلم
والأناة : ثم نزل الأشج فعقل راحلته وأخرج عيبته – وهى التى يضع فيها
ثيابه وزاده – ففتحها فأخرج (ثوبين) أبيضين من ثيابه فلبسهما ، ثم أتى

رواحلهم فعقلها وجمع متاع القوم ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله (ﷺ) فقبلها فقال رسول الله (ﷺ) : « يا أَشَجُّ ، إن فيك خصلتين يُحِبُّهما الله عزّ وجلّ ورسولُهُ : الحِلْمُ والأَناة » ، فقال : يا رسول الله ، أنا تخلقتهما أو جَبَلَنِى الله عليها ؟ فقال : « بَلِ الله جَبَلَكَ عَلَيهِمَا » . قال : الحمد لله الذى جبلنى على خُلُقَين يحبهما الله ورسوله .

وهكذا نرى أن هذه القصة قد اشتملت على العديد من الأحكام والحكم ، والمأمورات والمنهيات ، والتوجيهات السديدة التى تأخذ بأيدى الناس إلى صراط ربهم المستقيم ، وتجنبهم طرق الغواية والضلال ، وهذه التوجيهات التى زودهم بها رسول «الله» (صلوات الله وسلامه عليه) لها أهميتها وأثرها فى بناء حياتهم ، واستقامة أمرهم ، ولهذا قال لهم رسول الله (ﷺ) : « احفَظُوهُنَّ وَأَخبِرُوا بِهِنَّ مَن وَرَاءَكُم » .. إنها دعوة الإسلام الصادقة ، التى تفيض بها قلوب المؤمنين المخلصين ، وتنطلق داعية إلى «الله» على هدى وبصيرة . لتفوز برضوان من «الله» ، وذلك هو الفوز العظيم .

كما اشتملت القصة على أن «الله» تعالى يحب من عبده ما جبله عليه من خصال الخير ومكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، كالحلم والأناة ، والشجاعة والذكاء ، وغير ذلك لاسيما إذا سخّر مواهبه فى البر والتقوى ، والأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير والإسلام .

قدوم ضمام بن ثعلبة

من قصص السيرة الشريفة ، قصص الوفود ، الذين كانوا يقدمون على الرسول (ﷺ) فرادى وجماعات ، قال الإمام البخارى رحمه الله : حدثنا عبد الله بن يوسف قال : حدثنا الليث عن سعيد هو المقبرى عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : بينما نحن جلوس مع النبى (ﷺ) فى المسجد ، دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ والنبى (ﷺ) متكىء بين ظهرانيهم . فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكىء فقال له الرجل : ابن عبد المطلب ، فقال له النبى (ﷺ) : «قد أجبتك» . فقال الرجل للنبى (ﷺ) : إنى سائلك فمشدد عليك فى المسألة ، فلا تجد علىَّ فى نفسه ، فقال : «سل عمَّا بَدا لَكَ» . فقال : أسألك بربك ، ورب من قبلك ، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : «اللَّهُمَّ نَعَم» ، قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ؟ قال : «اللَّهُمَّ نَعَم» . قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : «اللَّهُمَّ نَعَم» ، قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبى (ﷺ) : «اللَّهُمَّ نَعَم» . فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائى من قومى ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد .

لقد كان قدوم ضمام ، فى سنة تسع ، كما جزم بهذا ابن إسحاق وأبو عبيدة ، وغيرهما . وكان وفوده بناء على رغبة بنى سعد بن بكر الذين أرسلوه إلى رسول الله (ﷺ) . وصادف مجيئه وسؤاله هوى فى نفوس المسلمين . حيث أنهم نهوا عن سؤال ما لا ضرورة إليه ، فكان يعجبهم أن يجىء الرجل

من أهل البادية العاقل ، فيسأل الرسول (ﷺ) وهم يسمعون .. ولما جاء ضمام سأل عن الرسول (ﷺ) قائلا : أيكم محمد ؟ والنبى (ﷺ) متكئ بين ظهرانيهم ، فقالوا له : هذا الرجل الأبيض المتكئ ، ولم يكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أبيض صرفا ، وإنما المراد : الأبيض المشرب بحمرة ، كما ورد فى صفته (ﷺ) أنه لم يكن أبيض ولا آدم .

أما أسئلة الرجل : فقد اشتملت على السؤال عن عموم رسالته ، وذلك فى قوله : الله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ ثم عن الصلوات الخمس ، ثم الزكاة .. وفى رواية الإمام مسلم : سؤاله عن الحج وفيها كذلك ما يدل على حسن سؤاله وترتيبه ، ومنطقه وعقله ، حيث سأل أولا عن صانع المخلوقات من هو ؟ ثم أقسم عليه به أن يصدقه فى كونه رسولا للصانع ، ثم لما وقف على رسالته وعلمها ، أقسم عليه بحق مرسله وهذا الترتيب فى الأسئلة يدل على تفتح عقليته ، وقوة منطقه وحكمته . ففى رواية مسلم أنه قال : **«يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال : «صدق» ، قال : فمن خلق السماء ؟ قال : «الله» ، قال : فمن خلق الأرض ؟، قال : «الله» ، قال : فمن نصب هذه الجبال ؟ وجعل فيها ما جعل ؟، قال : «الله» ، قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك ؟ قال : «نعم»** .

لقد وجه الرجل أسئلة تتصل بكتاب الكون المفتوح من أرضه وسمائه وجباله ، سائلا عن خالقها وصانعها ، مستدلا من الصنعة على الصانع ، ومن الخلقة على الخالق ، مصدقا لما أجابه به الرسول (ﷺ) ، وهذه الأسئلة احتوت أدلة كونية ، شاهدة بوجود «الله» ووحدانيته وقدرته وعظمته ، وأنه الذى خلق فسوى وقدر فهدى ..

وهى أدلة واضحة وضوح الشمس ، ويمكن لكل من كان بعيدا عن
ملام أن يستدل بها على ربه ، وأن يدع المكابرة والمراوغة ، فهى أدلة مبثوثة
الكون ، شاهدة بوحدانية الخالق العظيم :

وفى كُلِّ شىءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ على أَنَّهُ الوَاحِدُ

أما قول الرجل : أيكم محمد ؟ فقد قيل : إنما لم يقل الرسول (ﷺ) له :
، لأنه لم يخاطبه بما يليق بمنزلته من التعظيم ، لا سيما مع قوله تعالى :

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[1] .

ل الحافظ ابن حجر : والعذر عنه – إن قلنا أنه قدم مسلما أنه لم يبلغه
ى ، وكانت فيه بقية من جفاء الأعراب وقد ظهرت بعد ذلك فى قوله :
مشدد عليك فى المسألة » .

ولما أجابه رسول الله (ﷺ) عما سأل عنه وشفى قلبه بتثبيت علمه
تيدته قال الرجل : آمنتُ بما جئتَ به ، وأنا رسول من ورائى من قومى ،
ا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد . وفى رواية أنه قال : « وسَأُؤَدِّى هَذِهِ
رَائِضَ ، وأجتنبُ ما نهيتنى عنه ، لا أزيد ولا أنقص » ثم انصرف راجعا .
ل رسول الله (ﷺ) حين ولى : « إن يَصْدُقْ ذُو العَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلِ الجنّة » .
ان ضمام رجلا جلدا أشعر ذا غديرتين ، ثم أتى بعيره ، فأطلق عقاله ،
خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا عليه ، وكان أول ما تكلم به أن
: بئست اللات والعزى ، فقالوا : صه يا ضمام ، اتق البرص والجنون
لجذام ، قال : ويلكم ، إنهما ما يضران ولا ينفعان ، إن الله بعث رسولا ،
نزل عليه كتابا ، استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله ،
ن محمدا عبده ورسوله ، وإنى قد جئتكم من عنده بما أمركم به ، ونهاكم

(1) النور : ٦٣ .

عنه ، فو الله ما أمسى فى اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما ، رواه ابن إسحاق وقال : فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة.

لقد كان الرجل صوت حق وصدق إلى قومه ، حيث حمل لهم مشعل النور والمعرفة ، بعد أن استقى ينابيع الحكمة والهداية من رسول الله (ﷺ) ، ثار على الأصنام والمعبودات الباطلة ونشر دعوة الحق فى ربوع قومه حتى تفيئوا جميعا ظلال الإسلام ، وسعدوا به ، ورضوا بالله ربًّا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد (ﷺ) نبيًّا ورسولا .

وقد استدل علماء السنة بهذه القصة على القراءة على العالم فإن ضماما قال للنبى (ﷺ) : آلله أمرك أن تصلى الصلوات قال : نعم ، فهذه قراءة على النبى (ﷺ) أخبر ضمام قومه بذلك فأجازوه وفى القصة أيضا : العمل بخبر الواحد ، وتأكيد الدعوة إلى دعائم الإسلام من الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج .